

سلسلة تفسير القرآن الكريم (١٥)

التفسير المنهجي

مِنْ سُورَةِ الأَحْزابِ - نِهايَةِ سُورَةِ يس

تأليف

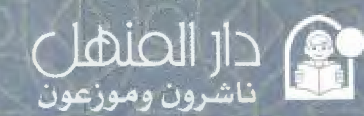
الدكتور صلاح الخالدي

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

الطبعة الأولى

2005

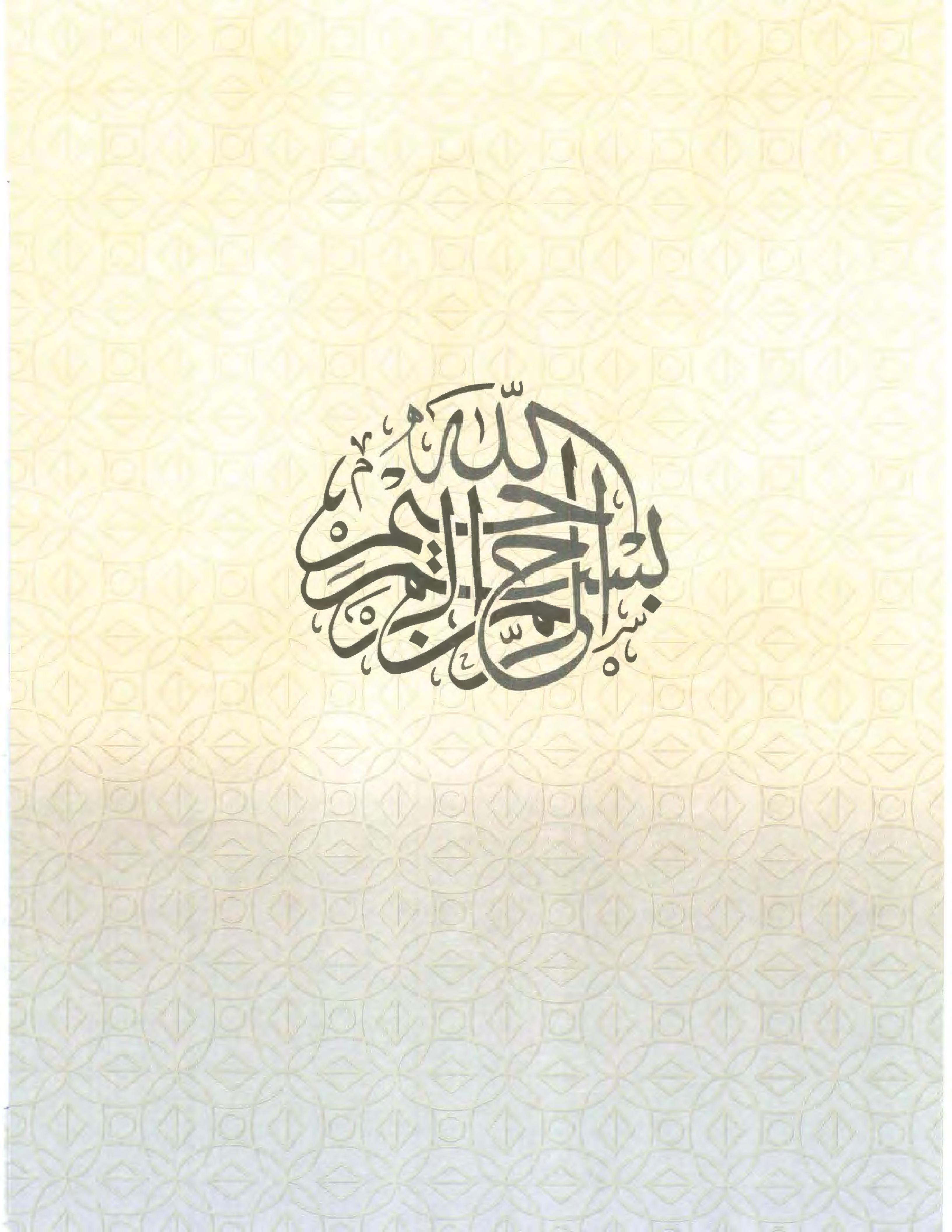
رقم الإجازة : 1728 / 7 /2004

رقم الإيداع : 1738 / 7 /2004

التصنيف الدولي: 3-381-08-9957

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقدِّمَةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يوم الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّور ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّم القرآنِ ومُدارَستِهِ ، ومِنْ ذلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[١] ، قولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائِكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[٢] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمة هذا الكِتابِ العزيز ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلّقُ بتبيين معاني الآياتِ وتَفْسيرهَا ، وكان لكلِّ تفسير مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارِسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيين معاني المفرداتِ والتراكيب التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبة مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ و لتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآية ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الصعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهجِ السَّلَفِ في تفسير ايات الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درس بعدد من الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالب على البحثِ والتفكير وترسيخ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أو طابورِ الصباح أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ درْسٍ بعددٍ من العِبرِ والدروسِ المُستنْبَطةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبرِ والرَّبْطِ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويم السُّلوك وتنمية التفكير وترسيخ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوعةِ التي تهدِفُ إلى تقويم الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدرس وحَفزهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو روايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىء وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخريجُ الأحاديثِ النَّبويَّةِ وروايات أسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصا لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفعَ به ، وأَنْ يتقَبلَهُ بقَبُولٍ حسنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سُورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا
يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٣﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ الأحْزابِ مَدنيّةٌ ، وهي الثَّالثةُ والثَّلاثونَ علىٰ حَسَبِ تَرتيبِ المُصْحَفِ ، وكانَ نزولُها في السّنةِ الخَامسةِ مِنَ الهِجْرةِ ، بَعْدَ غَزوةِ الأحزابِ ـ أو غَزوةِ الخَنْدقِ ـ ، وسُمِّيَتْ سُورةَ الأَحْزابِ ؛ لأنَّها تَتحدَّثُ عَنْ غَزوةِ الأحزابِ ، ولورودِ كَلِمَةِ الأحزابِ فيها . وتَعْرِضُ السُّورَةُ بَعْضَ الأَحْكامِ التَّشْريعيةِ ، المُتعلِّقةِ بالزَّواجِ والطَّلاقِ والأُسْرَةِ ، وتُبطِلِ بَعْضَ عَاداتِ الجَاهِليَّةِ ، كالظِّهارِ والتَّبنِّي ، وتُقدِّمُ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّوْجيهاتِ والآدابِ للمُسْلِمينَ ، وفيها كَشْفٌ لِحقيقةِ المُنافقينَ .

معاني المُفْرداتِ :

- **اتَّقِ اللهَ** : داوِمْ علىٰ طاعَةِ اللهِ ، وتَرْكِ مَعْصيَتِهِ .
- **لا تُطِعْ** : لا تَتَّبِعْ .
- **حكيماً** : فِعْلُهُ حقٌّ وصَوابٌ .
- **يُوحىٰ إليكَ** : هُوَ القرآنُ .
- **خَبيراً** : عالِماً بكُلِّ الأُمورِ ؛ خَفِيِّها وظاهِرِها .



التفسيرُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ .

افتُتِحَتْ سورةُ الأَحْزابِ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ التَّوجيهَاتِ مِنَ اللهِ لِرَسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ ، ولِلمُسْلمينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَمَعَ أنَّ الخِطابَ للنَّبيِّ ﷺ فَهُوَ ليسَ خاصّاً بِهِ ، وإنَّما هُوَ عامٌّ يَشملُ كُلَّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ .

يَقولُ اللهُ لِنبيِّهِ ﷺ : يا أيُّها النَّبيُّ : داوِمْ علىٰ تقوىٰ اللهِ بطاعتِهِ وعِبادَتِهِ ومُراقَبَتِهِ ، وتَنفيذِ أَوامرِهِ ، واجتنابِ نَواهيهِ .

ولا تُطِعِ الكافرينَ الّذينَ يُظْهِرونَ الكُفْرَ ، ولا المُنافِقينَ الّذينَ يُظْهِرونَ الإسْلامَ ويُخْفونَ الكُفْرَ ؛ لأنَّ الكافِرينَ والمُنافِقينَ أعداءٌ للهِ ولِرسُولِهِ وللمؤمنينَ ، ولا يُريدُونَ إلا إضْلالَ المُسْلمينَ .

واللهُ عَليمٌ ، أَحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، يَعْلَمُ مَنْ يتَّقيهِ وَمَنْ يَعْصيهِ ، وَهُوَ حَكيمٌ في أقوالِهِ وأَفْعالِهِ ، كُلُّ ما يَقولُهُ ويَفْعلُهُ ويُقدِّرُهُ فَهُوَ حَقٌّ وصَوابٌ .

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

بَعْدَما أَمَرَ اللهُ رسُولَهُ ﷺ بتَقْواهُ ، ونَهاهُ عَنْ طاعةِ الكافِرينَ والمُنافِقينَ ، أَمَرَهُ باتِّباعِ الوَحْيِ اتِّباعاً كامِلاً ، لِيكونَ عامِلاً بمُقتضىٰ أَحكامِ القُرآنِ الّذي أَوْصَىٰ بِهِ إِليهِ ، وأَمَرَهُ باتِّباعِهِ ، كما أمرَهُ بالعَملِ بمُقْتَضىٰ أحكامِ السُّنَّةِ ، لأنَّها وَحْيٌ مِنَ اللهِ إليهِ بالمعنىٰ .

فَوَحْيُ اللهِ إلىٰ رَسولِهِ ﷺ يَشْمَلُ القُرآنَ والسُّنَّةَ ، لأنَّ القُرآنَ وَحْيٌ باللَّفظِ ، والسُّنَّةَ وَحْيٌ بالمعنىٰ ، وكلاهُما واجبُ الاتِّباعِ وتنفيذِ الأحكامِ .

وَذكَّرَ اللهُ المُسْلِمينَ بعلْمِهِ واطِّلاعِهِ كَيْ لا يَنْسَوْا رقابَتَهُ ، ولا يُقَصِّرُوا في طاعتِهِ ، فَأَخبرَهُمْ أَنَّهُ خبيرٌ بأعمالِهِمْ كُلِّها ، الظّاهِرةِ والخفيَّةِ ، وأنَّه يُحاسِبُهُمْ عَلَيْها يومَ القِيامةِ .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ .

خَتَمَ اللهُ هذهِ التَّوجيهاتِ بالأَمْرِ بالتَّوكُّلِ عليهِ ، فقالَ : توَكَّلْ علىٰ اللهِ ، وفوِّضْ جميعَ أُمورِكَ وأَحْوالِكَ إليهِ ، وثِقْ بهِ ، واطمَئِنَّ إلىٰ وَعْدِهِ ، فإنَّهُ يَحْفَظُكَ ويَحْميكَ ويُدافِعُ عنكَ وينصُرُكَ علىٰ أعدائِكَ ، وكفىٰ بِهِ وكيلاً ، فإنَّهُ يَكفي مَنْ يتوكَّلُ عليهِ ، فلا يَحْتاجُ إلىٰ وكالةِ غيرِهِ وكَفالَتِهِ وَحِفْظِهِ .

وإنَّ وُجُوبَ التَّوكُّلِ علىٰ اللهِ لا يتعارضُ مَعَ الأَخذِ بالأَسْبابِ ، لأنَّ اللهَ هُوَ الَّذي جَعلَها أَسْباباً ، وَهُوَ المُسَبِّبُ والمُقَدِّرُ سُبْحانَهُ وتعالىٰ ، ونَحْنُ عِنْدَما نَأْخذُ بالأَسْبابِ نكونُ مُتوكِّلينَ عليهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تقوىٰ اللهِ واجبةٌ علىٰ كُلِّ مُسلمٍ ، ويَنْتُجُ منها طاعةُ اللهِ ، واتِّباعُ شَرْعِهِ ، وعدَمُ طاعةِ أعدائِه .

٢ـ رسولُ اللهِ ﷺ أَوّلُ المُطالَبينَ بالتزامِ أَحْكامِ الشَّرْعِ .

٣ـ وُجُوبُ التَّوكُّلِ علىٰ اللهِ وتفويضِ الأمْرِ إليهِ ، والثِّقةِ بِوَعدِهِ ، والرِّضا بقَدَرِه ، واليَقينِ بنَصْرِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِمَاذا سُمِّيَتْ سُورةُ الأَحْزَابِ بهذا الاسْمِ ؟

٢ـ في أيّةِ سَنَةٍ كانَ نزولُها ؟

٣ـ ما أبرزُ مَوْضُوعاتِها ؟

٤ـ اسْتخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ ثلاثةَ أوامِرَ وتَوْجيهاتٍ ، وبيِّنْ معنىٰ كلِّ واحدٍ منها .

٥ـ كيف نُوفِّقُ بينَ وُجُوبِ التَّوكُّلِ علىٰ اللهِ وَوُجُوبِ الأَخْذِ بالأسبابِ ؟

نشاط :

سَجِّلْ في دَفترِكَ الفَرْقَ بَينَ المُشرِكينَ والمُنافِقينَ ، مِنْ خِلالِ تَعريفِكَ لِكُلٍّ مِنْهُما .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّانِي

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ الثَّانِي

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا
جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾
ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ
وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

مَا جَعَلَ	: ما خَلَقَ ، وما صَيَّرَ .
أزواجَكُم	: نِساءَكُمْ .
اللّائي تُظاهِرونَ	: الظِّهارُ : أن يقولَ الرجلُ لامرأَتِه : أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي .
أدْعِياءَكُمْ	: جَمْعُ دَعِيٍّ ، وَهُوَ الابنُ بالتَّبَنّي .
ذِلكُمْ قولُكُمْ بأفواهِكُمْ	: الظِّهارُ والتَّبَنِّي مُجَرّدُ قولٍ باللِّسانِ لا حقيقةَ لَهُ .
أدعوهُمْ لآبائهِم	: انسبوا أَبناءَكُمْ بالتَّبَنّي لآبائِهِمُ الحَقيقيّينَ .
هُوَ أَقْسَطُ	: هُوَ أَعْدَلُ .
مَوالِيكُمْ	: أنصارُكُمْ وأَعْوانُكُمُ الّذينَ يُوالونَكُمْ .
جُناحٌ	: حَرَجٌ وإِثْمٌ .
تعَمَّدَتْ قُلوبُكُم	: نَسَبْتُمْ هؤلاءِ إلىٰ غيرِ آبائهِمْ عامِدينَ قاصِدينَ .



التفسيرُ :

أَمَرَ اللهُ في الآياتِ السَّابقةِ بتقواهُ وَطاعتِهِ ، واتِّباعِ شَرْعِهِ ، والتوكُّلِ عليهِ ، ونهىٰ عَنْ طاعةِ الكافِرينَ والمُنافِقينَ .

وانتقلَتْ هَذهِ الآياتُ إلىٰ تحريمِ بَعْضِ الأَعْمالِ الَّتي كانتْ مُنْتَشِرَةً في الجَاهِليّةِ ، وَهِيَ : الظِّهارُ والتَّبنّي .

الظِّهارُ هو : أنْ يقولَ الرجلُ لامْرَأتِهِ عِندما يَغْضَبُ عليها : أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي ، أيْ : أنتِ مُحَرَّمةٌ عَليَّ مِثْلُ أُمّي .

والتَّبنِّي هو : أنْ يَنْسِبَ الرَّجُلُ الوَلَدَ أَوِ البنتَ إليهِ ، وَهُوَ ليسَ من صُلْبِهِ ، لأنَّه لَمْ يُعْرَفْ لَهُ أهلٌ .

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ أنَّهُ جَعَلَ لِكلِّ إنسانٍ قَلْباً واحداً ، ولم يَجْعَلْ لأَحَدٍ قلبيْنِ في جَوْفِهِ كَما كانَ يَظُنُّ بعضُ أهلِ الجَاهِليَّةِ .

وكما أنَّهُ لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ للإنسانِ قَلْبانِ ، فكذلكَ لا يُمكنُ أنْ تصيرَ الزَّوْجَةُ أُمّاً مُحَرَّمَةً عليهِ ، عندما يغضَبُ ويُظاهِرُ منها ، ويُشبِّهُها بأُمِّهِ ، إنَّهُ يُخْطِىءُ عندما يُشَبِّهُها بأُمِّهِ ، وعليهِ أنْ يَدْفَعَ الكَفَّارَةَ .

وكما أنَّ الزَّوجةَ لا تصيرُ بالظِّهارِ كالأُمِّ المُحرَّمةِ ، كذلكَ لا يكونُ الدَّعِيُّ بالتَّبَنِّي ابناً حَقيقيّاً لِمَنْ تبنَّاه ، لأنَّ له أباً حقيقيّاً ، والتبنّي حَرامٌ شَرْعاً .

وجَعْلُ الزَّوجةِ مُحَرَّمةً بالظِّهارِ ، وجَعْلُ الدَّعِيِّ ابْنَاً بالتَّبَنِّي قولٌ باطلٌ، وَحَرامٌ مَرْدُودٌ ، يقولُهُ أُناسٌ بأفواهِهِمْ ، وليسَ لهُ رصيدٌ مِنَ الحقيقةِ ، ولذلك حرَّمَهُ اللهُ ، لأنَّ اللهَ هُوَ الذي يقولُ الحقَّ والصَّوابَ ، ويُقرِّرُ الصِّدْقَ والعَدْلَ ، ويُرشِدُ إلىٰ السَّبيلِ الصحيحِ ، والطَّريقِ المُستقيمِ .

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ .

فَالظِّهارُ الباطلُ بَيَّنَتْ سُورةُ المُجادلَةِ كفَّارَتَهُ ، أمَّا التبنّي الباطلُ فيجبُ علىٰ الرِّجالِ تَرْكُهُ بعدما حرَّمَه اللهُ ، والَّذين أخطأوا وتبَنَّوْا ـ في الماضي ـ بعضَ الناسِ فَعَلَيْهِمْ أنْ يُصَوِّبُوا الأمرَ ، ويَنْسِبوا

هؤلاءِ الأدعياءَ بالتبنّي إلىٰ آبائهم الحقيقيينَ ، ويقولُوا : هذا فلانُ بنُ فلانٍ ، وتصحيحُ الخطأِ والتراجعُ عنهُ هو الأقسطُ والأعدلُ عندَ اللهِ .

فإنْ لم يعلمُوا آباءَهُمُ الحقيقيّينَ ـ بسببِ الحَرْبِ والرِّقّ أو لأيِّ سببٍ آخرَ ـ فعَلَيهِمْ أنْ يَعتَمِدوا الأُخُوَّةَ في الإسلام ، والمُوالاةَ والتّحالفَ والتناصُرَ رابطةً بَيْنَهُم ، بأنْ يقولَ الرجلُ : هذا أَخِي في الإسْلامِ ، ووَلِيّي في الدِّينِ ، بدلَ أنْ يقولَ : هَذَا ابْنِي ، وهكذا صارَ يُقالُ : هذا مولىٰ فلانٍ أو أخو فلانٍ .

وقد رفعَ اللهُ الحرَجَ والإثمَ عَنِ المُسْلِمينَ في حالاتِ التَّبنّي التي حَصَلَتْ قبلَ نزولِ الآيَةِ ، وأعْذَرَهُم في الخَطأ الماضِي ، لكنْ عَليهِمْ ألاّ يَقعُوا في هَذا الخَطَأ بَعْدَ نُزُولِ هذه الآياتِ وإبطالِ التَّبنِّي ، فإن عادُوا للتَّبنِّي بعد تحريمِه فإنَّهُمْ يكونونَ قد تعمَّدُوا المَعْصِيةَ والمُخالَفَةَ ، وجمَعُوا عليها قلوبَهُمْ ، معَ الإصرارِ والتعمُّدِ ، ولذلكَ يُؤاخِذُهُم اللهُ ، واللهُ غفورٌ رحيمٌ ، يغفرُ لعبادهِ الخطأَ الذي يَقعونَ فيه دُونَ تعمُّدٍ ، ورحيمٌ يرحَمُهم فيَقبَلُ توبَتَهُم ، ويرفعُ الإثمَ عنهُم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أبطلتْ هذهِ الآياتُ ثلاثةَ انْحِرافَاتٍ كانتْ مستقرّةً في المُجْتَمَعِ الجَاهِلِيِّ ، هي : اعتقادُهُمْ أنَّ بعضَ الناسِ لَهُ قَلبَانِ ، والظِّهارُ ، والتبنّي ، وأبطلتِ الشَّرائِعَ التي رَتَّبوها عَلَيْها .

٢ـ كما أنه لا يُوجَدُ لإنسانٍ قلبانِ ، كذلكَ لا يجوزُ لإنسانٍ أنْ يَجمعَ في قلبهِ بين النقيضَيْنِ كالإيمانِ والكُفرِ ، أو الهُدَىٰ والضَّلالِ .

٣ـ الكلامُ الخاطىءُ لا يُغيّرُ الحقيقةَ ، فالزَّوجةُ لا تُحَرَّمُ بالظِّهارِ ، والدَّعِيُّ لا يكونُ ابناً بالتبنّي .

٤ـ الإسلامُ يُصحِّحُ الأخطاءَ السابقةَ ، فيُعيدُ انتسابَ الأدعياءِ إلىٰ آبائِهِمْ .

٥ـ يتجاوزُ اللهُ للمُسلمينَ عن الخَطأ في الأقوالِ والأفعالِ ، ولا يُحاسِبُهم إلاّ علىٰ ما تَعَمَّدُوه مِنْ ذلكَ .



أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ عرِّفِ الظِّهارَ .

٢ـ لماذا سُمِّيَ بذلك ؟

٣ـ عرِّفِ التَّبنِّي ، ولماذا حرَّمَهُ اللهُ ؟ .

٤ـ اذكُرِ الحَلَّ الذي قدَّمَتْهُ الآياتُ لإبطالِ التَّبنِّي ، عندَ معرفةِ والدِ الدَّعِيِّ ، وعندَ عَدَمِ مَعْرِفَتِه .

٥ـ ما دلالةُ نَفْيِ الآيةِ وُجودَ قَلبينِ في جَوْفِ الإنسانِ ؟

٦ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ القاعدةَ في العَفْوِ وفي المؤاخَذَةِ بالنسبةِ إلىٰ الأخطاءِ والذُّنوبِ .

نشاط :

١ـ اقرأ الآياتِ الأولىٰ من سُورةِ المُجادَلَة ، واسْتَخْرِجْ منها كفَّارةَ الظِّهارِ التي تقومُ علىٰ ثلاثِ خِصالٍ ، وبيِّنِ المَطْلوبَ في كُلِّ خَصْلةٍ ، واكتُبْها في دفترِكَ .

٢ ـ اقرأ الآيةَ الأخيرةَ مِنْ سورَةِ البقرةِ ، واستخرِجْ منها طَلَبَ المُؤمنينَ مِنْ رَبِّهِمْ تَجاوُزَهُ عن نسيانِهِمْ وخَطَئِهِمْ ، واكتبْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اكتبْ موضوعاً عن التَّبنِّي في هذهِ الأيامِ ، مُبيِّناً وجهَ الخَطأ ووجْهَ الصَّوابِ فيه ، واقرأْهُ علىٰ زُملائِكَ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ

سورةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى
كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ
ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ
لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

النبيُّ أولىٰ بالمُؤمنينَ مِنْ أنفُسِهِمْ : النبيُّ أَرْأَفُ بالمُؤمِنينَ من أنفُسِهم .
أزواجُهُ أُمهاتُهُمْ : أزواجُ النبيِّ ﷺ مُحرَّماتٌ علىٰ المُسلِمينَ كأُمَّهاتِهم .
أُولُو الأَرحامِ : الأقاربُ من الرِّجالِ والنساءِ .
بعضُهُمْ أَوْلىٰ ببعضٍ : هُمُ الأَولىٰ بالإرثِ والأَحَقُّ بِهِ .
مَسطُوراً : مَكتُوباً ثابتاً .
ميثاقَهُمْ : العَهْدَ المُؤكَّدَ عليهِمْ .
ميثاقاً غليظاً : عَهْداً شَديداً عَظِيماً .

التفسيرُ :

أبطلَ اللهُ في الآياتِ السابقةِ الظِّهارَ والتَّبنِّي ، وأوجَبَ في الظِّهارِ الكفَّارةَ ، وأَعادَ نِسبةَ الأَدعياءِ إلىٰ آبائِهم الحقيقيّينَ .

وفي هذهِ الآياتِ نَسَخَ اللهُ التَّوارُثَ بالمُؤاخاةِ ، وأعادَ التَّوارثَ للنَّسبِ ، وحرَّمَ علىٰ المُؤْمِنينَ

أزواجَ النبيِّ ﷺ ، وحدَّدَ الصِّلَةَ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وأُمَّتِهِ .

﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أوْلَىٰ وأَرْأَفُ بالمُؤمِنِيْنَ من أنفُسِهِم ، لأنَّهُ حَريصٌ علىٰ تقديمِ الخَيْرِ لهُم ، ويريدُ مَصلحتَهُم ، ويَشقُّ عليه ما يُتْعِبُهم .

وهذا يُوجِبُ عَليهِمْ مَحَبَّةَ النبيِّ ﷺ وطاعتَهُ ، وقبولَ أمْرِهِ ، والرِّضا بحُكْمِهِ ، لأنَّهُ حريصٌ علَيهِمْ ، قالَ تعالىٰ : ﴿فلا وربِّك لا يؤمنونَ حتىٰ يحكِّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ثمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِم حَرَجاً ممّا قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تَسْليماً﴾ [النساء : ٦٥] .

روىٰ البخاريُّ عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : ما مِنْ مُؤمنٍ إلا وأنا أوْلىٰ الناسِ بهِ في الدُّنيا والآخرةِ ، اقرَأوا إنْ شِئْتُم قولَه تعالىٰ : ﴿النبيُّ أولىٰ بالمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أَنْفُسِهِم﴾(١) .

وأزواجُ النبيِّ ﷺ كَأُمَّهاتِ المؤمنينَ في حُرمَةِ الزَّواجِ بهنَّ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ ، وفي وُجوبِ احترامِهِنَّ وتوقيرِهِنَّ ، قالَ تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ لكُم أنْ تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ ولا أنْ تَنْكِحُوا أزواجَهُ من بعدِهِ أبداً﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

ووَلايةُ الرّسولِ ﷺ للمُؤمنينَ وَلايةٌ عامةٌ ومعنويةٌ ، قائمةٌ علىٰ الرَّأفةِ والشَّفقةِ والرِّعايةِ ، لكنْ لا يَنتُجُ منها التَّوارثُ ، لأنَّ التَّوارثَ بالنَّسَبِ والقرابةِ ، ولذلك بيَّنَ اللهُ أنَّ أُولي الأرحامِ والأقاربِ بعضُهمْ أوْلىٰ ببعضٍ في التَّوارثِ ، يرثُ بعضُهم بَعْضاً .

وقد كانَ التَّوارثُ بينَ المسلمينَ بعدَ الهِجرةِ علىٰ أساسِ الإسلامِ ، وليسَ علىٰ أساسِ القرابةِ و لنَّسَبِ ، فكانَ المهاجرُ يَرِثُ الأنصاريَّ ، والأنصاريُّ يرثُ المُهاجرَ ، مع أنه ليسَ بينهما نَسَبٌ أو قرابةٌ ، وذلك بسببِ المُؤاخاةِ التي عَقَدَها رسولُ اللهِ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ .

فنَسَخَتْ هذه الآيةُ التَّوارُثَ علىٰ ذلك الأَسَاسِ ، وأثبَتَتْهُ علىٰ أساسِ النَّسَبِ والقَرابةِ ، وأبْقَتِ الآيةُ البرَّ والصِّلَةَ والوَصيَّةَ بالمعروفِ إلىٰ الأولياءِ من الأصدقاءِ والإخوانِ والأقاربِ من غيرِ الوَرَثةِ .

وبيَّنَتِ الآيةُ أنَّ هذا الحُكْمَ باعتمادِ النَّسَبِ للتَّوارُثِ وإبقاءِ الوصيّةِ لغيرِ الورثةِ مُستقرٌّ ثابتٌ ، ومُقَدَّرٌ ومكتوبٌ في كتابِ اللهِ الذي لا يُبدَّلُ ولا يُغيَّرُ ، وهو عِلْمُهُ وقدرُه الأَزَليُّ .

(١) صحيح البخاري (٦٥) كتاب التفسير . باب (١) تفسيرسورة الأحزاب . حديث رقم : ٤٧٨١ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ .

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنِ الصِّلةِ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وأُمَّتِهِ ، في كَوْنِه أولَىٰ بهمْ مِنْ أنفُسِهِم وتحريمِ أزواجِهِ عَلَيْهِمْ إلىٰ الحديثِ عَنْ مَنْزِلَتِهِ العاليةِ عندَ اللهِ ، والعَهْدِ المُؤكَّدِ الّذي أخذَهُ اللهُ عليهِ وعلىٰ إخوانِهِ من الرُّسُلِ عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ .

قالَ اللهُ لرسولِهِ ﷺ : اذكرْ أيُّها الرّسولُ أنَّا أخذْنَا العَهْدَ والمِيثاقَ المُؤكَّدَ علىٰ جميعِ الأنبياءِ والرُّسلِ عليهِم السّلامُ ، الذي يُوجِبُ عَلَيْهِمْ تَبْليغَ الدِّينِ إلىٰ أقوامِهم ، والثباتَ علىٰ الحقِّ ، وفي مُقدمةِ هؤلاءِ أُولو العَزْمِ من الرُسلِ وهمْ : مُحَمَّدٌ ، ونوحٌ ، وإبراهيمُ ، وموسىٰ ، وعيسىٰ بنُ مريمَ عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ ، وكان العَهْدُ علىٰ هؤلاءِ الرُّسلِ شديداً غليظاً مُؤَكَّداً ، وقد قامَ أُولو العزم بواجبِهِمْ ، ووَفَّوْا بعَهدِهِمْ مَعَ اللهِ ، والمِيثَاقُ هُوَ أنْ يُصدِّقَ بعضُهُمْ بَعْضاً ، وأنْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَةِ سيِّدِنا مُحمَّدٍ ﷺ .

﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

أخذَ اللهُ علىٰ الرُّسُلِ العَهْدَ المؤكَّدَ ، وسَيَسْأَلُهُمْ عن التَّبليغِ يومَ القيامةِ ، وسَيَسْأَلُ المُؤمنينَ عَنِ الاسْتِجَابَةِ ، والكافرينَ عَنِ الإعراضِ والتكذيبِ .

أما الرُّسلُ فقد بلَّغُوا الرسالةَ وأدَّوا الأمانةَ عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ ، وأمَّا المؤمنونَ بهمْ فقدْ صَدَّقُوا بالتزامِهِمْ بالحَقِّ ، وسيَجزيهِمُ اللهُ أحسنَ الجزاءِ ، بإدخالِهِمُ الجَنَّةَ ، ولكنَّ الكافرينَ الّذين كذَّبُوا الرُسُلَ سيكونونَ خاسرينَ ، وسيُعذِّبُهُمُ اللهُ عذاباً أليماً في النّارِ .

قال الله تعالىٰ : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الذينَ أُرْسِلَ إليهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِيْنَ﴾ [الأعراف : ٦] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تجبُ مَحَبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ محبةً عظيمةً ، لأنَّهُ أرْأَفُ النّاسِ بالمؤمنينَ .

٢ـ أوْلىٰ الناسِ بخيرِ المُؤمنِ ومَعْروفهِ هُمْ أقاربُه وأرحامُه وإخْوانُهُ وأصْدِقاؤُهُ ؛ إذا كانوا مُؤْمنينَ .

٣ـ يجبُ علىٰ القائدِ المسؤولِ أنْ يهتمَّ برعيَّتِهِ ويُشفِقَ عليهِمْ ، وأنْ يقتدِيَ في ذلكَ برسولِ اللهِ ﷺ .

٤ـ أخذَ اللهُ علىٰ الرُّسلِ العَهْدَ المؤكَّدَ بالتَّبليغِ والالْتِزَامِ ، وفي مُقدِّمَتِهِم أُولو العَزْمِ من الرُّسُلِ الخمسةِ .

٥ـ أتباعُ الرسلِ مأمورونَ بالوفاءِ بِعَهْدِهِمْ معَ اللهِ ، وسَوْفَ يَسْأَلُهُمُ اللهُ عَنْ ذلكَ يومَ القِيَامَةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ كَوْنِ النبيِّ ﷺ أوْلىٰ بالمُؤْمِنينَ مِنْ أنفُسِهِمْ ؟

٢ـ علىٰ أيِّ أساسٍ كانَ يتمُّ التَّوارثُ بينَ المسلمينَ بعد الهجرةِ ؟

٣ـ وما أساسُ التَّوارُثِ بعدَ ذلك ؟

٤ـ استخرجْ من آياتِ الدّرْسِ أسماءَ أُولي العَزْمِ من الرُّسلِ الخمسةِ ، ورتِّبْهُم علىٰ أساسِ زَمان بِعْثَتِهِم .

٥ـ استخرجْ من الآيةِ الأخيرةِ الأَصْنَافَ الثَّلاثَةَ التي سَيَسْأَلُها اللهُ يومَ القيامةِ .

٦ـ ما العهدُ والميثاقُ الذي أخذَهُ اللهُ علىٰ الرُّسلِ عليهم السّلامُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيَةَ قبلَ الأَخيرةِ من سورةِ التوبةِ ، واستخرجْ منها مظاهرَ كَوْنِ النبي ﷺ أوْلىٰ بالمُؤمِنِينَ مِنْ أنفُسهِم ، وأسْبابَ ذلكَ .

٢ـ الأُمّهاتُ المُحَرَّماتُ علىٰ الرِّجَالِ ثلاثةُ أنواعٍ . ذكرَتِ الآيةُ السّادِسَةُ هُنا أُمَّهاتِ المُؤمنينَ ، اقرأ الآيَةَ (٢٣) من سورةِ النساءِ ، واستخرجْ منها النوعيْنِ الآخرَيْنِ من الأُمَّهاتِ المُحَرَّماتِ .

٣ـ اقرأ الآيَةَ (١٣) من سُورَةِ الشُّورىٰ ، واستخرجْ منها أسماءَ الرُسُلِ الخمسةِ المَذْكوْرِينَ في الآيةِ السَّابِعَةِ مِنْ هذهِ الآياتِ .

❋ ❋ ❋

الدَّرسُ الرَّابِعُ

سورَةُ الأَحْزابِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ
ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا
غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ
سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا
يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ : جاءتكم جُيُوْشُ أحزابِ الكافِرينَ ، مِنْ قُريشٍ وغطَفانَ وبني عامرٍ واليهودِ .

جُنوداً لم ترَوْها : أرسلَ اللهُ الملائكةَ علىٰ أحزابِ الكافِرينَ .

جاءوكم مِنْ فَوقِكُمْ : جاءكُمُ الكافِرونَ مِنْ أَعْلىٰ الوادِي .

وَمِنْ أسْفَلَ منكُمْ : جاءكم كافرونَ آخرُونَ من أَسفَلِ الوَادي .

زاغتِ الأبصارُ : مالَتِ الأبصارُ من الحَيْرَةِ والدَّهْشَةِ .

الحَناجِرَ : جَمْعُ حَنْجَرَةٍ ، وهي مُنْتَهىٰ الحُلْقُوم .

تَظنُّونَ باللهِ الظنونا : ضِعافُ الإيمانِ تشكَّكُوا مِنْ وَعْدِ اللهِ ، وخافَ المُؤمنونَ ضِعَافُ الاحتمالِ .

ابتُلِيَ المُؤمنونَ : امْتُحِنُوا واخْتُبِروا .

زُلزلوا : اضْطَّربُوا من شِدَّةِ الفَزَعِ .

في قلوبهِمْ مَرضٌ : في قلوبهِمْ ضَعْفُ الاعتقادِ والإيْمانِ .

غُرُوراً	خِداعاً وبَاطِلاً .
طائفةٌ منهم	مجموعةٌ منهم ، وهي طَائفَةُ المُنافِقينَ .
يَثرب	اسمُ المدينةِ المنورةِ قبلَ هِجْرَةِ رسولِ اللهِ ﷺ .
لا مُقامَ لكُم	لا مكانَ لكُم في الحراساتِ ؛ لأنَّه لَنْ تكونَ حَرْبٌ .
بُيوتَنا عورةٌ	بُيوتَنا مكشوفةٌ غيرُ حَصينةٍ ، يدخلُها الأعداءُ .
من أقطارِها	من جَوانِبِها ، وَنَواحيها ، وَجِهاتِها .
لآتوْها	لأعطَوْها وقدَّمُوها وفعَلُوها .
مسؤولاً	واجِبُ الوَفاءِ بهِ ويُسألُ عنهُ صاحبُه .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ من الحديثِ عن الصِّلةِ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ والمُسْلِمينَ ، والمِيثاقِ الغَلِيظِ الذي أخذَهُ اللهُ عليهِ وعلىٰ أُمتهِ إلىٰ الحديثِ عن غَزْوةِ الأحزابِ ، التي برزَتْ فيها رأفةُ الرسولِ ﷺ بأمَّتهِ ، ووفاءِ المؤمنينَ بعهدِهِمْ معَ اللهِ ، ونعمةِ اللهِ عَليهِمْ بنصْرِهِمْ وهزيمةِ أعدائِهِمْ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ .

يَدْعُو اللهُ المُؤْمِنِينَ إلىٰ تذكُرِ نِعْمَةِ اللهِ عليهم ، في نَجاتِهِمْ مِنْ خَطَرِ الأَحْزَابِ عَلَيْهِمْ ، ويقولُ لهم : يا أيُّها المُؤمنونَ : تذكَّروا نعمةَ اللهِ عليكُمْ ، واحْمَدُوهُ واشكُرُوهُ عليها ، فقد جاءتكُمْ جنودٌ مِنَ الكُفَّارِ ، مِنْ قُريشٍ وغَطَفَانَ ، وحاصَرُوكُم وأرادُوا القضاءَ عليكم ، فأنجاكُمُ اللهُ منهمْ ، بأنْ أرسلَ عليهِمْ ريحاً عاصِفةً شديدةَ البرودةِ ، فأكْفَتْ قدورَهُم ، وقلَبَتْ خيامَهُم ، وأرسلَ عليهِمْ ملائكةً جنوداً مِنْ عندِهِ ، لم تَروْهُم أنتُمْ ، قَذَفَتِ الرُّعْبَ في قلوبِهِمْ ، فانْسَحبُوا خائبينَ مُنْهَزمينَ ، واللهُ خبيرٌ بأعمالِكُم ، مُطَّلِعٌ عليها ، عليمٌ بالشِّدَّةِ التي مَرَرْتُم بها في أثناءِ الحِصارِ ، وسيَجزيكُم علىٰ ذلك حُسْنَ الجزاءِ .

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ .

فصَّلَتِ الآيةُ إجمالَ الآيةِ السابقةِ ، فأحزابُ الكُفْرِ وجنودُهُمْ جاؤوا علىٰ المُسلمينَ مِنْ جهَتَينِ :

فريقٌ منهُمْ جاؤوا المُسْلِمينَ مِنْ فَوْقِهِمْ ، أيْ : مِنْ أعلىٰ المدينةِ ، وفريقٌ آخر جاؤوا المُسْلِمينَ من أسفلَ مِنْهُم .

ولمَّا رأىٰ المُسلمونَ جنودَ الكُفّارِ زاغتْ أبصارُهُم وَمَالَتْ ، مِنْ هَوْلِ الدَّهْشَةِ والمُفاجأةِ بسببِ كَثْرَةِ الجنودِ الكافرةِ ، وخَافُوا خَوْفاً كَبيراً ، بِحَيْثُ بلغَتْ قلوبُهم حناجرَهُم من شدَّةِ الخوفِ والفَزَعِ ، وظنُّوا مُختلَفَ الظُّنُونِ ، منها ظنونٌ متفائلةٌ ، وهي ظُنونُ المُؤْمنينَ بتحقُّقِ نَصْرِ اللهِ وتجاوُزِ المِحْنَةِ ، وظنونُ المُنافقينَ وضِعافِ الإيمانِ بهزيمةِ المُسلمينَ أمامَ أحزابِ الكُفرِ .

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾

في ذلكَ الوقتِ امتحنَ اللهُ المؤمنينَ وابتلاهُم ، فاضطَّربوا اضطراباً كبيراً ، وتميَّزَتِ الصفوفُ بذلكَ الابتلاءِ ، حيثُ ظهرَ المُؤمنُ قويَّ الإيمانِ ، وثبتَ وجاهدَ وأيقنَ بالنَّصْرِ ، وظهرَ ضعيفُ الإيمانِ الذي سيطرَ عليه الفَزَعُ ، وظهرَ المُنافقُ الذي عَمِلَ علىٰ تحطيمِ مَعنويّاتِ المُؤْمِنينَ .

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾

من نتائجِ الابتلاءِ والزِّلْزالِ الشَّديدِ أَنِ انْكَشَفَ أَمْرُ المُنافِقينَ وضِعافِ الإيمانِ ، حيثُ صارُوا يُطْلِقونَ الإشاعاتِ لإضعافِ هِمَمِ المُجاهدِينَ ، فقالوا لَهم : أنتمْ تَزْعُمونَ أنَّ اللهَ وعَدَكُمْ بالنصرِ ، وأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بشَّرَكُمْ بذلكَ ، إنكُمْ لَنْ تَسْتَطِيعُوا الانْتِصارَ علىٰ هذه الجنودِ الكثيرةِ ، ووَعْدُ اللهِ ورسُولِهِ لكُمْ بذلكَ خِداعٌ وباطِلٌ ، لا حقيقةَ لهُ .

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

من الإشاعاتِ التي أطلقَها المُنافقونَ في غَزْوةِ الأحزابِ ما قالَهُ مجموعةٌ منهُمْ للمُؤمنينَ تشكيكاً لهُمْ : يا أهلَ المدينةِ لا معنىٰ لإقامَتِكُم علىٰ الخَنْدَقِ حُرَّاساً ، ولا داعِيَ لأن تَبْقَوْا مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فارجعُوا إلىٰ بيوتِكُمْ لتأمَنُوا وتَسْلَمُوا مِنَ القَتْلِ .

وجاءَ فريقٌ من المُنافِقين كانُوا خرجُوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ للخندقِ ، يَستأذنُونَهُ لِلعَوْدةِ إلىٰ بيوتِهِمْ ، بهدَفِ إضْعافِ المُجاهِدِينَ ، وقالُوا لَهُ : إنَّ بيوتَنا مكشوفةٌ وليستْ حَصِينَةً ، ونخشىٰ أنْ يُهاجِمَها الُّلصوصُ أو الأعداءُ ويأخذُوا ما فيها ، ونُريدُ أنْ نعودَ لها لِنحرُسَها .

وَهُمْ كاذبونَ في هذا العُذْرِ ، وبيوتُهُمْ ليستْ مكشوفةً ، ولا خَطرَ عليها ، وهدَفُهُمْ مِنْ هذا العُذْرِ الكاذبِ الفِرارُ مِنَ ميدانِ القتالِ ، وعدمُ المُشاركةِ فيهِ .

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأٓتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾

هؤلاءِ المُنافقونَ الكاذبونَ يُريدونَ الفِرارَ مِنَ الجهادِ ، أمَّا عندَ الفِتنةِ فَهُمْ نَشيطونَ ، فلو دخلَ

الأعداءُ عليهِمْ مِنْ كُلِّ جانبٍ وناحيةٍ في المدينةِ ، ثم طلبُوا مِنْهُمُ الفِتْنَةَ بإعلانِ الكُفْرِ أو قتالِ المُسلِمينَ ، لقدَّمُوهَا وفعَلُوها مُسْرِعينَ ، ولم يتأخَّرُوا ـ في تنفيذِ ما يُطلَبُ مِنْهُمْ ـ إلا زَمناً قليلاً يَسيراً ، هُوَ مقدارُ ما يكونُ بينَ السُّؤالِ والجَوابِ .

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾

ضِعافُ الإيمانِ الذينَ تَأَثَّرُوا بإشاعاتِ المُنافقينَ ، وأرادُوا الفِرارَ مِنَ المَيْدانِ خَوْفاً وفَزَعاً ، سَبَقَ أَنْ فعلُوا ذلك في غزوةِ أُحُدٍ ، حيثُ جَبُنُوا عن لقاءِ الكافرينَ ، ثُمَّ تابوا بعدَ الغَزْوَةِ ، وعاهدُوا اللهَ ألاَّ يعودُوا لذلكَ ، ولا يُوَلُّوا الأَدْبارَ ، فلماذا يُريدونَ الفِرارَ من غزوةِ الأحزابِ ؟ وأينَ العهدُ الذي عاهدُوا اللهَ عليهِ ؟ يجبُ الوفاءُ بعهدِ اللهِ ، وسَيَسْأَلُ اللهُ يومَ القيامةِ كُلَّ مَنْ عاهَدَهُ عنِ الوفاءِ بهِ ، فيُثَبِّتُ مَنْ وَفىٰ بهِ ، ويُعاقِبُ مَنْ نقضَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ عِندما يَقعُ المُؤمنُ في شِدَّةٍ يجبُ عليهِ أنْ يتذكَّرَ نِعَمَ اللهِ عليهِ ليَحْمَدَهُ ويشكُرَهُ عليها .

٢ـ اللهُ مَعَ أوليائِهِ ، يَحفظُهُمْ وينصُرُهمْ ، ويَهزمُ أعداءَهمْ ، ويُبطِلُ مكائِدهُم ، كما حصلَ يومَ الأَحْزَابِ .

٣ـ يُمكنُ أنْ يخافَ المُؤمنُ عندَ الخَطَرِ قليلاً ، لكنْ عليهِ أنْ يتغلَّبَ علىٰ خوفهِ وفَزَعِهِ بتقويةِ إيمانِهِ ، وألاَّ يَجْعلَ الخَوْفَ جُبْناً دائماً .

٤ـ يَنشطُ ضِعافُ الإيمانِ ، والمُنافقونَ عندَ الخَطَرِ لِنَشْرِ الإشاعاتِ ، بِهَدَفِ إضْعافِ الجَبْهةِ الدّاخليَّةِ .

٥ـ المُنافقُ جبانٌ يَفرُّ من الميدانِ الجهادِيِّ ، لكنَّهُ نشيطٌ فعّالٌ عندَ الفتنةِ وتفريقِ الصفِّ .

٦ـ علىٰ كلِّ مَنْ عاهدَ اللهَ عَهْداً أنْ يَفِيَ بهِ ، وسَيَسْأَلُهُ اللهُ عنِ الوفاءِ يومَ القيامةِ .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ذُكِرَتْ كلمةُ « الجُنودِ » مرَّتَيْنِ ، في الآيةِ الأولىٰ من آياتِ الدَّرْسِ ، ما المرادُ بها في كلِّ مَرَّةٍ ؟

٢ـ حَدِّدِ المرادَ بقوله : ﴿مِنْ فَوقِكُم وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ .

٣ـ مَنِ الذين زَاغَتْ أبصارُهُمْ وبلَغَتْ قلوبُهمُ الحناجرَ ؟ وعلىٰ ماذا يدلُّ ذلكَ ؟

٤ـ ما الفرقُ بينَ ظَنِّ المؤمنينَ وظَنِّ المُنافقينَ في غزوةِ الأَحْزابِ ؟

٥ـ ماذا قالَ المُنافقونَ عن وَعْدِ اللهِ ورسولهِ ؟ وما معنىٰ قولِهم ؟

٦ـ بماذا نصحَ المُنافقونَ المُجاهدينَ من أهلِ يثربَ ؟

٧ـ بماذا اعتذرَ المُنافقونَ لمغادرةِ المَيْدانِ ؟ وماذا قالَ اللهُ عن عُذْرِهم ؟

نَشاطٌ :

اقرأْ غزوةَ الأَحْزابِ في السِّيرَةِ ، واستخرجْ منها وَعْدَ رسولِ اللهِ ﷺ المسلمينَ بالنَّصْرِ ، في أثناءِ حَفْرِ الخَنْدَقِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامِسُ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى
يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾
۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ
ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى
ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **تُمتَّعُونَ** : تَسْتَمْتِعُونَ في الدُّنيا .
- **يَعصِمُكُمْ** : يَحميكُمْ ويَمنعُكمْ .
- **المُعَوِّقينَ** : الّذين يُثَبِّطُونَ المُؤمِنينَ عن الجهادِ ، ويَدْعُونهمْ للقُعودِ .
- **هَلُمَّ إلينا** : تعالَوْا إلينا .
- **البأْسَ** : الحربَ والقتالَ .
- **أَشِحَّةً عليكُم** : بُخلاءَ لا يُقدِّمونَ ما ينفعُ الأُمّةَ .
- **بألسنةٍ حدادٍ** : كَلَّموكُمْ بألسنةٍ حادَّةٍ سليطةٍ .
- **أَشِحَّةً علىٰ الخيرِ** : بخلاءَ حريصينَ علىٰ الغنائمِ .
- **أَحْبَطَ اللهُ أعْمَالَهُمْ** : أبطلَ اللهُ نتائجَ أعمالِهم وثمارَها .
- **علىٰ اللهِ يسيراً** : سهلاً هيِّناً علىٰ اللهِ .
- **بادونَ في الأعرابِ** : يَسكُنونَ مَعَ الأعرابِ في الباديةِ .



بعدَ حديثِ الآياتِ عن إشاعاتِ المُنافقينَ والّذينَ في قُلوبهمْ مَرَضٌ لنشْرِ الفتْنَةِ وإضْعافِ عزائمِ المُؤْمنينَ ، تَنتقلُ لتَصفَ بعضَ أعمالِ الجُبناءِ وأقْوالِهِمْ ، أُولئكَ ، الذين قَعَدُوا عن القتالِ ، ولكنَّهمُ استمرُّوا في تثبيطِ هِمَمِ المُجاهدينَ .

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

يَظُنُّ الجُبناءُ أنَّهم بفرارِهِم مِنَ القِتالِ تَطُولُ أعمارُهُمْ ويَسْلَمُونَ ، ولذلكَ يأْمُرُ اللهُ رَسُولَه ﷺ أنْ يقولَ لَهُمْ : إنَّ فِرارَكُم من المَيْدانِ خَوْفاً مِنَ القَتْلِ لن يَنْفَعَكُمْ ، ولَنْ يُطيلَ أعْمارَكُم ، أو يُؤخِّرَ آجالَكُمْ ، لأنَّ اللهَ حدَّدَ أعْمارَكُمْ ، وعندما يَأتيكُمُ الموتُ ستموتونَ ، فأنتُم في فرارِكُمْ من القتالِ تَسْتَمتِعُونَ زَمَناً قليلاً بمَتاعِ الدُّنيا ، لأنكمْ لا بدَّ أنْ تموتُوا مهما تمتَّعتُم بدنياكُمْ .

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

وأمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لأُولئكَ الجُبَناءِ المُتَخلِّفينَ : إنَّ اللهَ قادرٌ عليكُمْ ، يَفْعَلُ بكُم ما يشاءُ ، لا رادَّ لأمْرِهِ ، ولا أحدَ يستطيعُ أنْ يَعصِمَكُم ويَحميكُمْ مِنْ قَدَرِ اللهِ مَهما أُوتيَ من قُوةٍ ، فإنْ أرادَ اللهُ بكُم سوءاً وضرّاً لا يَقدِرُ أحدٌ علىٰ مَنْعِه ودَفْعِهِ ، وإنْ أرادَ بكُم رَحْمَةً لا يقدِرُ أحدٌ علىٰ إمْساكِها عَنْكُمْ ، فَمَا قدَّرَهُ اللهُ بكُم واقعٌ ، ولا تَجِدُونَ مِنْ دونِ اللهِ وليّاً يتولَّىٰ أُمورَكُم ، ولا نَصيراً يَنصُرُكُم ، فلماذا تَفِرُّونَ مِنَ القتالِ ؟ والأُمُورُ كلُّها بيدِ اللهِ .

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنِ الجُبناءِ الفارّينَ إلىٰ الحَديثِ عَنِ المُعوِّقينَ الّذينَ يُضعِفُونَ المُؤْمِنينَ عَنِ الجهادِ ، ويُعيقونَ خروجَهُمْ لِلْمَيْدانِ بالمُعوِّقاتِ .

يقولُ اللهُ لِلْمُؤْمنينَ : إنَّ اللهَ يعلمُ عِلْماً دقيقاً الّذينَ يُعوِّقُونكُمْ ويُثَبِّطُونكُمْ عن الخُروجِ للقتالِ ، ويَنشُرونَ الإشاعاتِ بينكُم لتقعُدُوا عن الخروجِ ، ويقولونَ لكُم : تعالَوْا إلينا ، واقعدُوا معَنا ، واستَمتِعوا بالطّعامِ والشّرابِ والرّاحةِ والظّلالِ ، ولا تَخرُجوا للقتالِ .

وعندما يُكلَّفُ هؤلاءِ المُعوِّقُونَ بالقتالِ يُنفِّذونَ ذلكَ علىٰ كُرْهٍ منهُم ، ويخرجُونَ للبأسِ والشِدَّةِ ، لكنَّهُم لا يثبتونَ في المَيْدانِ إلاّ فترةً زمنيةً قصيرةً ، سَرْعانَ ما يُغادِرونَ المَيْدانَ طلباً للنَّجاةِ .

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ .

ويقولُ اللهُ للمؤمنين : هؤلاءِ المُعوِّقُون بُخَلاءُ عليكُم بأنفُسِهِمْ وأَمْوالِهِمْ ، فلا يُعاوِنونكُم بأنفُسِهِم في المعركةِ ، ولا يَدْعَمُونَكُم بالمالِ للقتالِ ، وهم يَجْمعونَ بينَ البُخْلِ والجُبْنِ ، ومِنْ جُبنِهِم أنَّهم عِنْدَما يَبْدَأُ القتالُ ، وتحدُثُ أسبابُ الخوفِ ، يُسيطِرُ عليهِمُ الجبنُ والخوفُ والفزَعُ ، وعندما تنظرُ إليهِم تَراهُم يَنظرونَ إليكَ بهَلَعٍ ، كما يَنظرُ الإنسانُ الّذي يُغْشَىٰ عليهِ ، ويُعانِي سَكَرَاتِ المَوْتِ ، حيثُ تدورُ أعينُهم بفزعٍ وهلَعٍ ، وينظرُونَ إلى مَنْ أمامَهُم برُعْبٍ واضطرابٍ ، فإذا انتهَتِ المعركةُ ، وذَهَبَتْ أسبابُ الخوفِ آذَوا المُسلمينَ المُجاهِدِينَ بِألسِنَتِهِم ، ورَمَوْهُم بأَلْسِنَةٍ حادّةٍ سليطةٍ مؤذيةٍ ، وطالبُوا بالأموالِ والغنائمِ بِحدَّةٍ وبُخلٍ .

إنَّهم عندَ القتالِ جُبناءُ ، وعندَ الغنائمِ بُخلاءُ ، وهم لم يُؤمِنُوا في الحقيقةِ ، لأنَّهم مُنافقونَ ، يُظْهِرُونَ الإيمانَ بألسنتِهِم ، ويُخْفونَ الكُفْرَ في قُلوبِهِم ، ولذلكَ أحْبطَ اللهُ أعمالَهُم ، فلم تَنْفعْهُم ولم يَقبَلْها منهُم ، وهذا أمرٌ سَهْلٌ يسيرٌ علىٰ اللهِ .

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

مِنْ شدَّةِ خَوفِ المُنافقينَ وجُبنهِم أنَّهم يَظنُّونَ أحزابَ الكُفرِ المُحاصِرينَ للمدينةِ ، من قريشٍ وغيرِها لم يَذهَبوا ولم يَنْسَحِبوا ، معَ أنّهم انسحبوا مَهْزومينَ ، فالجُبناءُ غائبونَ عَنِ الساحةِ ، ولا يَعرفُونَ ما يَجري .

وإذا عادَت أحزابُ الكُفْرِ إلىٰ المدينةِ لقتالِكُم ، يَتمنَّىٰ المُنافقونَ ألاّ يكونوا حَاضِرينَ مُقيمينَ معكُم في المدينةِ ، بل يكونُونَ في الباديةِ معَ الأعرابِ ، يسألونَ الناسَ عن أنبائِكُمْ ويتوَقَّعونَ إبادتَكُم والقضاءَ عليكُم .

وإذا كانَ هؤلاءِ المُنافقونَ الجُبَناءُ معكُم عندَ نُشوبِ المعركةِ ، فسوفَ يَخرجُونَ ويُقاتِلونَ مُكْرَهينَ ، مِنْ دُونِ حَماسٍ أوِ اندفاعٍ ، ولذلكَ يُسارِعونَ إلى الفِرارِ مِنَ الميدانِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العُمْرُ مُحَدَّدٌ ، والإقدامُ لا يُقصِّرُه ، والجُبنُ لا يُطيلُه .

٢ـ الأمرُ كلُّهُ بيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، ولا أحدَ يَحْمِي الناسَ مِنْ عَذَابِ اللهِ ، أو يُمسِكُ عنهُم رحمةَ اللهِ .

٣ـ أعداءُ المُسْلِمينَ في الدّاخِلِ هُمُ الذينَ يُعوِّقونَهُم عَنِ الجهادِ ، ويَنشُرونَ بينَهُمُ الإشاعاتِ .

٤ـ الجبانُ فَزِعٌ خائفٌ من القِتَالِ ، سَلِيطُ اللِّسانِ وحادُّ الانْتِقادِ عندَ الرَّخاءِ .

٥ـ المُنافقونَ والجُبناءُ لا يُشاركونَ المُسْلِمينَ الاهْتِمامَ في أَوْقاتِ الخَطَرِ ، ويَهرُبونَ طَلَباً للنَّجاةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماذا أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يقولَ للجُبناءِ الفارّينَ مِنَ الميدانِ ؟ وما دَلالةُ ذلكَ ؟

٢ـ استخرجْ من آياتِ الدرسِ أربعَ صفاتٍ للمُنافقينَ المُعوِّقينَ للمُؤْمنينَ .

٣ـ اذكرِ الصُّورَةَ التي رَسَمَتْهَا الآياتُ للجُبَنَاءِ عِنْدَ الخَوْفِ ، والصُّوْرَةَ الأُخرىٰ لهم عندَ زَوالِ الخوفِ .

٤ـ ماذا يَوَدُّ الجُبناءُ أن يَكونُوا عندَ مجيءِ الأحزابِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفتركَ آخرَ الآيةِ (٧٧) من سورةِ النّساءِ ، وأوّلَ الآيةِ (٧٨) من السّورةِ نفسها ، واستخرجْ منهما حَقِيْقَتَيْنِ حَوْلَ مَتاعِ الدُّنيا القَليلِ وحتميّةِ المَوْتِ .

٢ ـ استخرجْ مِنْ سورةِ التوبةِ آيةً تتحدثُ عَنْ خَوفِ المُنافقينَ وجُبْنِهم ، وتُصوِّرُهُمْ وَهُمْ يَبحثونَ عن مَلْجأٍ أو مغاراتٍ أو مَدْخلٍ ، واذكرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآيةِ (١٩) من هذه السورة ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ
ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ
لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن
صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا
لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

أُسْوةٌ حَسَنةٌ	قُدْوةٌ صالحةٌ نافعةٌ .
يَرجو اللهَ	يُؤمنُ بلقاءِ اللهِ ويَطْمَعُ في ثوابهِ .
قضىٰ نَحْبَه	وَفَىٰ بنَذْرِهِ وعَهْدِهِ ، فماتَ صادقاً ، أو قُتِلَ شهيداً .
ينتظرُ	بقيَ ثابتاً ينتظرُ الشهادةَ .
ما بدَّلُوا	ما نقضُوا العهدَ وما غيَّروهُ .
غَيظهِم	حِقْدِهِم علىٰ المُسْلمينَ .
لَمْ يَنالوا خَيراً	لم يَنتصرُوا علىٰ المُسْلِمينَ .
ظاهَرُوهُم	عَاوَنوهُم وسَاعَدوهُمْ .
من أهلِ الكتابِ	يهودِ بني قريظةَ .
من صَياصِيهِمْ	من حُصُونهِم .
وأرضاً لم تَطؤُوها	أرضاً قادمةً ، لم تَصِلُوها بعدُ ، وهي خَيْبرُ .



التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنِ المُنافقينَ والجُبناءِ ، وأساليبِهِمُ الخبيثةِ في تعويقِ المُجاهدينَ ، وإضْعافِ مَعْنويَّاتِهم إلىٰ الثناءِ علىٰ مَوْقِفِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِهِ في غزوةِ الأحزابِ ، والدَّعْوَةِ إلىٰ الاقتداءِ بهم ، وبيانِ ما انتهَتْ إليه الغزوةُ .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

يدعُو اللهُ المُؤْمِنِينَ إلىٰ الاقْتِدَاءِ برسُولِ اللهِ ﷺ ، ويقولُ لهم : أيّها المُؤمنُونَ ، لكُم في رسولِ اللهِ ﷺ قدوةٌ صالحةٌ ، تقتدُونَ بهِ في أقوالِهِ وأفعالِه ، ومواقفِهِ وجهادِهِ ، فهو مَثَلُكُم الأعلىٰ في الشَّجاعةِ والصَّبرِ والجِهادِ .

ولا يَقتدي بهِ حَقّاً إلاّ المؤمنُ الذي يُؤمِنُ بلقاءِ اللهِ ، ويَطْمَعُ في ثوابهِ ، ويَخشىٰ عذابَهُ ، ويَذْكُرُ اللهَ كثيراً في ليلِهِ ونهارِه .

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يُثني اللهُ علىٰ المُؤْمنينَ لِثَباتِهم علىٰ إيمانِهم ويَقينِهم لَمَّا رَأوْا أحزابَ الكُفْرِ تُحاصِرُهُمْ في المدينةِ ، تُريدُ القَضاءَ عليهِم ، لم يَجبُنوا ولم يَفِرُّوا بل ثَبتوا علىٰ الحقِّ ، وقالُوا : هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورسولُه من الابتلاءِ بمواجهةِ الأعداءِ وجهادِهم ثم الانتصارِ عَلَيْهِمْ ، وَصَدقَ اللهُ ورسولُه في الوَعْدِ ، وما زادَهُم هجومُ الأعداءِ إلا إيماناً باللهِ ، وَتَسْليماً لِقَضائه ، وانقياداً له ، وطاعةً لِرَسُولِه .

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

إذا كانَ المُنافقونَ وضِعافُ الإيمانِ يَنقُضونَ العَهْدَ ويَفِرُّونَ مِنَ الميدانِ ، فإنَّ المُؤمنينَ الصَّادقينَ علىٰ عكسِ ذلك ، فَهُمْ عاهَدُوا اللهَ علىٰ الجِهادِ والصَّبْرِ والثّباتِ ، ولَمَّا هاجَمَتْهُم أحزابُ الكُفْرِ جاهَدُوهُمْ ، وصَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ ، وكانوا رجالَ جهادٍ وشجاعةٍ ، منهم مَنْ وَفَىٰ بعهدِه ونَذْرِه ، وأتاهُ أجلُهُ ، واستُشْهِدَ في غَزَواتِ بَدْرٍ أو أُحُدٍ أو غيرِها ، ومِنهُمْ مَن استمرَّ علىٰ جهادِه ، ووَفَىٰ بعهدِهِ ، وهو ينتظِرُ قضاءَ اللهِ والشَّهادةَ في سبيلِه ، ولم يُبدِّلْ أو يُغيِّرْ في عهدِهِ ، ولم يَنْقُضْهُ ويُخْلِفْهُ ، وبذلكَ نالَ الكرامةَ عندَ اللهِ .

﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

هذا بيانٌ لحِكمةِ ابتلاءِ اللهِ لِلْمُؤْمنينَ بالجهادِ وقتالِ الأعداءِ ، فاللهُ أرادَ ذلكَ لِيَميزَ المُؤمنَ الشُّجاعَ مِنَ المُنافقِ الجَبانِ ، فالمُؤمنونَ يَصْدُقُونَ ما عاهَدْوا اللهَ عليهِ ، ويُجاهِدُونَ الأعداءَ ، واللهُ يَجزيهم أحسنَ الجزاءِ لِصدْقِهِمْ ووَفائِهِمْ ، والمُنافِقونَ يَنقضُونَ عَهْدَ اللهِ ويتخلَّفُونَ عنِ الجهادِ ، واللهُ سيُعَذِّبُهُمُ العذابَ الشَّديدَ إنْ أصرُّوا علىٰ الكُفْرِ والنِّفاقِ ، وماتُوا عَلَيْهِ ، ويتوبُ عليهم إنْ تَخلَّوْا عَنِ النِّفاقِ ، وصَدَقُوا في إيمانِهِم .

واللهُ غفورٌ رحيمٌ ، يغفرُ لعبادِهِ التائبينَ ذُنُوبَهُم ، ويَرحَمُهُم بتوفيقِهِم لطاعتِهِ .

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

تتحدَّثُ الآيةُ عن نهايةِ غزوةِ الأحزابِ ، فاللهُ أَجْلىٰ أحزابَ الكُفْرِ عَنِ المدينةِ ، ورَدَّهُمْ بغيظِهِمْ وَحِقْدِهِمْ ، فرَجَعُوا خائبينَ خاسِرينَ ، ولم يَنالُوا خَيْراً ، ولم يُحَقِّقُوا أهدافَهُمُ الراميةَ إلى القضاءِ علىٰ المُسْلِمينَ ، بعد حِصارٍ لِلمُسْلِمينَ استمرَّ شَهْراً .

وكفىٰ اللهُ المُؤْمِنينَ قِتالَ الأحزابِ ، فلم يُحْوِجْهُمْ إلىٰ قتالِهِمْ ، لأنَّ اللهَ هو الَّذي ردَّهُمْ وهَزَمَهُمْ ، واللهُ قَويٌّ قادِرٌ قاهِرٌ ، وعزيزٌ لا يَغلِبُهُ ولا يَقْهَرُهُ أحدٌ .

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

هَزمَ اللهُ أحزابَ المُشركينَ ، وأَرْعَبَ حُلفاءَهُمْ مِنْ يهودِ بني قُريظةَ ، الَّذينَ نَقَضُوا عَهْدَهُم مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ ، فَبَعْدَما انسحبَ المُشْرِكونَ حاصَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بني قُريظةَ ، لأنَّهم نَقضُوا العهدَ وظاهَرُوا المُشركينَ وعاوَنوهُمْ .

أنزلَ اللهُ يهودَ بَني قُريظةَ مِنْ حُصونهِمُ المَنيعةِ ، وقَذَفَ في قُلوبِهِمُ الرُّعْبَ والفَزَعَ ، فاسْتَسْلَمُوا للمُسْلِمينَ ، ونَزَلُوا علىٰ حُكْمِ سَعْدِ بنِ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فحَكَمَ بقتلِ رجالِهِم لِنقْضِهِمُ العَهْدَ ، وسَبْيِ نسائِهِم وأولادِهِم ، ونَفَّذَ رسولُ اللهِ ﷺ حُكْمَ سعدِ بنِ مُعاذٍ ، لأنَّهُ حَكمَ فيهم بحُكمِ اللهِ ، كما أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ .

وقَتَلَ المُسلمونَ رجالَهُم ، وأَسَروا نِساءَهُم وأولادَهُمْ ، وأوْرَثَ اللهُ المُسلمينَ أرضَ بني قُريظةَ

وديارَهُم وأموالَهُمْ ، ووعَدَهُم بأخْذِ أراضٍ لليهودِ لم تطأْهَا أَقْدامُهُمْ بَعْدُ ، وَهِيَ أَرْضُ خَيْبَرَ ، التي أخذَها المُسلمونَ بعدَ سَنةٍ تقريباً ، واللهُ قديرٌ علىٰ كلِّ شيءٍ ، يفعلُ مايشاءُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وُجوبُ الاقتداءِ برسولِ اللهِ ﷺ في حياتِه وسيرَتِه .

٢ـ الأخطارُ والتحدِّياتُ تَزيدُ المُؤمنينَ إيماناً وتصديقاً ، وَثِقةً وَتَسْليماً .

٣ـ المُؤْمِنُونَ الصَّادِقُوْنَ يَصْدُقُونَ في الطَّاعةِ والجهادِ ، ويُوفُونَ بعهدِهم معَ اللهِ .

٤ـ يُقْتَلُ المُتآمِرونَ علىٰ المُسْلِمينَ ، الذينَ ينْقُضونَ عهدَهُم مَعَهُم ، كما حصلَ معَ يهودِ بني قُريظةَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بيِّنْ معنىٰ ما يلي : أُسوةٌ حَسَنَةٌ ، قضىٰ نَحْبَه ، ظاهَرُوهم ، مِنْ صَياصِيْهِمْ .

٢ـ ماذا قالَ المُؤمنونَ عندما رأوا الأحزابَ ؟ وما أثرُ ذلكَ فيهم ؟

٣ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ ثناءَها علىٰ الرِّجالِ الذي صَدَقُوا ، وَجَزاءَهُمْ عندَ اللهِ .

٤ـ اذكُرْ حُكْمَ سَعدِ بنِ مُعاذٍ في يهودِ بني قُريظةَ ، ولماذا ؟ وعلىٰ ماذا يدلُّ ذلكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ في سُورةِ آلِ عمرانَ آيةٌ تُثني علىٰ المؤمنينَ الّذينَ رَدُّوا علىٰ مَنْ خَوَّفَهُم مِنَ الكُفّارِ بقولِهِمْ ﴿حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيل﴾ سجِّلِ الآيةَ في دفترِكَ واكتبْ سببَ نزولِها .

٢ـ ممَّنْ تنطبقُ عليه الآيةُ ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾ أَنسُ بنُ النَّضرِ الذي استُشْهِدَ يومَ أُحُدٍ ، اكتُبِ العهدَ الذي قَطَعَهُ علىٰ نَفسِه .

٣ـ اكتبْ في دفترِكَ كيفَ نقضَ بنو قُريظةَ عهدَهُم مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ
وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

معاني المُفْرَداتِ :

لأزواجِكَ : لِنسائِكَ .

أُمَتِّعْكُنَّ : أُعْطِيكُنَّ المُتعةَ ، وهي ما يُعطىٰ للمُطَلَّقةِ من مالٍ أو متاعٍ .

فاحشةٍ مُبيِّنةٍ : مَعْصيةٍ كبيرةٍ ظاهرةِ القُبحِ .

يُضاعَفْ لها العذابُ ضِعْفَيْنِ : تُعذَّبْ مِثْلَيْ عذابِ غيرِها .

يَقنُتْ : يُطِعِ اللهَ في سُكونٍ وخُشوعٍ .

نُؤْتِها أجرَها مرَّتَين : نُعْطِها مِثْلَيْ ثَوابِ غيرِها .

التفسيرُ :

تَنتقِلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عن انتهاءِ المِحْنَةِ في غَزوةِ الأحزابِ ، بهزيمةِ أحزابِ المُشْركينَ وانْسحابِهم ، وقَتْلِ حُلَفائِهم مِنْ يهودِ بني قُريظةَ ، إلىٰ الحديثِ عَنْ نساءِ النبيِّ ﷺ وتقديمِ توجيهاتٍ لهُنَّ ، ولنساءِ المُسْلِمينَ مِنْ خِلالِهنَّ .

وقد اجتمَعَتْ نِساءُ النَّبيِّ ﷺ ، وطَلَبْنَ مِنهُ التَّوْسِعَةَ في النَّفقَةِ ، والتَّمتُّعَ بزينةِ الحياةِ الدُّنْيا

ومتاعِها ، ولعلَّهُنَّ توقَّعْنَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حَصَلَ علىٰ مالٍ كثيرٍ مِنْ فَيءِ بني قُريظةَ وغَنائِمِهِم ، فطلَبْنَ مِنهُ ذلكَ الطلَبَ بعدَ انتهاءِ غَزْوةِ الأحزابِ وقَتْلِ بني قُريظةَ .

وقد تألَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ طَلَبِهِنَّ ، فأنزلَ اللهُ هذهِ الآياتِ ، يَطلبُ مِنهُ أنْ يُخيِّرَهُنَّ بينَ الدُّنيا والآخرةِ ، فاختَرْنَ الآخِرَةَ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

لَمَّا طلبَتْ نساءُ النَّبيِّ ﷺ منه التَّوْسعَةَ عليهنَّ أمرهُ اللهُ بتخييرهنَّ ، فقالَ له : يا أيُّها النبيُّ قُلْ لأَزْواجِكَ : اخترْنَ لأنفُسِكُنَّ إحدىٰ طَريقتَيْن : طريقِ الدنيا أو طريقِ الآخرةِ .

فإنْ اختَرتُنَّ الحياةَ الدنيا وزينتَها ، والتَّمتُّعَ بمتاعِها وملذّاتِها المُباحةِ ، فلا أقْدِرُ علىٰ تقديم ذلكَ لَكُنَّ ، لأنّي لا أملِكُهُ ، وليسَ عندي مِنهُ إلا الكَفافُ والقليلُ ، وحينئذٍ تَعالَيْنَ أقدِّمْ لَكُنَّ المُتعةَ ، وأُعطيكُنَّ مالاً هديةً وَتطييباً لخاطِرِكُنَّ ، ثم أُطلِّقكُنَّ طَلاقاً جَميلاً ، لا ضررَ فيهِ ولا أذىٰ .

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

وإنْ أردْتُنَّ رضا اللهِ ورسولهِ والدارَ الآخرةَ ونعيمَ الجنّةِ ، فَلْتَصْبِرْنَ مَعِيَ علىٰ الكَفافِ ، والتقلُّلِ من متاعِ الحياةِ الدُّنيا وزينتِها ، وعَلَيكُنَّ الإحسانُ في العبادةِ والطاعةِ ، فإنْ فعلْتُنَّ ذلكَ آتاكُنَّ اللهُ الثَّوابَ الجزيلَ والأَجْرَ العظيمَ ، لأنَّ اللهَ يُؤتي كلَّ مُحْسِنَةٍ ومُحْسِنٍ الخَيْرَ الكثيرَ في الجنَّةِ .

ولمَّا خَيَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ نِساءَهُ كمَا أمرَهُ اللهُ اختَرْنَ جميعاً اللهَ ورسولَهُ ﷺ والدارَ الآخِرَةَ ، وصَبَرْنَ علىٰ التقلُّلِ مِنَ الحياةِ الدُّنْيا وزينَتِها ، وقد أكرمَهُنَّ اللهُ بأنْ جعلَهُنَّ أُمهاتٍ لِلمُؤْمنينَ ، وحرَّمَ الزواجَ مِنْهُنَّ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ . كما قال تعالىٰ : ﴿وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذوا رَسولَ اللهِ ولا أنْ تَنْكِحوا أزْواجَهُ مِنْ بَعدِهِ أبَداً إنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللهِ عَظيماً﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ .

بعدَما خَيَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ نساءَهُ فاختَرْنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرَةَ ، وعَظَهُنَّ اللهُ ونَصَحَهُنَّ وهَدَّدَهُنَّ بِمُضاعَفَةِ العذابِ عندَ المَعْصِيَةِ ، وبشَّرهُنَّ بمُضاعَفةِ الثَّوابِ عندَ الطّاعةِ .

قالَ اللهُ لَهنَّ : يا نساءَ النبيِّ ، عليكُنَّ الالتزامُ بالطاعةِ وتَرْكُ المَعْصيةِ ، ولستُنَّ كباقي النِّساءِ ، ومَكانُكُنَّ عظيمٌ ، لأنَّكُنَّ أزواجٌ لأفضلِ الخَلْقِ ، وأيُّ امرأةٍ مِنكُنَّ ترتَكِبُ فاحِشةً ، وتعملُ مَعْصيةً كبيرةً ظاهرةَ القُبْحِ ، كالنُّشوزِ وعُقوقِ الزوجِ وسُوءِ الخُلُقِ ، فإنَّ عِقابَها يكونُ مُضاعَفاً ، حيثُ

تُعذَّبُ مِثْلَيْ عذابِ غيرِها من المُسْلماتِ ، لِشَرفِ مَنْزلَتِها . وتضعيفُ عذابِها هَيِّنٌ يسيرٌ على اللهِ تعالىٰ .

وليسَ المرادُ بالفاحشةِ المُبَيِّنةِ هنا فاحشةُ الزِّنا ، لأنَّ اللهَ عَصَمَ رسولَه ﷺ ، وحَفِظَ شَرَفَهُ وعِرْضَهُ من فاحشةِ الزِّنا ، كما حَفِظَ باقي الأنبياءِ ، فلم تَزْنِ امرأةُ نبيٍّ قَطُّ .

﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ .

بعدما هدَّدَهُنَّ بمضاعفةِ العذابِ عندَ المعصيةِ ، رَغَّبَهُنَّ اللهُ بِمُضاعَفَةِ الثَّوابِ عندَ الطّاعةِ فقالَ لَهُنَّ : ومَنْ تُطِعْ مِنكُنَّ اللهَ ورسولَهُ ، فتقنُتْ وتَخشَعْ وتعملِ الأعمالَ الصالحةَ نُضاعِفْ لها الثَّوابَ ضِعْفَينِ ونُؤْتِها أَجْرَها مرَّتينِ في الجنّةِ ، لِشَرَفِ مَنْزِلَتِها ، وسنُعِدُّ لها رِزْقاً كريماً طَيِّباً دائِماً في الجنَّةِ ، لا نفادَ ولا انْقِطَاعَ لهُ ، تَكْريماً لها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كان رسولُ اللهِ ﷺ زاهداً في الدُّنيا ، لم يَمْلِكْ منها إلاّ الكَفافَ ، رَغبةً في الآخرةِ ، وزُهْداً في الدُّنيا .

٢ـ عندما يُخيَّرُ المسلمُ بينَ الإكثارِ من مُباحاتِ الدُّنيا أو الدَّارِ الآخِرَةِ عَلَيْهِ أنْ يَخْتارَ الآخرةَ ، كَنِساءِ النَّبيِّ ﷺ .

٣ـ كُلَّما عَلَتْ منزلةُ المسلمِ زادَ تحرُّجُهُ من المُخالَفَةِ ، وإقبالُهُ علىٰ الطَّاعةِ ؛ لأنَّهُ قُدْوَةٌ لِمَنْ دُونَهُ .

٤ـ مِنْ عَدْلِ اللهِ مُضاعَفَةُ العَذابِ لِمَنْ يفحُشُ صُدُورُ المَعْصِيةِ منه ، وَمِنْ فَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ مضاعفةُ الثوابِ للمُقرَّبينَ المُحْسنينَ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا خيَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ نساءَهُ ؟

٢ـ بماذا خَيَّرَهُنَّ ؟

٣ـ وماذا اخترْنَ ؟ وَعَلامَ يدلُّ ذلكَ ؟

٤ـ ما معنىٰ قوله : ﴿فتعالَيْنَ أُمتعْكُنَّ وأُسرِحْكُنَّ . .﴾ ؟

٥ـ ما المرادُ بالفاحشةِ المُبيِّنةِ ؟

٦ـ لماذا يُضاعِفُ اللهُ العذابَ ضِعفَيْنِ لمُرْتَكبةِ الكبيرةِ من نساءِ النَّبيِّ ﷺ ؟

٧ـ بماذا يُكافِئُ اللهُ امرأةَ النَّبيِّ ﷺ عندما تقنُتُ للهِ وتعملُ صالِحاً ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذكرْ نَوْعَيْنِ مِنَ العباداتِ والطّاعاتِ يُضاعِفُ اللهُ أَجْرَها لأصْحابِها ، واذكُرِ الأماكنَ المُباركَةَ التي يُضَاعِفُ اللهُ فيها الصّلواتِ لأصْحابِها ، واكتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٢ـ اذكرْ أَوَّلَ مَنْ خَيَّرَها رَسولُ اللهِ ﷺ مِنْ نسائِه ، وماذا قالَ لها ؟ وبماذا ردَّتْ عليهِ ؟ ويُمكنُكَ معرفةُ ذلك مِنْ كُتُبِ السِّيرةِ والتفسيرِ بالمأثورِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثّامِنُ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ
مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ
أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ
وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ
وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

لَسْتُنَّ كأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ	: لستُنَّ كباقي النِّساءِ في الفَضْلِ .
لا تَخْضَعْنَ بالقولِ	: لا تتكلَّمْنَ مَعَ الرِّجالِ كلاماً ليِّناً مُريباً ، فيهِ تَكَسُّرٌ ودَلالٌ .
في قلبهِ مَرَضٌ	: في قلبِهِ رَغْبَةٌ في الفاحِشَةِ والفُجُورِ .
قولاً معروفاً	: قولاً حَسَناً من غيرِ خُضُوعٍ أو رِيبَةٍ .
قَرْنَ في بيوتِكُنَّ	: الزَمْنَ بُيوتَكُنَّ .
لا تبَرَّجْنَ	: لا تُظْهِرْنَ عَوْرَتَكُنَّ ومَحاسِنَكُنَّ أمامَ الرِّجالِ الأجانبِ .
الجاهليَّةِ الأولىٰ	: ما كانَ عليه الناسُ قبلَ الإسلامِ منَ الكُفْرِ والمَعاصِي .
الرِّجْسَ	: الذَّنْبَ والدَّنَسَ والإِثْمَ .
اذكرْنَ ما يُتلىٰ في بيوتِكُنَّ	: تذكَّرْنَ نِعَمَ اللهِ عليكُنَّ .



تنتقلُ الآياتُ من تهديدِ نساءِ النَّبيِّ ﷺ ، بِمُضاعَفةِ العَذابِ عندَ المَعْصِيةِ ، وتبشيرِهِنَّ بِمُضاعفةِ الثَّوابِ عندَ الطّاعةِ إلىٰ تقديمِ توجيهاتٍ وآدابٍ لَهُنَّ ، وذلكَ ما فيهِ صيانةُ عِرْضِهِنَّ وإذهابُ الرِّجْسِ عنهُنَّ ، وهذهِ التوجيهاتُ ليسَتْ خاصةً بهنَّ ، بل هيَ عامةٌ تشملُ جميعَ النساءِ المُسلماتِ .

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ نساءَ النَّبيِّ ﷺ أنهُنَّ مُتَميِّزاتٌ بالفَضْلِ والمَنْزِلَةِ عن باقي النِّساءِ ، ويَطْلُبُ منهُنَّ عَدَمَ الخُضوعِ والتكسُّرِ في الكلامِ .

يقولُ اللهُ لهُنَّ : يا نساءَ النَّبيِّ أنتُنَّ مُتميِّزاتٌ عن بَقيّةِ النِّساءِ ، ولَيْسَ لكُنَّ شَبيهٌ مِنَ النِّساءِ المُسلماتِ في الشَّرَفِ والكرامةِ والمَنْزِلَةِ ، فأنتُنَّ أزواجٌ لأفْضَلِ البشرِ ﷺ ، ونزَلَ عليهِ القرآنُ في بيوتِكُنَّ ، وشَرَفُكُنَّ مُستمَدٌّ من شَرَفِ زوجِكُنَّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فاعرِفْنَ هذهِ المنزلَةَ ، واحرِصْنَ علىٰ تقوىٰ اللهِ وطاعتِهِ ، والابتعادِ عن مُخالفَتِهِ .

وعندما تُكَلِّمْنَ الرِّجالَ الأجانبَ لحاجةٍ ، ليكُنْ كلامُكُنَّ بجِدٍّ وحَزْمٍ ، ولا تُلِنَّ لَهمُ الكلامَ ، ولا تُرَقِّقْنَهُ بتكسُّرٍ ودلالٍ ، كما تُخاطبُ المرأةُ زَوْجَها ، فإنْ فَعلتُنَّ ذلكَ يَطْمَعُ فيكُنَّ الرِّجالُ الّذينَ في قلوبِهِمْ مَيْلٌ إلىٰ الفُجورِ ، ورَغْبَةٌ في الفاحِشَةِ ، ويظنُّونَ أنَّكُنَّ راغباتٌ في الفُجورِ ، وأنَّ التَّمَكُّنَ منكُنَّ سَهْلٌ .

وقُلْنَ قولاً معروفاً مُباحاً ، بجِدٍّ وحَزْمٍ ، بعيدٍ عن الرِّيبةِ ، وبمقدارِ الحاجةِ .

وهذا التوجيهُ ليسَ خاصّاً بنساءِ النبيِّ ﷺ ، وإنما هو عامٌّ يشملُ النساءَ المُسلماتِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، في كلامِهِنَّ الضروريِّ مَعَ الرجالِ غيرِ المحارمِ .

﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

ويأمرُ اللهُ نساءَ النَّبيِّ ﷺ بالاستقرارِ في البُيوتِ ، وعدمِ التَّبرُّجِ ، والإكثارِ من العباداتِ ، يقولُ لهنّ : الزَمْنَ بيوتَكُنَّ ، فلا تَخْرُجْنَ لغيرِ حاجةٍ ، والأفضلُ للمرأةِ المسلمةِ أَنْ تستقرَّ في بيتِها ، ولا يَليقُ بها أنْ تُكْثِرَ الخُروجَ ، وتسيرَ في الطُّرقاتِ والأسواقِ من غيرِ حاجةٍ .

وعندما تخرُجْنَ احرِصْنَ علىٰ سَتْرِ عَوْراتِكُنَّ ، ولا تتبرَّجْنَ بإظهارِ العَوْراتِ والمَحاسنِ أمامَ

الرِّجالِ الأجانبِ ، وهو ما كانتْ تفعلُهُ النساءُ الكَافِرَاتُ في الجَاهِلِيَّةِ الأُولىٰ ، قبلَ الإسلامِ ونُزولِ الشَّرائعِ والأحكام .

ووجَّهَهُنَّ اللهُ إلىٰ العبادةِ ، فَأمرَهُنَّ بإقامةِ الصَّلاةِ علىٰ وَجْهِها ، وإيتاءِ الزَّكاةِ إلىٰ مُستَحِقِّيها ، والطّاعةِ الشاملَةِ للهِ ورسولِهِ ، في كلِّ ما أُمِرْنَ بهِ ، وكلِّ ما نُهِينَ عنهُ .

ثم بيَّنَ لهُنَّ الحِكْمةَ مِنْ هذهِ التَّوْجيهاتِ ، وَذَكَرَ رَحْمَتَهُ بهنَّ ، وإرادتَهُ عِفَّتَهُنَّ وطهارَتَهُنَّ وتزكِيَتَهُنَّ ، فقال لهنَّ : يُريدُ اللهُ بهذهِ الأوامرِ والنَّواهي والمَواعظِ أنْ يُزيلَ المَأْثَمَ عنكُنَّ ، وَيُطَهِّرَكُنَّ تطهيراً مِنَ المَعاصِي والذُّنُوب .

ونِساءُ الرَّسولِ ﷺ يَدْخُلْنَ في أَهْلِ بيتِهِ . وأَهْلُ بيتِهِ هُمْ أزواجُهُ وأقارِبُهُ ، ومِنْ تكريمِ اللهِ وتشريفِهِ لرَسولِهِ ﷺ تطهيرُهُ لأَهْلِ بَيْتِهِ ، وإذهابُهُ الرِّجْسَ والدَّنَسَ والإثْمَ عَنهُم ، وتحلِيَتُهُم بالفضائِلِ .

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وأمرَهُنَّ اللهُ بتذكُّرِ نعمتهِ عليهِنَّ ، لِيَحْمَدْنَهُ ويَشْكُرْنَهُ عَليْها ، فقالَ لهُنَّ : لقدْ أنعمَ اللهُ عَليْكُنَّ ، فجعلَ بُيوتَكُنَّ مَهْبِطاً للوحْيِ ، فاذكُرْنَ هذهِ النِّعمةَ ، ولا تَنْسَيْنَ ما يُتلَىٰ في بُيوتِكُنَّ من آياتِ القرآنِ وما ينزلُ فيها علىٰ الرسولِ ﷺ من الأحكامِ والتشريعاتِ الحكيمةِ ، واعْمَلْنَ بها .

واللهُ لطيفٌ بعبادِهِ وَفَّقَهُم للالتزامِ بدينهِ ، خبيرٌ بهِمْ ، شرَعَ لهم ما فيه الخيرُ لهم .

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ .

بعد تقديمِ التوجيهاتِ لنساءِ النَّبيِّ ﷺ ـ ولنساءِ المُسلمينَ مِنْ بعدهِنَّ ـ تتحدَّثُ الآيةُ عن بعضِ صفاتِ المُسلمينَ والمُسلماتِ الفاضلةِ ، وأعمالِهِمُ الصالحةِ ، التي استحَقُّوا بها المنزلةَ العاليةَ والأَجْرَ العظيمَ . وذكرَتِ الآيةُ اتِّصافَ المُسلمينَ والمُسْلِماتِ بكلِّ صفةٍ مِنْ تلكَ الصفاتِ لِبَيانِ تَساوي الرِّجالِ والنِّساءِ في التَّكْليفِ والثَّواب .

والصِّفاتُ المَذْكورةُ عَشْرٌ ، هي : الإسلامُ ، والإيمانُ ، والقُنوتُ ، والصِّدْقُ ، والصَّبْرُ ، والخُشوعُ ، والتصدُّقُ ، والصَّومُ ، وحِفْظُ الفرُوجِ ، وذِكْرُ اللهِ كثيراً .

كلُّ من اتَّصفَ بهذهِ الصفاتِ ، وقامَ بتلكَ الأَعْمالِ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ ، فإنَّ اللهَ يغفرُ له ذَنْبَهُ ، ويَتوبُ عليهِ ، ويُدْخِلُهُ الجنَّةَ ، ويُعطيهِ الأجْرَ العظيمَ ، والثَّوابَ الجزيلَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لنساءِ الرَّسولِ ﷺ خصوصياتٌ ليستْ لباقي النساءِ ، لِكَوْنهنَّ أزواجَ الرَّسولِ ﷺ .

٢ـ أمرَ اللهُ في هذه الآياتِ نساءَ رسولِه ﷺ أَوامِرَ ، وَنَهاهُنَّ عَنْ أشياءَ يشارِكُهُنَّ فيها غَيْرُهنَّ مِنَ النِّساءِ .

٣ـ حرَّمَ اللهُ علىٰ النِّساءِ ترقيقَ الكلامِ وتزويقَهُ في مخاطبةِ الرِّجالِ .

٤ـ حرَّمَ اللهُ علىٰ المُؤْمناتِ التَّبرُّجَ ، وذلكَ بإبداءِ ما حرَّمَ اللهُ إظهارَهُ مِنْ زينَتِهِنَّ .

٥ـ نِساءُ الرَّسولِ ﷺ من أَهْلِ بيتِهِ .

٦ـ مَنْ رَمىٰ واحدةً مِنْ نِساءِ الرَّسُولِ ﷺ بالفاحِشَةِ ، فقد كَذَبَ علىٰ اللهِ ، وافْتَرىٰ إثْماً عَظِيماً .

٧ـ النِّساءُ شقائقُ الرِّجالِ ، يَشْتَرِكُونَ في مَوْقِفِهِمْ أمامَ اللهِ ويَتَساوونَ في ذلكَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا لم تَكُنْ نِساءُ النَّبيِّ ﷺ كباقي النِّساءِ ؟ وماذا يُوجبُ هذا عَلَيْهِنَّ ؟

٢ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ نَهْيَيْنِ مُوَجَّهَيْنِ إلىٰ نساءِ النَّبيِّ ﷺ .

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ خمسةَ أوامرَ مُوَجَّهةٍ إلىٰ نساءِ النَّبيِّ ﷺ .

٤ـ ما معنىٰ التبرُّجِ ؟ وما المُرادُ بتبرُّجِ الجاهليَةِ الأولىٰ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ الصِّفاتِ العَشْرَ للرِّجالِ والنِّساءِ ، وبيِّنْ معنىٰ كلِّ واحدةٍ .

نَشاطٌ :

أُذْكُرْ ما يجوزُ للمرأةِ المُسلمةِ إظهارُهُ مِنْ جِسْمها أمامَ الرِّجالِ الأجانبِ ، واذْكُرْ دليلَكَ علىٰ ذلِكَ ، مِنْ آيةِ سُورةِ النُّورِ التي تأمرُ النِّساءَ بِغَضِّ البَصَرِ ، واكتبْهُ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورَةُ الأَحْزابِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ
زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا
قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟
مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا
يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ
وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

قضىٰ اللهُ ورسولُهُ أمْراً : حَكَمَ اللهُ ورسولُه حُكْماً .

الخِيَرَةُ : الاختيارُ .

ضلَّ ضلالاً مُبيناً : انْحَرَفَ انْحِرافاً ظاهِراً .

أنْعَمَ اللهُ عليهِ : مَنَّ اللهُ عليه بالإسلامِ .

وأنعَمْتَ عَلَيْهِ : أعْتَقْتَهُ مِنَ الرِّقِّ ، وهو زيدُ بنُ حارثةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

أمسِكْ عليكَ زوجَكَ : لا تُطَلِّقْ زوجَكَ زينبَ بنتَ جحشٍ .

تُخْفي في نفسِكَ ما اللهُ مُبْديهِ : تُخفي ما سيُظهِرُهُ اللهُ مِنْ زواجِكَ بزينبَ فيما بعدُ .

تخشىٰ الناسَ : تَسْتَحْيي مِنْ كَلامِ النّاسِ .

قضىٰ زيدٌ منها وَطَراً : لم يبقَ لزيدِ بنِ حارثةَ حاجةٌ عندَ زينبَ عندما طلَّقَها .

حَرَجٌ : مَشقةٌ وضِيقٌ .

أزواجِ أَدْعِيائِهِمْ	نساءِ أبنائِهِم بالتَّبنِّي .
فَرَضَ اللهُ له	قَسَمَ وقَدَّرَ اللهُ لَهُ .
خَلَوْا مِنْ قبلُ	مَضَوْا مِنْ قبلُ ، وَهُمُ الرُّسلُ السَّابقونَ .
قَدَراً مقدوُراً	قضاءً نافذاً واقعاً .
حسيباً	حافِظاً لأعمالِ خَلْقِه ، ومُحْصِياً لَها ، ومُحاسِباً لهُم عليها .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ تقديمِ التَّوْجيهاتِ والمَواعظِ لِنساءِ النَّبيِّ ﷺ ونساءِ المُسْلمينَ مِنْ بَعْدِهِنَّ إلى الحديثِ عَنْ زوجةٍ واحِدَةٍ مِنْ أزواجِ النبيِّ ﷺ ، وهي زينبُ بنتُ جَحْشٍ رضيَ اللهُ عنها ، والحكمةِ في تزويجِ اللهِ الرَّسولَ ﷺ منها .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

تُمَهِّدُ الآيةُ لقصَّةِ زواجِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ زَينبَ بنتِ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها ، بتقريرِ وُجوبِ الخُضوعِ لِحُكْمِ اللهِ ورسولِهِ ، وعدمِ مُخالفَتهِ واختيارِ غيرِه .

إذا حكمَ اللهُ وَرَسُولُه حُكماً ، فيجبُ على كلِّ مُؤمنٍ ومُؤمنةٍ أنْ يَقبلُوهُ ويَرْضَوْا به ويُنَفِّذُوهُ ، وما يَنبغي لِمُؤْمنٍ ولا مُؤْمِنةٍ أنْ يختاروا لأنفُسِهم أمْراً يُخالِفُ حُكْمَ اللهِ وحُكْمَ رَسُولِهِ ، وَمَنْ فَعَلَ ذلكَ فَقَدْ عَصىٰ اللهَ ورسولَهُ ، وانحرفَ عنْ طريقِ الخيْرِ والهُدىٰ ، ووقعَ في ضلالٍ بيِّنٍ كبيرٍ .

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وإذا كانَ يجبُ علىٰ المُؤْمِنِ والمُؤْمنةِ عدمُ مُخالفةِ حُكْمِ اللهِ ورسُولِهِ ، فقد نَفَّذَتْ زينبُ بنتُ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها حُكمَ اللهِ ورسولِه ﷺ ، وتزوَّجَتْ زيدَ بنَ حارثةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، مَعَ أنَّها ابنةُ عمَّةِ النبيِّ ﷺ ، وزيدٌ كانَ قبلَ عِتْقِهِ رَقيقاً ، وكانَ في هذا الزَّواجِ إعلانُ المُساواةِ بينَ المُسْلِمينَ ، واعتمادُ التقوىٰ أساساً للتفاضُلِ بينَهُم .

ولكنَّ الزواجَ بينَهُما لم يكُنْ مُستقِرّاً ، وكانتِ الخلافاتُ مستمرَّةً بَيْنَهُما ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصْلِحُ بينَهُما ، ولكنَّهُما لم يَنسجِما لتنافُرِ قلْبَيْهِما ، وبعدَ ذلك وقعَ الطَّلاقُ ، وأمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ

بالزَّواجِ مِنْ زينبَ رضيَ اللهُ عنها ، لإبطالِ كُلِّ آثارِ التَّبنّي .

يقولُ اللهُ لِرَسولِهِ ﷺ : اذكُرْ يا رسولَ اللهِ عِندَما كانَ يَأتيكَ زيدُ بنُ حارثةَ ، الّذي أنْعَمَ اللهُ عليه بالإيمانِ ، وأنعمْتَ عليه بالعِتْقِ والحرّيّةِ ، وكانَ يشكُو إليكَ أذىٰ زَوجهِ زينبَ بنتِ جحشٍ ، فكنْتَ تقولُ له : أَبْقِ علىٰ زَوَاجِكَ بِزَيْنَبَ ، واصْبِرْ عَلَيْها ، ولا تُطلِّقْها ، واتّقِ اللهَ فيها ، فهذا خيرٌ لك ولَها .

وأنتَ في تلكَ النَّصيحةِ لزيدٍ كنْتَ تُخفي في نفْسِكَ ما سيُظْهِرُهُ اللهُ من الحُكْمِ والقَضاءِ ، وهو أنَّ زيداً سيُطلِّقُ زوجَهُ ، وتتَزوَّجُها أنتَ مِنْ بعدهِ ، وقد أعلمَكَ اللهُ بذلكَ ، ومعَ ذلكَ كنْتَ تَنصَحُهُ بما نَصَحْتَهُ بهِ ، وكنتَ في هذا المَوْضوعِ تخافُ مِنْ كلامِ الناسِ ونقْدِهِمْ وتَعييرِهم لكَ ، لأنَّكَ كُنْتَ قد تَبَنَّيْتَ زيداً ، وسيقولُ الناسُ : تزوَّجَ محمدٌ زوجَةَ ابنه! وكانَ الأوْلَىٰ ألاّ تَخْشىٰ النّاسَ ، وإنَّما تَخْشىٰ اللهَ وَحْدَه ، لأنّكَ لمْ تُخْطِىءْ عِنْدَما تَزَوَّجْتَ بِزَيْنَبَ رضيَ اللهُ عنها .

ولمَّا وقَعَ قضاءُ اللهِ ، وقضَىٰ زيدٌ مِنْ زينبَ حاجَتَهُ ، واستحالَ الاتّفاقُ بَينَهُما ، طلَّقَها ، وبعدَما انْتَهَتْ عِدَّتُها مِنْهُ أمَرَكَ اللهُ أنْ تتزوَّجَها ، فاللهُ هو الذي زوَّجَكَ ، والحِكْمةُ مِنْ ذلكَ أنْ يُبطِلَ اللهُ آثارَ التبنّي ، وأنْ يزولَ الحَرَجُ والضِّيقُ علىٰ المُسْلِمينَ ، عندما يُريدونَ التزوُّجَ مِنْ نساءِ أدعيائِهم ، الّذين تَبَنَّوْهُمْ في الجاهليّةِ ، لأنَّهم ليسوا أبناءَهُمْ في الحقيقةِ .

اللهُ هو الّذي قَدَّرَ هذا كُلَّه ، وأمرَكَ بِتَنْفيذِهِ ، ومَعْلومٌ أنَّه لا رادَّ لأَمْرِ اللهِ ، ولا مُلغِيَ لِقَضائِهِ ، لأنهُ نافذٌ واقعٌ مفعولٌ لا مَحالَةَ .

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

لم يُخْطِىءْ رسولُ اللهِ ﷺ في زواجِهِ مِنْ زينبَ بنتِ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها ، لأنَّ اللهَ هو الذي أمرَهُ بذلك وجَعَلَهُ حلالاً لَهُ ، وَمِنْ سُنَّةِ الله في أنبيائِهِ ورُسُله ، أنّهُ لمْ يَجْعَلْ على أيِّ نبيٍّ حَرَجاً أو عَيْباً في أَخْذِهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، وفِعْلِهِ ما أباحَهُ لهُ ، ولَمّا كانَ هذا قَدَراً من اللهِ فهو نافذٌ لا محالةَ ، لأنَّ أمْرَهُ قَدَرٌ واقعٌ نافذٌ لا محالةَ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾

رفعَ اللهُ الحَرَجَ عَنْ أنبياءِ اللهِ ورُسلهِ فيما فَرَضَهُ وأباحَهُ لهم ، وفي مقدِّمتِهم خاتَمُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ ، وجعلَ مَهَمَّتَهُمُ العظيمةَ هي تبليغُ رسالاتِ اللهِ وشرائعهِ كاملةً للناسِ ، تبليغاً كاملاً ، لا يَكتمُونَ مِنْها شَيْئاً .

ولذلكَ بلَّغَ رسولُ اللهِ ﷺ الآيةَ السَّابقةَ ، ولم يُخْفِ مِنْها شَيْئاً ، معَ أنَّ فيها عِتاباً مِنَ اللهِ لَهُ .

قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : لو كتَمَ ﷺ شيئاً من الوَحْيِ لَكَتَمَ قولَهُ تعالىٰ ﴿وَتُخْفي في نَفْسِك ما اللهُ مُبْديهِ وتخشىٰ الناسَ واللهُ أحقُّ أن تَخْشاهُ﴾ .

والرُّسلُ في تبليغِهم رسالاتِ اللهِ ، يَخْشَوْنَ اللهَ وَحْدَهُ ولا يَخْشَوْنَ أحداً سِواهُ ، ولا يَخافونَ في اللهِ لومةَ لائمٍ ، ولا تمنعُهُم قُوَّةُ أحدٍ عنْ تبليغِ شَرْعِ اللهِ كاملاً ، وهُمْ في تبليغهمْ يعتمدون علىٰ اللهِ وحْدَهُ ، وكفىٰ باللهِ ناصِراً ومُعِيناً ، وكفىٰ بهِ حسيباً ، يحفظُ أعمالَ عبادِهِ ، ثم يُحاسبُهُمْ عليها يومَ القيامةِ .

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .

لمّا تزوّجَ رسولُ اللهِ ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها أطلقَ المنافقونَ إشاعاتٍ بَيْنَ المُسْلِمينَ ، وقالُوا : كيفَ يتزوّجُ مُحَمَّدٌ زوجةَ ابنهِ ؟

وقدْ رَدَّ اللهُ عليهِم ، وأبْطَلَ إشاعاتِهِم وانتقادَهُمْ ، فزيدُ بنُ حارثةَ رضيَ اللهُ عنهُ ليسَ ابناً حقيقيّاً لرسولِ اللهِ ﷺ ، فهو زيدُ بنُ حارثةَ ، وليسَ زيدَ بنَ مُحَمَّدٍ .

وليسَ محمَّدٌ ﷺ أباً حقيقيّاً لأَحَدٍ مِنْ رجالِ المُسلمينَ ، وقدَّرَ اللهُ ألاّ يعيشَ له أحدٌ مِنْ أولادهِ الذُّكورِ ، وأبناؤُهُ الأَرْبَعَةُ ماتُوا صِغاراً ، وَهُمْ : القاسِمُ والطيّبُ والطّاهِرُ وإبْراهِيمُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

ومُحَمَّدٌ ﷺ هو رَسُولُ اللهِ أرسلَهُ للعالَمينَ جَميعاً ، وخاتَمُ النَّبيِّينَ ، ختمَ اللهُ بهِ الرُّسُلَ والأنبياءَ ، فلا نبيَّ ولا رسولَ بعدَهُ ، وختمَ برسالتِهِ الرِّسالاتِ ، وجعلَ الدِّينَ الوَحيدَ المَقْبولَ عندَهُ هو الإسْلامُ .

واللهُ عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، ولذلكَ جعلَ محمّداً ﷺ خاتَمَ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رِسالَتَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الواجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ الرِّضا بحُكْمِ اللهِ والالتزامُ بهِ ، وعدمُ اختيارِ غَيرِه .

٢ـ أمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ بالزَّواجِ مِنْ مُطَلَّقَةِ مَنْ تبنّاهُ لإبطالِ التبَنّي .

٣ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَخْشىٰ اللهَ ، وَألاّ يَخْشىٰ الناسَ ، ولا يَحْفِلَ بِهِمْ ، عندما يُعارِضونَ حُكْمَ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الواجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ الرِّضا بحُكْمِ اللهِ والالتزامُ بهِ ، وعدمُ اختيارِ غَيرِه .

٢ـ أمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ بالزَّواجِ مِنْ مُطَلَّقَةِ مَنْ تَبَنَّاهُ لإبطالِ التبَنّي .

٣ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَخْشىٰ اللهَ ، وَألاّ يَخْشىٰ الناسَ ، ولا يَحْفِلَ بِهِمْ ، عندما يُعارِضونَ حُكْمَ اللهِ .

٤ـ لا حَرَجَ ولا إثمَ علىٰ الرَّسولِ أوِ المُؤْمنِ عندَ تنفيذِه لأمرِ اللهِ . والاعْتِرَاضُ عَلَيْهِ لا مَعْنَىٰ لَهُ .

٥ـ وُجوبُ تبليغِ رسالاتِ اللهِ وأحكامِهِ وشرائعِهِ ينتقلُ إلىٰ العُلماءِ والدُّعاةِ بعدَ الرُّسُلِ .

٦ـ يجبُ الإيمانُ بأنَّ مُحَمَّداً ﷺ هو خاتَمُ الأَنبياءِ والرُّسُلِ ، وأنَّهُ رسولٌ لِلْعالَمينَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأولىٰ قاعدةً هامَّةً يجبُ علىٰ كلِّ مُؤمنٍ الإيمانُ والالتزامُ بها .

٢ـ اذكُرْ أسبابَ زواجِ الرَّسولِ ﷺ مِنْ زينبَ بنتِ جَحْشٍ رضيَ اللهُ عنها .

٣ـ ما سُنَّةُ اللهِ في الرُّسلِ التي ذكَرَتْها آياتُ الرُّسلِ ؟

٤ـ اذكُرْ آيةً واذْكُرْ حديثاً علىٰ عُمومِ بعثةِ رسولِ اللهِ ﷺ وخَتْمِ النبوَّةِ بهِ .

نَشاطٌ :

١ـ الآيةُ (٦٥) مِنْ سورةِ النِّساءِ قريبةٌ من معنىٰ الآيةِ (٣٦) من سورة الأَحْزاب: ﴿وما كان لمؤمنٍ . . .﴾ ، سجِّلْهَا في دفترِكَ ، واستخرجْ منها شرطَ الإيمانِ وكيفيَّةَ قبولِ حُكمِ اللهِ .

٢ـ الآياتُ التي تتحدَّثُ عَنْ عُمومِ رسالتِه ﷺ كثيرةٌ ، سَجِّلْ في دفترِكَ آيةً من سُورةِ الأعرافِ وآيةً مِنْ سورة سَبَأ ، وبيِّنْ وجهَ دلالتِها علىٰ عُمومِ الرِّسالَة .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ العاشِرُ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ
وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ
يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا
تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

بُكْرَةً وأَصيلاً : أوَّلُ النَّهارِ وآخِرُه .

هُوَ الذي يُصلِّي عَلَيْكُم : اللهُ يرحَمُكُمْ ، ويَذْكُرُكُمْ في الْمَلأ الأَعْلىٰ .

وملائكتُه : الصّلاةُ من المَلائِكَةِ الاسْتِغْفارُ .

شَاهِداً : تَشْهَدُ علىٰ مَنْ أُرْسِلْتَ إليْهِم .

ومُبشّراً ونَذيراً : تُبَشِّرُ مَنْ أطاعَكَ بالجنّةِ ، وتُنذِرُ مَنْ عصاكَ بالنارِ .

سِراجاً مُنيراً : سيرَتُكَ كالسِّراجِ الوَهّاجِ ، يَقتدي بكَ المُسْلِمُونَ فيها .

تفسيرُ الآياتِ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عن النَّبيِّ ﷺ ونسائِهِ ، وتَقْديمِ التَّوجيهاتِ لهُنَّ إلىٰ خطابِ المُسْلمينَ وتَوجيهِهِمْ إلىٰ ذِكْرِ اللهِ وتسبيحِهِ ، وتذكيرِهِم بفضلِ اللهِ عليهِم ورحمتِهِ بهِمِ ، ثُمَّ خِطابِ رسولِ اللهِ ﷺ وتذكيرِهِ بمَهَمَّتِهِ في الدَّعوةِ إلىٰ اللهِ .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ .

يأمرُ اللهُ تباركَ وتعالى المؤمنينَ بالإكثارِ من ذِكْرِهِ ، ويقولُ لهم : يا أيُّها المؤمنون : اذكُروا اللهَ ذِكْراً كثيراً ، بألسنَتِكُم وقُلوبِكُمْ ، اذكُروهُ قياماً وقُعوداً وعلىٰ جنوبِكُمْ ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿الذينَ يذكُرونَ اللهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَىٰ جُنُوبِهِم﴾ [آل عمران : ١٩١] .

والإكثارُ من ذكرِ اللهِ يُوَثِّقُ صِلَةَ المؤمنِ باللهِ ، ويملأُ قلبَهُ تعظيماً وخشيةً للهِ ، ويقودُ إلىٰ السّكينةِ والطُّمأنينةِ ، والزِّيادةِ منَ العباداتِ والطّاعاتِ ، وتَرْكِ المُحرّماتِ ، كما قالَ الله تعالىٰ : ﴿الذيْنَ آمنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوْبُ﴾ [الرعد : ٢٨] .

ومِنْ صُوَرِ ذِكْرِ اللهِ : تسبيحُ اللهِ ، والثّناءُ عليه ، وتنزيهُهُ عمّا لا يليقُ به ، في اللّيلِ والنَّهارِ .

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ .

إذا كانَ المُؤْمنونَ يذكُرونَ اللهَ ، فإنَّ اللهَ يَذْكُرُهُمْ ويَرحَمُهُمْ ، وملائِكتُهُ أيضاً يذكرونَهُمْ ويَدْعُونَ لَهُمْ ، وقد ذَكَرَهُم اللهُ بهذا في قولِهِ : اللهُ الذي تذكُرونَهُ وتُسبِّحونَهُ هو الذي يُصلِّي عليكُم ، وصلاتُه عَلَيْكُمْ رَحْمَةٌ بِكُمْ ، وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ وَاسِعَةٌ عامِرَةٌ ، تَجْعَلُ حياتَكم سَعَادَةً وَبَرَكَةً .

والملائِكةُ أيضاً يُصلُّونَ عَلَيكمُ ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيْكُمْ اسْتِغْفَارٌ ودُعاءٌ ، يَدْعُونَ اللهَ لَكُمْ ، ويَرْجونَهُ أنْ يغفِرَ لكُم ، كما قال تعالىٰ : ﴿الذينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُوْنَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِلّذِيْنَ آمنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ للذِيْن تَابُوا واتّبَعُوا سَبِيْلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيْمِ﴾ [غافر : ٧] .

واللهُ رحيمٌ بالمؤمنينَ يرحَمُهُمْ في الدُّنيا ، بما يُنْعِمُ عليهِم مِنَ النِّعَمِ ، وبما يَمنحُهُمْ مِنْ رعايةٍ وتوفيقٍ ، ومِنْ أعظمِ نِعَمِهِ عَلَيْهِم وأبرزِ مظاهرِ رحمتِهِ بِهِم هدايتُهُ لهم إلىٰ الحقِّ ، حيثُ أنزلَ لهمُ القُرْآنَ ، ورَضِيَ لهُمُ الإسلامَ ديناً ، وبَصّرَهُم طريقَ الحقّ . وبذلكَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلماتِ الكُفْرِ والجهلِ والهَوىٰ والضَّلالِ إلىٰ نُورِ الإيمانِ والإِسْلامِ والهُدىٰ .

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

واللهُ رحيمٌ بالمُؤْمنينَ في الآخِرَةِ أيضاً ، فعندما يَبعثُهم ويُحاسِبُهُمْ يَتَجاوَزُ عَنْ ذنُوبِهم ، ويُجْزِلُ لهمُ الثَّوابَ ، ويُنَجِّيهِمْ مِنَ النارِ ، ويُدْخِلُهُمْ الجنّةَ برحمتِهِ ، ويُعطيهِم فيها الأجرَ الكَريمَ العَظِيمَ ، ويَجْعَلُهُمْ مُنَعَّمينَ فيها .

وتكونُ تَحِيَّةُ المُؤمِنينَ في الجَنَّةِ السَّلام ، يُحيِّيهِم اللهُ بالسّلامِ ، وتُحَيّيهِمُ المَلائِكَةُ بالسَّلامِ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ .

بعد توجيهِ اللهِ للمؤمنينَ إلىٰ ذِكْرِهِ وَتَسْبيحِهِ ، وتَذْكيرِهِمْ بِرَحْمَتِهِ بِهِمْ ، يُخاطِبُ نَبيَّهُ ﷺ ويُذَكِّرُهُ بِمَهَمَّتِهِ وَواجِبِهِ ، ويُخبِرُهُ بِبَعْضِ صِفَاتِه التي استحقَّها مِنْ طَبيعَةِ رسالَتِهِ .

يقولُ له : ياأيُّها النبيُّ : إنا جَعَلْنَاكَ رَسُولاً ، وأَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ ، وبَعَثْنَاكَ شَاهِداً ، وأنتَ مُبَشِّرٌ ، تُبشِّرُ المُؤْمنينَ بالجنَّةِ وَنَعيمِها وثَوابِها ، ونَذيرٌ تُنْذِرُ الكافرينَ النَّارَ ، وتُخوِّفهُم مِنَ العذابِ إنِ استمرُّوا علىٰ كُفرِهِمْ .

وأنتَ داعيةٌ تَدْعو النَّاسَ جميعاً إلىٰ الإيمانِ باللهِ وعبادتِه وطاعتِهِ .

وأنتَ كالسِّراجِ المُنيرِ المُضيءِ المُشرقِ ، فكما أنَّ السِّراجَ يُنيرُ الطريقَ وَسَطَ الظَّلامِ ، ويُبيِّنُ لِلنّاسِ أينَ يَسيرُونَ ، كذلِكَ أنتَ تُبيِّنُ للناسِ الحقَّ ، وتدلُّهُم علىٰ طريقِ الاستقامةِ والفلاحِ ، وسيرتُكَ وهَدْيُكَ نورٌ وضياءٌ يَهتَدونَ بِه .

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ .

ويأمرُ اللهُ رسولَه ﷺ أن يُبشِّرَ المُؤْمنينَ الّذينَ أطاعُوهُ واتّبعُوهُ بأنَّ اللهَ فضَّلَهُم علىٰ سائرِ الأُممِ ، وجَعَلَهُم خَيْرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ ، وسيُعطِيهِمْ في الآخرةِ أجْراً عظيماً .

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾

وبعدما أمرَهم بتبشيرِ المؤمنينَ نهاهُم عَنْ طاعةِ الكافرينَ والمنافقينَ ، لأنَّهُمْ لا يَأْمُرونَ إلاّ بِشَرٍّ ، ويُريدونَ فتنةَ المُسْلِمينَ عَنْ دينِهِمْ ، وَعَلَيْهِ ألاّ يَهْتَمَّ بهم ، ولا يَلْتَفِتَ إلىٰ اعْتِراضِهِمْ وانتقاداتِهم ، وأنْ يَسْتَمِرَّ في طريقِهِ لتبليغِ دعوةِ اللهِ ، كما أنَّ عَلَيْهِ أنْ يَتْرُكَ أذىٰ الكافرينَ والمُنافقينَ ، وأنْ يَصْفَحَ عَنْهُمْ ويَتَجاوَزَ عَنْ إساءاتِهِم ، ويَكِلَ حسابَهُم إلىٰ اللهِ ، فإنَّ اللهَ سَيَنْتَقِمُ منهُم .

كما أمرَهُ اللهُ أنْ يتوكَّلَ عليهِ وَحْدَهُ ، وأنْ يُفوِّضَ أمرَهُ إليهِ ، وكفىٰ باللهِ وكيلاً وحافظاً وراعياً ، فإنَّه لا يَتخلَّىٰ عن أوليائهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المؤمنِ الإكثارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وتسبيحِهِ باللَّيلِ والنَّهارِ ، لينالَ رِضاهُ ويَطْمَئِنَّ قلبُهُ .

٢ـ الملائكةُ تُحِبُّ المُؤْمنينَ ، وتَدْعو اللهَ وتَسْتغفِرُهُ لهُم .

٣ـ اللهُ رحيمٌ بالمُؤْمِنينَ ، ورَحْمَتُهُ شاملةٌ في الدُّنيا والآخرةِ .

٤ـ الرَّسُولُ ﷺ شاهِدٌ ومُبشِّرٌ ، ونذيرٌ وداعيةٌ إلىٰ اللهِ ، وسِراجٌ منيرٌ .

٥ـ لا تجوزُ طاعةُ الكافرينَ والمنافقينَ ، لأنَّهم لا يَأْمرُونَ إلاّ بالشرِّ .

٦ـ المُؤْمِنُ يَتوكَّلُ علىٰ اللهِ ويُفوِّضُ أَمْرَه إليهِ ، وهو يوقِنُ أنَّ اللهَ حَسْبُهُ وكافيهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ قوله : ﴿وسبِّحوه بُكْرةً وأصيلاً﴾ ؟

٢ـ ما معنىٰ صَلاَةِ اللهِ علىٰ المُؤْمِنِيْنَ ؟ وما مَعنى صلاةِ المَلائِكَةِ عَلَيْهِم ؟

٣ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ خمسَ صفاتٍ لرسولِ اللهِ ﷺ ، واشرحْ كلَّ واحدةٍ منها .

٤ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ نَهْياً مِنَ اللهِ لِرَسولهِ ﷺ ، وأَمْرَيْنِ أَمَرَهُ بهما .

نَشاطٌ :

١ـ اذكُرْ ثلاثةَ أدعيةٍ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ كانَ يدعو اللهَ بها في الصَّباحِ والمَساءِ ، واذكرْ أعدادَ التَّسبيحاتِ والأَذْكارِ التي نُؤدِّيها بَعْدَ كلِّ صلاةٍ ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ آيتينِ مِنْ سُورةِ الرَّعدِ تُخبرانِ عَنْ تحيةِ الملائكةِ لِلْمُؤْمنينَ بالسَّلامِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ
مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ
ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ
ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ
أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ
أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

نَكَحْتُمُ المؤمناتِ	: عقدْتُمْ عَقدَ الزَّواجِ .
تَمَسُّوهُنَّ	: تُجامِعوهُنَّ بَعْدَ عَقْدِ الزَّواجِ .
عِدَّة	: الأيامُ التي تنتظرُها المُطَلّقةُ قبلَ الزَّواجِ .
مَتِّعُوهُنَّ	: قدِّموا للمُطلّقاتِ مَبْلَغاً مِنَ المالِ ترضيةً لَهُنَّ .
سَرِّحُوهُنَّ	: طَلِّقُوهُنَّ بعدَ تقديمِ المُتعةِ لهنَّ .
آتيتَ أُجورَهُنَّ	: أعطيتَهُنَّ مُهورَهُنَّ .
مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ	: الإماءُ اللَّواتي عِنْدَكَ .

أفاءَ اللهُ عليكَ	أَخَذْتَهُنَّ بسببِ الفَيءِ ، أو الغنيمةِ في الجهادِ .
أَنْ يستَنكِحَها	يرغبُ في نكاحِها والزَّواجِ مِنها .
حَرَجٌ	ضِيقٌ ومَشقَّةٌ .
تُرْجي مَنْ تشاءُ	تُؤَخِّرُ مَنْ تشاءُ مِنْ نسائِكَ ، عندما يأتي دَوْرُها .
تُؤوِي إليكَ	تَضُمُّ إليكَ .
لا جُناحَ عليكَ	لا حَرَجَ عَلَيْكَ .
تَقَرَّ أعينُهُنَّ	يَشعُرْنَ بالسُّرورِ والارتياحِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ توجيهاتِها للمؤمنينَ وبَيانِها لِصفاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ومَهمَّتِهِ الدَّعويّةِ لِتَعْرِضَ بعضَ أحكامِ الطَّلاقِ والنِّكاحِ ، وما أباحَهُ اللهُ لرسولِهِ ﷺ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ .

تُبيحُ الآيةُ لِلْمُؤْمنينَ طلاقَ النِّساءِ بعدَ العَقْدِ عَلَيهِنَّ ، وقبلَ الدخولِ بهِنَّ ، وليسَ علىٰ المُطلَّقةِ في هذهِ الحالةِ عِدَّةٌ تعتدُّها ، وعلىٰ مُطلِّقِها أنْ يُقدِّمَ لها مَبلغاً مِنَ المالِ كمُتعةٍ لها ، يُطَيِّبُ بها نفسَها .

يقولُ اللهُ للمؤمنينَ : إذا عقدتُم عَقْدَ الزَّواجِ علىٰ المُؤْمِناتِ ، ثُمَّ أَوقَعْتُمُ الطَّلاقَ عليهِنَّ مِنْ قَبْلِ الدُّخولِ بهِنَّ وجِماعِهِنَّ ، فيجوزُ لكم ذلك ، ولكِنْ لا تَجِبُ عليهِنَّ العِدَّةُ ، لأنكُم لَمْ تَدخُلُوا بِهِنَّ ، وإذا اتَّفقتُمْ مَعَهُنَّ علىٰ مَهرٍ مذكورٍ ، فآتوهُنَّ نصفَ المَهْرِ ، وزيدُوا على ذلكَ مَبْلغاً مِنَ المالِ ، مُتعةً لَهُنَّ وتطييباً لخاطِرِهِنَّ ، وهذه المُتعةُ مُستَحَبَّةٌ لِمَنْ كانَ لها مَهْرٌ مِنهُنَّ ، وهِيَ واجبةٌ عليكُمْ لِمَنْ لمْ يكُنْ لها مَهْرٌ مُتَّفَقٌ عليهِ .

وبعدما تُقدِّمونَ لهنَّ المُتعةَ طلِّقُوهنَّ طَلاَقاً جَميلاً ، مِنْ دُونِ تَضييقٍ أَوْ ظُلْمٍ أَوْ أَذَىً ، وأكْرِمُوهُنَّ ولا تُطالِبُوهنَّ بشيءٍ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن

وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ .

بيّنَ اللهُ لرسولِه مُحمّدٍ ﷺ ما أباحَ لهُ مِنَ النِّساءِ فقالَ له : يا أيُّهاالنَّبيُّ : أبَحْنَا لكَ الزَّواجَ بأزواجِكَ الحرائرِ ، اللّاتي دَفَعْتَ لهنَّ مُهورَهُنَّ كاملةً ، وأَبَحْنَا لكَ التَّسَرِّي بالإماءِ المَملوكاتِ لكَ ، اللّواتي أخَذْتَهُنَّ مِنَ الغنائمِ ، وأبَحْنَا لكَ الزّواجَ بقريباتِكَ وهنَّ : بناتُ عمِّكَ ، وبناتُ عَمّاتِكَ ، وبَنَاتُ خالِكَ ، وبَنَاتُ خالاتِكَ ، بشرطِ أنْ يُهاجِرْنَ معكَ مِنْ مكّةَ إلىٰ المدينةِ ، فإنْ لم تُهاجِرْ إحداهُنَّ معكَ فلا يُباحُ لكَ الزواجُ بها ، كذلك أبحْنَا لكَ الزواجَ مِنَ المَرْأَةِ المُؤْمِنةِ التي تَهبُ نَفْسَهَا لكَ إنْ شِئتَ ذلكَ ، وهذه خاصَّةٌ بكَ وخالصةٌ لكَ ، أمَّا غيرُكَ مِنَ المؤمنينَ فلا تُباحُ لهم هذه الحالةُ ، ولا بُدَّ من دَفْعِ المَهْرِ .

فما أباحَهُ اللهُ لنبيِّهِ ﷺ مِنَ النِّساءِ أربعةُ أصنافٍ : الحرائرُ البعيداتُ ، والإماءُ المملوكاتُ ، والحرائرُ القَريباتُ المُهاجِراتُ ، والواهِباتُ أنفُسَهُنَّ مِنَ المؤمناتِ .

أمَّا ما أباحَهُ اللهُ لِلْمُؤْمنينَ فإنَّه يَعْلَمُهُ ويُبيِّنُهُ لهم علىٰ حَسَبِ الحِكْمَةِ ، وقد بيَّنَ لهُم بعدَ ذلك أحكامَ الزّواجِ مِنَ المُؤْمِناتِ والكتابيّاتِ وشُروطَ ذلكَ ، وحدَّدَ العددَ بأربعِ حرائرَ ، وما شاءَ الواحدُ من الإماءِ .

ثم بيَّنَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ عِلَّةَ اخْتِصاصِهِ بتلكَ الأَحْكامِ ، بأنَّهُ أباحَ له ذلكَ لِيدْفَعَ عنهُ الضِّيقَ والمَشَقَّةَ والحَرَجَ في حَياتِهِ ، واللهُ غفورٌ رحيمٌ ، يغفرُ للمُؤمنينَ ذنوبَهم ، ويَرحَمُهُم فيما يُعطيهِم ويُشرِّعُ لهُمْ .

﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ .

بعدما أخبرَ اللهُ رسولَهُ عَمَّنْ أباحَ له مِنَ النِّساءِ أخبرَهُ عَنْ عدمِ وُجوبِ القَسْمِ عَلَيْهِ بينَ نسائِه ، كما هو الواجبُ علىٰ باقي المُسْلِمينَ ، فقد أوجبَ اللهُ علىٰ كلِّ مَنْ تزوَّجَ بأكثرَ من واحدةٍ أن يُقَسِّمَ بينهُنَّ ، ولاسيَّما في المبيتِ . أمّا الرّسولُ ﷺ فإنَّ هذا غيرُ واجبٍ عَلَيْهِ .

قالَ اللهُ له : لكَ الحقُّ في أنْ تُؤخِّرَ مَنْ تشاءُ من نسائِكَ ، وأنْ تُؤوي مكانَها مَنْ تشاءُ منهُنَّ ، فالتَّقْديمُ والتَّأْخيرُ بيدِكَ ، والقَسْمُ بينَهُنَّ غيرُ واجبٍ عَلَيْكَ .

وهذا لمَصْلحَتِهِنَّ ، لتقضيَ علىٰ غَيْرَتِهِنَّ ويَزْدَدْنَ مَحَبَّةً وتقديراً لكَ ، لأنَّهنَّ يَعْلَمْنَ أنَّ القَسْمَ

بينَهُنَّ ليسَ واجباً عليكَ ، وأنتَ معَ ذلكَ تَقْسِمُ وتعدلُ بينهُنَّ باختيارِكَ ، وبذلكَ يَفْرَحْنَ ويستبشِرْنَ ويرضَيْنَ بما آتيتَهُنَّ كلَّهنَّ فلا يحزَنَّ ولا يَقْلَقْنَ .

واللهُ عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، يعلمُ ما تُخْفيهِ النِّساءُ في قلوبِهِنَّ . وعلىٰ المؤمنين أنْ يَحْرِصُوا علىٰ صَفاءِ قُلُوبِهِمْ فلا يكونُ فيها ما لا يَرْضَاهُ اللهُ ، واللهُ حليمٌ يَحْلُمُ وَيَغْفِرُ ولا يُعاجِلُ المُذنبينَ بالعقوبةِ .

وقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ بينَ نسائِهِ ، مع أنَّ ذلكَ القَسْمَ لم يُوجِبْهُ اللهُ عليهِ ، ومع أنَّهُ كانَ يميلُ إلىٰ بعضِ نسائِهِ أكثرَ مِنْ غيرِهِنَّ كعائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

روىٰ أبو داودَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ فيَعدِلُ ، ويقولُ : « اللهم هذا قَسْمِي فيما أملِكُ ، فلا تَلُمْني فيما تَمْلِكُ ولا أمْلِكُ » يعني مَيْلَ القَلْبِ[1] .

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ .

أكرمَ اللهُ نساءَ النبيِّ ﷺ ، اللّاتي اخْتَرْنَهُ ، فَمَنَعَهُ مِنَ الزواجِ بغيرِهنَّ ، وقالَ له : حَرَامٌ عَلَيْكَ أيُّها الرّسولُ الزّواجُ بغيرِ أزواجِكَ اللّاتي عندكَ ، واخترْنَكَ علىٰ زينةِ الحياةِ الدُّنيا ، وحَرَامٌ عليكَ طلاقُهُنَّ أو اسْتِبْدالُ غَيْرِهِنَّ بِهِنَّ ، ولو كانَ غيرُهُنَّ أجملَ مِنهُنَّ وأعجبَكَ حُسْنُهُنَّ . وأباحَ اللهُ لكَ ما ملكتْ يمينُكَ مِنَ الإماءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ للمرأةِ المُطلَّقَةِ قبلَ الدُّخولِ بها مُتعةٌ ، وهو مبلغٌ مِنَ المالِ يزيدُ وينقُصُ بحسَبِ عُسْرِ الزوجِ وَيُسْرِهِ ، هذا إذا لم يحدِّدْ لها مَهْراً ، فإنْ حدَّدَ لها مَهْراً فالواجبُ نِصْفُ المَهْرِ المُسمَّىٰ ، وليسَ عليها عِدَّةٌ .

٢ـ أباحَ اللهُ لنبيِّهِ ﷺ الحرائرَ البعيداتِ ، والحرائرَ القريباتِ ، والإماءَ ، أو مَنْ وهبتْ نَفْسَها له .

٣ـ زواجُ الرّسولِ ﷺ بالعَدَدِ الّذي تزوّجَ بهِ من النِّساءِ كانَ بتشريعٍ مِنَ اللهِ .

٤ـ لا يجوزُ لغيرِ رَسولِ اللهِ ﷺ الزواجُ بالهِبَةِ ، بأنْ تَهَبَ المرأةُ نَفْسَها لَهُ .

(١) أبو داود (٦) كتاب النكاح (٣٩) باب في القسم بين النساء رقم : ٢١٣٤ .

٥ـ لا يجبُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ القَسْمُ بينَ نِسائِهِ ، ولكنَّهُ كانَ يَقْسِمُ بينهُنَّ كَرَماً منهُ .

٦ـ أكرمَ اللهُ نِساءَ نبيِّهِ ﷺ فحرَّمَ عليه الزَّواجَ بغيرِهِنَّ ، كما حرَّمَ عليهِ طلاقَهُنَّ .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخرجْ مِنَ الآيةِ الأولىٰ أربعةَ أحكامٍ تتعلَّقُ بالنِّكاحِ والطَّلاقِ .

٢ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الثانيةِ أَصْنافَ النِّساءِ الأربعةَ التي أحلَّها اللهُ للرَّسولِ ﷺ .

٣ـ ما حُكْمُ القَسْمِ بَيْنَ الزَّوجاتِ للمُسلمينَ ؟ وما حُكْمُ قَسْمِ الرَّسولِ ﷺ بينَ نسائهِ ؟ وماذا كانَ يفعلُ ؟

٤ـ ما مَعْنىٰ كُلٍّ ممّا يأتي : نَكَحْتُم المؤمناتِ ، تَمَسُّوهُنَّ ، عِدَّةٍ تعتدُّونها ، مَتِّعُوهُنَّ ، سَرِّحُوهُنَّ ، تُرْجي ، تُؤْوِي ، ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ، ما مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ

تَعَلَّمْ :

تزوَّجَ رسولُ اللهِ ﷺ باثنتَيْ عَشْرَةَ امرأةً ، ثلاثةٍ منهنَّ تُوفِّيْنَ في حياتِهِ : خديجةُ بنتُ خُويلدٍ ، وزينبُ بنتُ خُزيمةَ بنِ الحارثِ ، وريحانةُ بنتُ زيدٍ ، رضيَ اللهُ عنهُنَّ ، وتسعةٍ ماتَ عنهُنَّ رسولُ اللهِ ﷺ ، هُنَّ : عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ ، وحفصةُ بنتُ عُمرَ ، وسَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ ، وأُمُّ سَلَمَةَ ، وأُمُّ حَبيبَةَ ، وزينبُ بنتُ جحشٍ ، وصفيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ ، وجُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ الخُزاعيةُ ، ومَيْمُونةُ بنتُ الحارثِ الهلاليةُ ، وقد أكرمَهُنَّ اللهُ ، فجعَلَهُنَّ أُمَّهاتٍ لِلْمُؤْمنينَ .

نَشاطٌ :

١ـ تتحدثُ الآيةُ (٢٣٧) من سورةِ البقرةِ عن بعضِ الأحكامِ المتعلِّقةِ بطلاقِ المرأةِ المكتوبِ كتابُها قبلَ الدُخولِ بهِا ، سجِّلِ الآيةَ ، ثم استخرجْ منها الأحكامَ .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ ما يَدُلُّ علىٰ عَدْلِ الرسولِ ﷺ بينَ زوجاتهِ في مَرَضِ موتِهِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورَةُ الأَحْزابِ - القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ
وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي
ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن
وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ
أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ
تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ
وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

غيرَ ناظرينَ إناه : غيرَ مُنتظِرينَ نُضْجَهُ .

إذا طعِمْتُم فانتشرُوا : إذا أكلتُم فتفرَّقُوا ، ولا تمكُثُوا جالسينَ في البيوتِ .

ولا مُستأنِسينَ لحديثٍ : يأنسُ بعضُكم لحديثِ بعضٍ ، مما يُطيلُ المُكْثَ في البيتِ .

يَستَحِيي منكُم : يتحرَّجُ مِنْ إخراجِكم .

سَألتُمُوهنَّ مَتاعاً : طَلبتُم منهنَّ شيئاً تَحتاجونَ إليهِ .

مِنْ وراءِ حجابٍ : من خَلفِ شيءٍ ساترٍ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عن بعضِ الأحكامِ الخاصَّةِ بالرَّسولِ ﷺ إلىٰ الحديثِ عن أحكامٍ خاصّةٍ بالمُؤْمنينَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ ونسائِهِ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ .

ينهىٰ اللهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ دُخُولِ بيتٍ من بُيوتِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ دُونِ إذنٍ ، كما يَنْهاهُمْ عَنِ الحُضورِ قبلَ مَوعدِ الطعامِ بفترةٍ طَويلةٍ والجُلوسِ لانْتِظارِ نُضْجِ الطعامِ ، ويَنهاهُمْ عَنِ المُكْثِ في البيتِ بعدَ الطعامِ .

وسببُ نزولُ الآيةِ هو ما حَصَلَ مِنْ بعضِ الصَّحابةِ عندَ زواجِ الرَّسولِ ﷺ من زينبَ بنتِ جحشٍ رَضِيَ اللهُ عنها .

روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لمّا تزوَّجَ رسولُ اللهِ ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ دعا القومَ فطَعِموا ، ثم جَلسوا يتحدَّثونَ ، فإذا النبيُّ ﷺ كأنَّهُ يتهيَّأُ للقيامِ ، فلم يقومُوا ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ قامَ ، فلما قامَ قامَ مَنْ قامَ ، وقعدَ ثلاثةُ نفَرٍ ، فجاءَ النبيُّ ﷺ ليدخلَ ، فإذا القومُ جلوسٌ ، ثم إنَّهم قامُوا ، فانْطَلَقْتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ أنّهمُ انطلقُوا ، فجاءَ فدخلَ . . . وأنزلَ اللهُ الآيةَ[1] .

يقولُ اللهُ لِلْمُؤْمنينَ : يا أيُّها المُؤمنونَ لا تدخلُوا بُيوتَ النَّبيِّ ﷺ إلاّ بعدَ أنْ يَدْعوَكُمُ الرَّسولُ ﷺ ، ويأذنَ لكُم . فإنْ دعاكُمْ إلىٰ طعامٍ فلا تُبكِّرُوا بالدخولِ لتنتظرُوا نُضْجَ الطعامِ وأنتم داخلَ البيتِ ، وعَلَيْكُمْ بالبقاءِ خارجَ البيتِ ، فإذا نَضِجَ الطعامُ وتمَّ إعدادُه فادخُلوا . فإذا تناولتُمُ الطعامَ الذي دُعيتُم إليهِ فغادِرُوا البيتَ وتفرَّقُوا ، ولا تَمكُثوا فيهِ مُستأنسينَ للحديثِ ، مُتَحدِّثينَ في شُؤونِ الدنيا .

وليسَ هذا الأدبُ والتوجيهُ خاصّاً ببيتِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وإنما هو عامٌّ يشملُ بيوتَ المُسلمينَ ، فلا يَدخلُ المسلمُ بيتَ المسلمِ إلا بإذنهِ ، وإنْ دُعِيَ مُسلمونَ إلىٰ وليمةِ طعامٍ عندَ أخيهم فلا يأتُونَ مُبكِّرينَ ، ولا ينتظرُونَ نُضْجَ الطعامِ وَهُمْ عِنْدَهُ ، وإنَّما يأتُونَ بعدَ الانتهاءِ مِنْ إعدادِ الطعامِ ، وبعدَ الانتهاءِ من تناوُلِهِ يتفرَّقُونَ وينتشرونَ ، ليتفرَّغَ أهلُ البيتِ لأُمورهِم .

وذكرَتِ الآيةُ الكريمةُ حِكمةَ طلَبِ مغادرةِ البيوتِ بعدَ الطعامِ بأنَّ مجيئَهُم قبلَ نُضجِ الطعامِ ،

(١) البخاري ومسلم (٦٥) كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب ، حديث رقم ٤٧٩١ . ومسلم : كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش ، حديث رقم ١٤٢٨ .

وتأخُّرَهُم في الجلوسِ بعدَ تناوُلهِ ، كان يُؤذي النبيَّ ﷺ ويَشُقُّ عليه ويمنَعُهُ من قضاءِ بعضِ حاجاتِه ، وإيذاؤُهُ ﷺ حرامٌ .

ومع تأذِّي رسولِ اللهِ ﷺ فلم يُواجِهْهُم بذلكَ لِشدَّةِ حيائِهِ وسُمُوِّ أخلاقهِ ، ولكنّ اللهَ أنزلَ قُرآناً يَنْصَحُهُمْ ، لأنهُ سُبْحانَهُ لا يتركُ بيانَ الحقِّ والدَّعوةَ إليهِ .

وبعدَ تعليمِ المسلمينَ الأدبَ في دخولِ بيوتِ النَّبيِّ ﷺ ، وَجَّهَتْهُمُ الآيةُ إلىٰ الأدبِ معَ أزواجهِ فنَهَتْهُم عَنِ النظرِ إليهنَّ ، وإذا طلبُوا مِنهُنَّ مَتاعاً مِنْ ماعونٍ أو غيرهِ ، فعليهِم أنْ يطلبُوه مِنْ وراءِ حجابٍ ساترٍ لهنَّ ، ومانعٍ مِنَ النظرِ إليهنَّ . وعلَّلَتِ الأمرَ بالحجابِ بأنهُ أطهرُ لقلوبهِم وقلوبهِنَّ ، وأبعدُ لها عَنِ الرِّيبةِ والفِتنةِ ، وأدعىٰ لِلْقَضَاءِ علىٰ الهَواجسِ والوَساوسِ .

وحرَّمَ اللهُ علىٰ المُؤْمنينَ إيذاءَ رسولِ اللهِ ﷺ ، وأخبرَهُم أنَّهُ لا يَنْبغي لَهُمْ إيذَاؤُهُ بقولٍ أو فِعْلٍ ، لأنه حَريصٌ علىٰ ما فيهِ خيرُهم وسعادَتُهم ، وعَلَيْهِمْ أنْ يُقابلُوا ذلك بمحبَّتهِ وعدمِ إيذائهِ .

ومن أشدِّ أنواعِ إيذائِهِ ، الزَّواجُ بنسائهِ مِنْ بعدهِ ، ولذلكَ حرَّمَ اللهُ علىٰ المُسلمينَ الزواجَ بنسائهِ بَعْدَ موتهِ ، لأنهنَّ أُمَّهاتٌ للمؤمنينَ ، وأزواجُ رسولِهمُ الكريمِ ﷺ ، وأخبرَ اللهُ أنَّ إيذاءَ النَّبيِّ ﷺ والتفكيرَ في نكاحِ أزواجهِ ذنبٌ عظيمٌ قبيحٌ .

﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾

هذا تأكيدٌ من اللهِ بالابتعادِ عن إيذاءِ الرَّسولِ ﷺ ، حيثُ أخبرَ المُسلمينَ بأنَّهُ أحاطَ عِلْماً بهم ، يعلمُ كلَّ شيءٍ عندَهُم ، سواءٌ أظهَرُوهُ أم كَتموهُ وأخْفَوهُ ، فعليهم أنْ يتخلَّوْا عن أذىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ، سواءٌ أكانَ ظاهراً أم خَفيّاً .

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾ .

بعدما أمرَ اللهُ المؤمنين بسؤالِ أزواجِ النبيِّ ﷺ مِنْ وراءِ حجابٍ ، استثنىٰ في هذهِ الآيةِ مَحارِمَهُنَّ ونساءَهُنَّ وعبيدَهُنَّ فيجوزُ لهم الكلامُ معهنَّ مِنْ دونِ حجابٍ ، ولا إثمَ عليهنَّ في تركِ الحجابِ أمامَهُم ، والّذين ذكرَتْهُمُ الآيةُ هم : آباؤهنَّ ، وأبناؤُهنَّ ، وإخوانهُنَّ ، وأبناءُ إخوانهنَّ ، وأبناءُ أخواتهنَّ ، ونِساؤهُنَّ المُؤْمناتُ ، وعبيدُهنَّ مِنَ الذُّكورِ والإناثِ .

وعليهنَّ مَعَ ذلك بتقوىٰ اللهِ وخَشْيَتِهِ في السرِّ والعَلَنِ ، وتَذكُّرُ أنه شهيدٌ علىٰ كلِّ شيءٍ ، ويُجازي كُلَّ عاملٍ بعَملِه ، خيراً كانَ أمْ شرّاً .

ونساءُ المُؤمنينَ كنساءِ النَّبيِّ ﷺ في وُجوبِ كلامِ الرِّجالِ الأجانبِ مِنْ وراءِ حجابٍ ، وفي استثناءِ الرجالِ المحارمِ ، والعبيدِ مِنْ ذلك الحجابِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تعامُلُ المُسْلِمينَ فيما بينَهم قائمٌ علىٰ الذّوقِ والأدَبِ ، فمَنْ دُعِيَ إلىٰ طعامٍ فلا يُبَكِّرْ في القُدومِ ، ولا يتأخَّرْ بعدَ الطعامِ ، لئلا يُؤذيَ أصحابَ البيتِ .

٢ـ الابتعادُ عن كلِّ ما يُسبِّبُ الحَرَجَ والضِّيقَ للمُسلمينَ .

٣ـ لا يَدخُلُ المؤمنُ بيتَ الآخَرِ ، إلا بعدَ الاسْتِئذانِ ، وعليهِ الالتزامُ بالأدبِ عندَ دخولهِ .

٤ـ الحِجابُ ليسَ قيداً علىٰ النساءِ ، بل هو مُطَهِّرٌ لقلوبهِنَّ وقلوبِ الرِّجالِ علىٰ حدٍّ سواء .

٥ـ حُرْمَةُ إيذاءِ رسولِ اللهِ ﷺ بقولٍ أو فعلٍ ، وحُرمةُ الزّواجِ بنسائِهِ .

٦ـ لا حَرَجَ علىٰ المُؤْمِناتِ في تَرْكِ الحِجابِ أمامَ الرجالِ المَحارِمِ ، معَ المُحافَظَةِ علىٰ تقوىٰ اللهِ ومُراقبتهِ .



التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ سببَ نُزولِ الآيةِ الأولىٰ من آيات الدَّرْسِ .

٢ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأولىٰ ثلاثةَ آدابٍ لِلمُسْلمينَ تتعلَّقُ بالدَّعْوةِ إلىٰ الولائمِ .

٣ـ لماذا أمرَ اللهُ نساءَ النَّبيِّ ﷺ وباقي المُؤْمِناتِ بالحجابِ؟ وَضِّحْ حكمةَ ذلك مِنْ كلماتِ الآيةِ .

٤ـ ما حُكمُ الزَّواجِ بنساءِ النَّبيِّ ﷺ ؟ ولماذا ؟

٥ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ سبعةَ أصنافٍ ممَّنْ لا تَحتجِبُ عَنهُمُ المرأةُ المُسلمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ النُّورِ الدالَّةَ علىٰ الأصنافِ التي تُبدي المرأةُ زينتَها لَهُم .

٢ـ اكتُبْ مَوْضُوعاً في حدودِ الصفحةِ عَنْ كَوْنِ الحجابِ مُطَهِّراً لقُلوبِ النساءِ والرِّجالِ ، وضَعْهُ علىٰ لوحةِ مجلّةِ الحائطِ في المدرسةِ .

الدَّرسُ الثَّالِثَ عشَرَ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن
يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلُّونَ علىٰ النبيِّ : صلاةُ اللهِ علىٰ نبيِّهِ ﷺ ذِكْرُهُ في الملأ الأعلىٰ ، وصلاةُ الملائكةِ اسْتِغفارٌ .

صَلُّوا عَلَيْهِ : ادعُوا اللهَ أنْ يُصلِّيَ عَلَيْهِ .

سلِّموا تسليماً : اجمَعُوا بينَ الصّلاةِ والسّلامِ عليه قائلينَ : صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ .

لعنَهم اللهُ : أبعدَهُم وطردَهُم من رَحمتِه .

عذاباً مُهيناً : عذاباً مؤلِماً مُوجِعاً ، يُوقعُ الكفّارَ في الذُّلِّ والهَوانِ .

بغيرِ ما اكْتَسبُوا : بغيرِ ما عَمِلُوا .

احتملُوا بُهتاناً : تَحمّلُوا كَذِباً .

يُدْنِيْنَ : يُرْخِينَ ويُسْدِلْنَ .

جلابيبهِنَّ : جَمْعُ جِلْبابٍ ، وهو الثَّوْبُ الذي يَستُرُ بَدَنَ المرأةِ .

أدنىٰ أن يُعْرَفْنَ : أقربُ إلىٰ أنْ يُعْرَفْنَ أنهنَّ حرائرُ .



التفسيرُ :

تَنتقِلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عن الآدابِ التي يَتأدَّبُ بها المُسلمونَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ ونسائِه ، إلىٰ الحديثِ عَنْ بعضِ حُقوقهِ ، فتأمرُهُم بالصّلاةِ والسّلامِ عَليْهِ ، ﷺ ، وتُحرِّمُ عَليْهِمْ إيذاءَهُ ، كما تُحَرِّمُ عَلَيْهِم إيذاءَ المُؤْمنين والمُؤْمِناتِ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

يُخبرُ اللهُ المُؤمنينَ أنَّه يُصلِّي هو وملائكتُهُ علىٰ النبيِّ ﷺ ، ويأمرُهُم أنْ يَجمعُوا بينَ الصّلاةِ والسّلامِ عليه ، ﷺ ، بأنْ يقولُوا : اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ على نبيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ .

والصَّلاةُ من اللهِ الرَّحمةُ ، فهو يرحمُ نبيَّهُ ﷺ ويرفَعُ مَنْزِلَتَهُ ، ويُثني عليهِ في الملأ الأعلىٰ مِنَ الملائكةِ المُقرَّبينَ ، والصّلاةُ مِنَ الملائكةِ الاستغفارُ له والثّناءُ عليهِ ، والصّلاةُ من المُؤْمِنين الدّعاءُ له ، وتعظيمُه ، والطّلَبُ مِنَ اللهِ أنْ يُعلِيَ منزِلَتَهُ ، وبذلك يُثْني عليه اللهُ والملائكةُ والمُؤمنونَ ، لِعُلُوِّ قَدْرِه وشَرَفِ منزلتِه عليه الصّلاةُ والسَّلامُ .

وعلىٰ المُؤْمنينَ الإكثارُ مِنَ الصّلاةِ والسّلامِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ، فإنَّها مَجْلَبَةٌ للخيرِ ، ومُكْثِرَةٌ مِنَ الأجرِ ، ومُزيلةٌ للهمِّ والغَمِّ ، وسببٌ لدخولِ الجنةِ ، والبخيلُ هو الذي ذُكِرَ اسمُ رسولِ اللهِ ﷺ عندَهُ فلم يُصَلِّ ويُسلِّمْ عليه ﷺ .

ومِنَ السُّنةِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عليه بعدَ سماعِ الأذانِ . . ومِنَ الواجبِ الصَّلاةُ عليهِ في الجَلسةِ الأخيرةِ مِنَ الصَّلاةِ ، وذلك عندَ قراءةِ الصَّلاةِ الإبراهيميَّةِ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ ﴾ .

الواجبُ علىٰ المُسلمينَ احترامُ رسولِ اللهِ ﷺ ، وتوقيرُهُ والصَّلاةُ عليه كُلّما ذُكِرَ اسمُهُ ، ﷺ ، ويُحَرَّمُ عليهم إيذاؤُه وعصيانُه .

ولكنْ هنالكَ مَنْ يُؤذونَ اللهُ ورسولَهُ ﷺ ، بمخالفَةِ أمْرِ اللهِ ، ومَعصيةِ رسُولِه ﷺ ، واتِّهامِهِ بِعَيْبٍ أو نقْصٍ ، وقد هدَّدَ اللهُ هؤلاءِ وتوعّدَهُم بالعذابِ المُهينِ ، الذي يُذِلُّهُم ويُهينُهُم ، ولعنَهُم في الدُّنيا والآخرةِ ، وطَردَهُم مِنْ رحمتهِ ، وأوْقَعُ بهم انتقامَهُ وعِقابَهُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨ ﴾ .

وكما يُحَرَّمُ إيذاءُ رسولِ اللهِ ﷺ ، فإنَّهُ يُحَرَّمُ إيذاءُ المُؤمنينَ والمُؤْمناتِ ، في قولٍ أو فِعْلٍ ،

بالاتِّهام أو الانتقاصِ ، أو الشَّتْمِ والسَّبِّ ، أو القتلِ والضَّرْبِ ، ونِسبةِ أشياءَ لهُمْ لم يكتسبُوها ولم يَفْعَلُوها ، ولا عِلْمَ لهُم بِها .

هؤلاءِ المُغْرِضونَ آثِمونَ ، وهُم في إيذائِهِم للمُؤمنينَ والمُؤمناتِ تحمَّلُوا ذنباً كبيراً ، وافْتَرَوا افتراءً واضحاً وكَذَبُوا كَذِباً فظيعاً .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

لمّا كانَ إيذاءُ المُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ حَراماً ، فإنَّهُ يجبُ عليهِنَّ الابتعادُ عن مواطنِ التُّهَمِ والإيذاءِ ، واجتنابُ مواقفِ الشكِّ والرِّيبةِ ، مِنْ أجلْ ذلكَ أوْجَبَ علىٰ المؤمناتِ السِّتْرَ وإرخاءَ الجِلْبابِ ، وعدمَ كشْفِ العَوْرةِ ، لِيَسْلَمْنَ مِنَ الأذىٰ .

يَطلبُ اللهُ مِنْ رسولِه ﷺ أنْ يأمُرَ أزواجَهُ وبناتِهِ والنِّساءَ المؤمناتِ أنْ يَتَستَّرْنَ ، ولا يكْشِفْنَ عَوْراتِهِنَّ ، فعليهِنَّ أنْ يُرخينَ جَلابيبَهِنَّ علىٰ أجسامِهِنَّ عندما يَخْرُجْنَ من بُيوتِهِنَّ .

والجِلبابُ هو اللباسُ الساترُ ، الذي يستُرُ جسمَ المرأةِ كلَّهُ ، فلا يكشفُ شيئاً من عَورتِها ، ولا يُجَسِّمُ مَعالِمَ بَدَنِها ، وعندما تُرْخيهِ وتُسْدِلُهُ علىٰ جسمِها تكونُ أبعدَ عن التُّهمةِ والرِّيبةِ ، فلا يَطْمَعُ بها الفُسّاقُ ، ولا يَظنُّونَها قريبةَ المنالِ ، راغبةً في الفُجورِ ، ولذلك لا يتعرَّضُونَ لها بالأذىٰ ، ولا يُكلِّمونَها طامعينَ في النَّيْلِ منها .

أمَّا إذا كانت مُتَبرِّجةً ، تكشِفُ عن عَوْرَتِها ، فإنَّها تُطمِعُ بذلك الفُسّاقَ وأهلَ الفجورِ ، وكأنَّها تدعُوهُم إليها ، فيُكلِّمُونَها راغبينَ في تحقيقِ مُرادِهِم منها .

لذلكَ أمَرَ اللهُ المؤمناتِ بإرخاءِ جلابيبِهِنَّ عليهِنَّ ، وسِتْرِ أجسامِهِنَّ عندَ خُروجِهِنَّ ، لِيَعْرِفَ الفُسّاقُ أنَّهنَّ لَسْنَ مِنَ النِّساءِ الفاجراتِ ، وأنَّهنَّ حرائرُ عفيفاتٌ ، مُحْصَناتٌ طاهراتٌ ، فلا يتعرَّضونَ لهُنَّ ، ولا يُؤذونَهُنَّ بالكَلِمةِ أو النظرةِ أو التصرُّفِ .

واللهُ غفورٌ رحيمٌ ، يغفرُ للمؤمناتِ ما سَلَفَ مِنهنَّ مِنْ إهمالِ السِّترِ ، ويَرْحَمُهُنَّ بحُسْنِ تَوجيهِهِنَّ وتأديبِهِنَّ لِحمايتِهِنَّ ودَفْعِ الأذىٰ عنهنَّ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المؤمنِ أنْ يُكثِرَ مِنَ الصَّلاةِ والتسليمِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ لِيَطْمَئِنَّ قلبُهُ ، ويزدادَ أجرُهُ .

٢ـ يُحَرَّمُ إيذاءُ رسولِ اللهِ ﷺ واتِّهامُهُ . وانتقاصُهُ ، والواجبُ احترامُهُ وتوقيرُهُ ، ومَحبَّتُهُ .

٣ـ إيذاءُ المُؤمنينَ والمُؤمناتِ واتِّهامُهُم بما لم يفعلوهُ ، ونشرُ الإشاعاتِ عنهُم ، بُهتانٌ وإثمٌ كبيرٌ .

٤ـ علىٰ المؤمناتِ أنْ يتميَّزْنَ عندَ خروجهِنَّ باللِّباسِ السَّاترِ للجسمِ ، ولا يُقلِّدْنَ المُتبرِّجاتِ الكافراتِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ صَلاةِ اللهِ علىٰ نبيِّهِ ﷺ ؟ وما معنىٰ صَلاةِ الملائكَةِ عَليْهِ ؟ وما معنىٰ صلاةِ المُؤْمنينَ عَليْهِ ؟

٢ـ ما العِبَارةُ الأفضلُ في صَلاتِكَ علىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟

٣ـ كيفَ كانَ إيذاءُ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ وما عقوبةُ مَنْ يَفْعَلُ ذلك عندَ اللهِ ؟

٤ـ بماذا وصفَ اللهُ الذينَ يُؤذونَ المُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ ؟ اذْكُرْ ثلاثةَ أمثلةٍ لإيذائِهم .

٥ـ بماذا أمرَ اللهُ المُؤْمِناتِ في آياتِ الدَّرْسِ ؟ وما معنىٰ ذلِكَ الأمرِ ؟ وما حِكْمَتُهُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ حديثَينِ في فَضْلِ الصّلاةِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ، واذكرِ اللفْظَ المُناسِبَ لكيفيَّةِ الصّلاةِ والسّلامِ عليه ﷺ .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ (١١٢) من سورةِ النِّساءِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبَهِ بينهَا وبينَ الآيةِ (٥٨) ، واكتُبْ معناها بإيجازٍ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عشَرَ

سورَةُ الأَحْزابِ - القِسْمُ الرَّابِعَ عشَرَ

۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ
ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾
سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ
ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **لم يَنْتَهِ** : لم يتوقَّفْ ويَتْرُكْ .
- **في قلوبهم مَرَضٌ** : عندَهُم ضَعْفُ إيمانٍ .
- **المُرْجِفونَ** : الّذين يَنشُرونَ الإشاعاتِ لإضعافِ المُسْلِمينَ .
- **لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِم** : لنسلِّطَنَّكَ عليهِم .
- **مَلعونينَ** : مَطْرودينَ من رحمةِ اللهِ .
- **أينما ثُقِفُوا** : في أيِّ مكانٍ وُجِدوا .
- **خَلَوْا مِنْ قبلُ** : مَضَوْا مِنْ قَبْلُ .
- **السَّاعةِ** : وَقْتَ مَجيءِ يومِ القيامةِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ النَّهي عن إيذاءِ اللهِ ورسولِه والمُؤمنينَ والمؤمناتِ إلىٰ الحديثِ عَنِ المُنافِقينَ وضُعفاءِ الإيمانِ الّذين يَنشُرونَ الإشاعاتِ بينَ المُسْلِمينَ .

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

هدَّدَ اللهُ في هذهِ الآيةِ المنافقينَ ، وهُمُ الّذينَ كانوا يُظهِرُونَ الإيمانَ ويُبْطِنونَ الكُفْرَ ، وهدَّدَ كذلك الذينَ في قُلوبهِم مَرَضٌ ، وهُمْ ضِعافُ الإيمانِ مِنَ المُسْلِمينَ ، الّذينَ لَمْ يتعمَّقِ الإيمانُ في قُلوبِهِم ، وهدَّدَ المُرْجِفينَ في المدينةِ ، وهمُ الّذينَ كانوا ينشُرونَ الإشاعاتِ والأخبارَ الكاذبةَ ، لِبَثِّ الرُّعبِ والخوْفِ بَيْنَ المُسلمينَ ، وتحطيمِ معنوياتِهِم .

وطالبَ اللهُ هؤلاءِ بالانتهاءِ عن أفعالِهِمُ السيئةِ ، والتوقُّفِ عن إيذاءِ المُؤمنينَ ، بما ينشُرونَهُ بينَهُمْ مِنْ إشاعاتٍ وأراجيفَ ، فإنْ لم يَنْتَهُوا عن ذلكَ فإنَّ اللهُ سيُسلِّطُ عليهِمْ رَسولَهُ ﷺ ، وسيأذَنُ له بقتالِهِم وقَتْلِهِم ، ويأمُرُه بإخراجِهِم مِنَ المدينةِ ، وعندَ ذلكَ لا يُجاوِرونَهُ ولا يُساكِنونَهُ فيها إلاّ مُدَّةً قَلِيلَةً مِنَ الزّمانِ .

﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾

هذا استمرارٌ بتهديدِ المنافقينَ والَّذينَ في قُلوبهِمْ مَرَضٌ والمُرْجفينَ في المدينةِ ، فإنْ لم يتوقَّفُوا عن جَرائمِهِم فإنَّ اللهَ سيلعَنُهم ويَطرُدُهم من رحمتهِ ، ويُوقعُ بهم غَضَبَهُ وعِقابَهُ ، وسيُسلِّطُ عليهِم رسولَهُ ﷺ وسيأذَنُ له بأخذِهِم والقبضِ عَليْهِم ، أينما وَجَدَهُم ، وحيثُما أدْرَكَهُم ، ويسمحُ له بتقتيلِهِم وإهلاكِهِم والقضاءِ عليهِم ، ولن يَجِدُوا أحداً يُساعِدُهُم وَيَحْمِيهِمْ .

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾

جزاءُ المنافقينَ والأعداءِ يتحقَّقُ بقتلِهِم وإخراجِهِم وطَرْدِهِمْ ، وهو سُنّةُ اللهِ العامةُ ، وحُكمُهُ الدائمُ الذي لا يتخلَّفُ ، والذي ينطبقُ عليهِم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، وقد أمَرَ اللهُ أنبياءَهُ وأولياءَهُ السّابقينَ بتطبيقِ هذا الحُكْمِ علىٰ الأعداءِ الذين مَضَوْا مِنْ قَبلُ ، فَطَبَّقُوهُ عليهِم وعاقبُوهُم ، كما فعلَ موسىٰ عليه السّلامُ مع السَّامريِّ ومع عُصاةِ بني إسرائيلَ .

وإذا لم يَتَخَلَّ الأعداءُ في المدينةِ عن جَرائمِهِم فَسَيفْعَلُ رسولُ اللهِ ﷺ بهِمْ كما فعلَ السابقونَ بالأعداءِ في عَهدِهِم .

لمَّا كانتْ هذهِ هي سُنّةَ اللهِ ، فإنَّها لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ ، لأنه لا تَبْديلَ ولا تَحْويلَ لسُنَّةِ اللهِ ، في أيِّ زمانٍ ومكانٍ ، لأنها قائمةٌ علىٰ الحِكمةِ والصَّوابِ والصَّلاحِ .

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

إنَّ الساعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها ، ولكنَّ الكُفّارَ لا يُؤْمِنونَ بيوم القيامةِ ، ويُنكِرونَ مَجيءَ السّاعةِ .

ولذلكَ تراهُم يسألونَ رسولَ اللهِ ﷺ عَنِ السَّاعةِ ، ويقولونَ له : إن كانتِ السَّاعةُ آتيةً كما

تقولُ ، فأخْبِرْنا متىٰ تَأْتِي ؟ يقولونُ هذا مِنْ بابِ الاسْتِهْزاءِ والسُّخْريةِ والاستبعادِ لها .

وقد أمرَ اللهُ رسولَ اللهِ ﷺ ، أنْ يُخبرَهُم أنه لا يَعلمُ وقتَ مجيئِها إلا اللهُ وحْدَهُ ، فعِلْمُها عندَهُ سُبحانَهُ ، لم يُخْبِرْ بذلك مَلَكاً مُقرَّباً ولا نبيّاً مُرْسلاً ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيانَ مُرْسَاها فِيمَ أنتَ مِنْ ذِكْراها إلىٰ ربّك مُنْتَهاها﴾ [النازعات : ٤٢ـ٤٤] .

وقد هدَّدَ اللهُ السائلينَ عن السَّاعةِ سخريةً واستهزاءً بأنها قد تكونُ قريبةً ، فَتَأْتيهمْ بغتةً وتَقضي عَليْهِم ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿اقتربَ للنّاسِ حِسَابُهُم وهُمْ في غَفْلَةٍ مُعرِضُون﴾ [الأنبياء : ١] .

وممّا يَدلُّ علىٰ أنَّ الساعةَ قد تكونُ قريبةً ماروَاه البخاريُّ ومُسلمٌ عن أنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « بُعِثْتُ أنا والسَّاعةَ كهاتيْنِ »[1] . وأشارَ بإصبَعَيْهِ : السبّابةِ والوُسطىٰ ، أيْ : إنَّ بعْثَتَهُ ﷺ قريبةٌ مِنْ قيامِ السَّاعةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المُنافِقونَ وضِعافُ الإيمانِ حَريصونَ علىٰ إضعافِ المُؤمنينَ ونَشْرِ الإشاعاتِ بَيْنَهُمْ .

٢ـ يجبُ تهديدُ الأعْدَاءِ داخِلَ المُجْتَمَعِ الإسْلامِيِّ بالعقوبةِ ليتوقَّفوا عَنْ مكائدِهِم .

٣ـ أمرَ اللهُ رُسُلَهُ وأولياءَه بالانتقام من الأعداءِ ومعاقَبَتِهِمْ .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ مُطَّرِدَةٌ دائمةٌ لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ .

٥ـ لا يعلمُ وقتَ مَجيءِ السّاعةِ إلا اللهُ وحدَهُ ، وعلىٰ المُؤْمنينَ الاستعدادُ الدائمُ لها .

٦ـ يجبُ علىٰ المؤمنِ الاستعدادُ الدائمُ للسَّاعةِ ، لأنها قد تكونُ قريبةً ، وتأتيهِ فَجْأةً .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ من الآيةِ الأُولىٰ ثلاثةَ أصنافٍ مِنَ الأعداءِ هدَّدَتْهُم بالعقاب .

٢ـ ما معنىٰ كُلٍّ مما يأتي : يَنْتَهِ ، المُرجِفونَ ، لَنُغْرِيَنَّكَ بهم ، ثُقِفُوا ، خَلَوْا مِنْ قبلُ ؟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرّقاق : باب قول النبي ﷺ : بعثت والساعة كهاتين . حديث رقم ٦٥٠٤ ، وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة . باب قرب الساعة . حديث رقم : ٢٩٥١ .

٣ـ هل قَتَلَ رسولُ اللهِ ﷺ المنافقينَ ؟ ولماذا ؟

٤ـ لماذا لا تتبدَّلُ سُنّةُ اللهِ ؟ واستشهدْ علىٰ ذلك بآيةٍ أُخرىٰ مِنَ القُرْآنِ .

٥ـ لماذا كانَ الكُفّارُ يسألُون رسولَ اللهِ ﷺ عَنِ السَّاعةِ ؟ وبماذا أجابَهُم عن سُؤالِهِمْ ؟

٦ـ لا يَعْلَمُ متىٰ تقومُ السّاعةُ إلاّ اللهُ ، اذكُرْ آيتينِ ، واذْكُر حديثاً في تقريرِ ذلك .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ (٨٣) مِنْ سورةِ النّساءِ ، واستخْرِجْ منها ذَمَّ الّذينَ ينشُرونَ الإشاعاتِ ويُذِيعونَ الأخبارَ الكاذِبةَ .

٢ـ استخرجْ مِنْ سُورةِ فاطرٍ آيةً تُصرِّحُ بأنهُ لا تبديلَ ولا تَحْويلَ لسُنَّةِ اللهِ ، وسَجِّلِ الآيَةَ في دفترِكَ ، واستخرجْ منها السُّنَّةَ التي لا تَتَبَدَّلُ .

٣ـ سجِّلِ الجزءَ من حديثِ جبريلَ عندما سألَ رسولَ اللهِ ﷺ عنِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ والسّاعةِ وعلاماتِها ، وماذا كانَ جوابُ الرسولِ ﷺ عندما سألَهُ عن السّاعَةِ ؟

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامِسَ عشَرَ

سورَةُ الأَحْزَابِ - القِسْمُ الخامِسَ عشَرَ

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ
تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا
سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

لَعَنَ الكافرينَ	: أبْعَدَهُم وطَرَدَهُم من رَحمتهِ لكُفْرِهم .
سعيراً	: ناراً مُشتعلةً شديدةَ الحرارةِ .
تُقَلَّبُ وجُوهُهُم في النارِ	: تُصرَّفُ وجُوهُهُم في النارِ من جهةٍ إلىٰ أُخرىٰ .
سادَتَنا وكُبَراءَنا	: قادَتَنا وزُعماءَنا .
ضِعْفَينِ مِنَ العذابِ	: مِثْلَيْ عذابِنا .
عِندَ اللهِ وَجِيهاً	: صاحبَ قَدْرٍ ومَنْزِلَةٍ عاليةٍ عندَ اللهِ .

التَّفْسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ تهديدِ المُنافِقينَ بالعذابِ في الدُّنيا إلىٰ الحَديثِ عن الكُفّارِ والمُنافِقينَ يومَ القيامةِ ، وتُقدِّمُ صورةً لعذابِهم وخزيِهم في النارِ ، وبراءَتِهم مِنْ أسيادِهم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

لعنَ اللهُ الكافرينَ ، وأبْعَدَهُم عَنْ رَحمتِه ، وأَوْقَعَ بهم عِقابَهُ ، بسببِ كُفْرِهِمْ بِهِ وهَيَّأَ لَهُمْ في

الآخرةِ ناراً حارقةً ، شديدةَ الاشتعالِ ، يُعذِّبُهُم فيها عذاباً دائماً ، وهم خالدونَ فيها أبَدَاً ، لايَخرُجُونَ منها ، ولا يَموتونَ فيها ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿والذينَ كَفَرُوْا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقضىٰ عليهِمْ فَيَمُوْتوا وَلا يخُفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر : ٣٦] .

وهُمْ في عذابِ جهنَّمَ يائِسونَ مِنَ النَّجاةِ أو المُساعدةِ ، فلا يَجدِونَ مَنْ يواليهِم ويُساعِدُهُم ، ولا مَنْ يَنصُرُهُم ويَدفعُ عَنهُم ، ولا مَنْ يَشفعُ لهم عندَ اللهِ .

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾

الكفارُ مُخلّدونَ في العذابِ ، لا يتوقَّفُ العذابُ عَنْهُمْ ، إنَّهم يُسْحَبونَ في النارِ علىٰ وُجوهِهِم ، ويُلْقَوْنَ فيها مُقَرَّنِينَ مُقيَّدينَ ، وتُكوىٰ وجُوهُهُم في جهنَّمَ ، وتُقَلَّبُ علىٰ النارِ مِنْ جهةٍ إلىٰ أُخرىٰ ، كاللَّحمِ الذي يُقَلَّبُ عندما يُشْوَىٰ علىٰ النارِ .

وهم في أثناءِ تعذيبِهِم يَنْدَمونَ علىٰ ما عَمِلُوا في الدُّنيَا ، ويَتَمَنَّوْنَ لو آمَنُوا لِيَنْجُوا من هذا العذابِ ، ويقولونَ : يا ليتنا كنَّا في الدُّنيا ممَّن آمنوا ، وأطاعوا اللهَ ورسولَه ﷺ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿رُبَمَا يودُّ الذينَ كَفَرُوْا لَوْ كَانُوا مُسلِمِيْنَ﴾ [الحجر : ٢] .

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

يتمنَّىٰ الكفَّارُ في النّارِ لو كانُوا في الدُّنْيا مُؤمنينَ ، مُطيعينَ للهِ ورسولِه ، ويُحَمِّلُونَ سادَتَهُم وزُعماءَهُمْ مَسْؤُولِيَّةَ إضْلالِهِمْ ، ويَطلبُونَ مِنَ اللهِ أنْ يُضاعِفَ عذابَهُم ، ويقولونَ : يا ربَّنا إنَّا أطعْنَا في الدُّنْيا رُؤساءَنا وزُعماءَنا وعُلماءَنا وقادَتَنا ، وعَصَيْنَا رُسُلَكَ وأولياءَكَ ، والَّذينَ أطعْناهُم أضَلُّونا عن طريقِ الهُدىٰ ، وأَخَذونا إلىٰ طريقِ الباطِلِ ، فكَفَرْنَا وانْحَرَفنا وضَلَلْنا .

يا ربَّنا عذِّبْهُم مثلَ عذابِنا مرَّتينِ ، لأنَّهُمْ همُ الذين أضَلُّونا ، فيستَحِقُّونَ أنْ يُعَذَّبُوا عذاباً علىٰ كفرِهِم وضَلالِهِم ، وعذاباً آخرَ علىٰ إضلالِهِم لنا وإغوائِنا .

والعَنْهُم يا ربَّنا لعنةً كبيرةً ، وأبْعِدْهُم من رحمتِكَ ، وخَلِّدْهُم في عذابِهِم .

ويُجيبُهُم اللهُ علىٰ طَلَبِهِم ، بأنَّهُ جعلَ لكلٍّ منهم ضِعْفاً مِنَ العذابِ ، وهم يتحمَّلُونَ مسؤوليةَ ضَلالِهِم ، فَهُمْ قَدِ استجابُوا لِسادَتِهِمُ الكُفّارِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿حتّىٰ إذا ادّاركُوا فيها جَمِيْعاً قالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُم ربَّنا هؤلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعلَمُوْنَ﴾ [الأعراف : ٣٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾

نهىٰ اللهُ المُؤْمِنينَ عن إيذاءِ رسولِ اللهِ محمدٍ ﷺ ، ومَنْ آذاهُ لَعَنَهُ ، وأعدَّ له العذابَ الأليمَ

وطَلَبَ مِنْهُمْ ألاّ يكونوا مِثْلَ فريقٍ مِنْ بني إسرائيلَ ، آذَوْا موسىٰ عليهِ السّلامُ ، واتَّهمُوهُ باتهاماتٍ باطلةٍ . وقد برَّأهُ اللهُ ممَّا اتَّهمُوه به زُوراً وكَذِباً ، وبيَّنَ لأتباعِه فَضْلَهُ وشَرَفَهُ ، وقد اصْطفىٰ اللهُ نبيَّهُ موسىٰ عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ ، وجَعَلَهُ وَجيهاً عندَهُ ، وصاحبَ جاهٍ وقَدْرٍ ومَنزلةٍ عاليةٍ .

وقد آذىٰ بنو إسرائيلَ نبيَّهُم موسىٰ عَلَيْهِ السّلامُ أكثرَ مِنْ مرَّةٍ ، وأشارَ القرآنُ إلىٰ بعضِ هذه المواقفِ المُؤذيةِ ، آذَوْهُ عندما قالوا له : لن نُؤمنَ لك حتىٰ نرىٰ اللهَ جَهْرَةً ، وآذَوْهُ عندما قالُوا له : لن نَصْبِرَ علىٰ طعامٍ واحدٍ ، وآذَوْهُ عِنْدَما طَلَبَ مِنْهُمُ الجهادَ فجَبُنوا وقالوا : اذهَبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا ، إنا هاهُنا قاعِدُونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفارُ مُخَلَّدونَ في النارِ مَلْعونُونَ مُعَذَّبُونَ ، ليسَ لهم وَلِيٌّ ولا نصيرٌ ولا شفيعٌ بسببِ كُفْرِهم .

٢ـ تتمُّ البراءةُ بينَ الأتباعِ والمتَّبَعينَ مِنَ القادةِ يومَ القيامةِ ، والفريقانِ مُخَلَّدانِ في العذابِ .

٣ـ يندمُ كلُّ مَنْ عصىٰ اللهَ ورسولَه في الآخرةِ ، لأنه ضيَّعَ الفُرصةَ بعِصْيانِهِ .

٤ـ إيذاءُ أيِّ رسولٍ في حياتِه أو بعدَ وفاتِهِ ، بقولٍ أو فِعْلٍ حرامٌ ، فالأنبياءُ أصحابُ وجاهةٍ عندَ اللهِ .

٥ـ كانَ بنو إسْرائيلَ يُؤْذونَ موسىٰ عليه السّلامُ علىٰ الرّغمِ مِنْ إيمانهم بهِ ، وبذلِكَ كانوا مُتَناقِضينَ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ كيفيَّةَ تعذيبِ الكُفَّارِ في النّارِ .

٢ـ ما الذي يتمَنَّاهُ الكُفّارُ وهم يُعذَّبُونَ في النّارِ ؟

٣ـ ما نتيجةُ طاعةِ السّادةِ والكُبَراءِ في الآخِرةِ ؟ وما العِبْرَةُ المُسْتَفادَةُ مِنْ ذَلِكَ ؟

٤ـ ما الذي يَطلبُه الأتباعُ لِكُبرائِهم في الآخِرةِ ؟ وبماذا يَرُدُّ اللهُ عليهم ؟

٥ـ اذكُرْ ثلاثةَ نماذجَ لإيذاءِ بني إسْرائيلَ لِمُوسىٰ عليه الصّلاةُ والسّلامُ .



١ـ سجِّلِ الآياتِ مِنْ سورةِ الفُرقانِ ، التي تُخْبِرُ عن نَدَمِ الظَّالمِ ، وعَضِّهِ علىٰ يَدَيْهِ ، وتَمنِّيهِ لو لمْ يتَّبعِ الظالمينَ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينها وَبَينَ الآيةِ (٦٧) .

٢ـ أنكرَ موسىٰ عليه السّلامُ علىٰ قومهِ إيذاءَهُم له ، اسْتَخْرِجْ مِنْ سورةِ الصَّفِّ آيةً تُخْبِرُ عَنْ ذلكَ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبَهِ بينَها وبينَ الآيةِ (٦٩) .

＊ ＊ ＊

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورَةُ الأَحْزابِ ـ القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

قوْلاً سَديداً : قولاً مُستقيماً لا اعْوِجاجَ فيهِ .

عَرَضْنا : قَدَّمْنا .

الأمانةَ : التكاليفَ الشرعيَّةَ .

أبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها : لم يُكلَّفْنَ هذه التكاليفَ الشرعيةَ .

أشْفقْنَ منها : خِفْنَ من نتائجِ التكليفِ .

ظَلُوماً جهُولاً : الإنسانُ ظالمٌ لنفسِه ، جاهلٌ بِطاقاتِهِ ، ويُقصِّرُ في أَداءِ الأمانةِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنِ العاقبةِ السَّيئةِ للكافرينَ يَوْمَ القيامةِ ، إلىٰ دَعْوَةِ المُسْلِمينَ ، لِتَقْوىٰ اللهِ وطاعتِهِ ، وتذكيرِهِم بأمانةِ التكليفِ التي التزَمُوا بها ، واستَنَدُوا لِأدائِها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

يَدْعو اللهُ المُؤمنينَ إلىٰ تقواهُ في الأُمورِ كلِّها ، بالتزامِ عبادتِهِ ، وأداءِ أوامرِهِ ، واجتنابِ نَواهيهِ ،

ومِنْ ذلكَ الانتباهُ إلىٰ الأقوالِ التي يَقولونَها ، ويأمرُهُمْ أنْ يكونَ قولُهم صَواباً صَحيحاً مُستقِيماً ، وأنْ يكونَ حلالاً يَرْضىٰ اللهُ عنهُ ، ويُثيبُهُم عليهِ ، وعليهم أنْ يَحْذَروا الأقوالَ الباطلةَ الخاطئةَ التي حرَّمَها اللهُ ، وأنْ يتذكَّروا أنَّ كلَّ قولٍ يَصْدُرُ عنهم يُسَجَّلُ عَلَيْهِمْ ، سواءٌ أكانَ سَدِيداً صَواباً ، أمْ باطلاً مُحرَّماً .

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

ماذا أعدَّ اللهُ لعبادِه المُؤْمنينَ الَّذينَ اتَّقَوْهُ وصدقُوا في أقوالِهم ؟ أعدَّ لَهُمُ الأجرَ الجزيلَ الكبيرَ ، فهو يُصْلِحُ لها أعمالَهُم ، بأنْ يُوفِّقَهُم للأعمالِ الصّالحةِ الطيِّبةِ ، التي يَقبلُها مِنْهُمْ ويُثيبُهُم عَلَيْها ، وهو يَغفِرُ لهم ذنوبَهم ، التي عَمِلُوها مِنْ دُونِ تعمُّدٍ ، ثُمَّ تابوا مِنْها ، واستغفرُوا اللهَ ، ويُعينهُم علىٰ طاعَتهِ وحُسْنِ عِبادتِه والإخلاصِ له ، وبذلك يكونونَ ناجحينَ رابحينَ في الدُّنيا ، ويكونونَ مُفْلِحينَ فائزينَ في الآخرةِ ؛ لأنَّهم يَدْخلُونَ الجنَّةَ برحمةِ اللهِ ، ومَنْ أطاعَ اللهَ ورسولَهُ في الدُّنْيا ، ودخلَ الجَنةَ في الآخِرَةِ ، فقد فازَ فوزاً عظيماً كبيراً .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

ولمّا دعا اللهُ المُؤْمنينَ إلىٰ طاعتِه وتقواهُ ، وأخْبَرَهُمْ بما لَهُمْ عِنْدَه إنِ التزَمُوا بذلِكَ ، ذكَّرَهُم بأمانةِ التكليفِ التي التزَمُوا بها ، وتعهَّدُوا بأدائِها .

أخْبَرَنَا اللهُ أنّهُ عَرَضَ الأمانةَ ، وهي التكاليفُ الشرعيةُ علىٰ السمٰواتِ والأَرْضِ ، وهذا العَرْضُ عَرْضُ تَخْيِيْرٍ ، لا عَرْضَ إلزامٍ ، فأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنها وخِفْنَ من عاقبةِ تحمُّلِ ذلكَ ، واللهُ أعلمُ بكيفيَّةِ ما أخْبَرَنا عَنْهُ ، وإن كُنّا نُؤمِنُ بذلكَ ونُصدِّقُ بهِ ، تصديقاً لخبرِ اللهِ تعالىٰ ، وإيماناً بما جاءَنا مِنْ عنده .

وقَبلَتْ السمٰواتُ والأرضُ والجبالُ أنْ تكونَ مُطيعةً للهِ ، خاضعةً له ، مُنفِّذَةً لأمرِه ، مِنْ دُونِ تكليفٍ ولا اختيارٍ .

أمَّا الإنسانُ فإنَّهُ حَمَلَ أمانةَ التكليفِ ، لأنَّ اللهَ منحَهُ العقلَ والإرادةَ والاختيارَ ، فلمّا عرضَ اللهُ هذهِ الأمانةَ عليهِ ، وعرَّفَهُ طبيعتَها وعاقبتَها ، استعدَّ للقيامِ بها ، وحُسْنِ تنفيذِها ، وتحمُّلِ نتائجِها .

وغالبُ النّاسِ لا يَلتزمونَ بما تعهَّدُوا بهِ ، ولا يُؤدُّونَ الأمانَةَ ، وبذلكَ يكونُونَ ظالمينَ لأنفُسِهم ، يُوقعُونَها في العذابِ ، وجاهلينَ في التزامِهِمْ ، يتأثَّرونَ بالشَّهَواتِ ، ويَفعلونَ المُحَرَّماتِ ، ويُقصِّرُونَ في الواجباتِ .

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

حَمَلَ الناسُ جميعاً أمانةَ التكليفِ ، منذُ آدمَ عليْهِ السّلامُ وحتىٰ قيامِ السّاعةِ ، وكانتِ النتيجةُ أنِ انقسمَ الناسُ إلىٰ قِسْمَينِ :

ـ أكثرُ الناسِ لم يُؤدُّوا الأمانةَ ، ولَم يلتزِمُوا بالتكاليفِ ، وهؤلاءِ سيُعذِّبُهم اللهُ عذاباً شديداً في نارِ جَهَنَّمَ خالدينَ فيها أبداً .

ـ وقليلٌ مِنَ الناس أدّوا الأمانةَ ، والتزَموا بالتكاليفِ ، وهم المُؤْمنونَ والمُؤْمناتُ ، وهؤلاءِ يتوبُ اللهُ عَليْهِم ويغفرُ لهم ذُنوبَهُمْ ، ويُدخِلُهمْ الجنةَ برحمتهِ ، مُخَلَّدينَ مُنعَّمينَ فيها أبداً .

إنَّ اللهَ شديدُ العقابِ لِلَّذينَ خانوا الأمانةَ ، وكفروا وأشرَكوا ، وهو غفورٌ رحيمٌ لِلَّذينَ أدَّوا الأمانةَ ، واستقامُوا علىٰ طاعتِهِ ، واستغفروهُ لِما قصَّرُوا فيهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المُؤْمِنِ الحرصُ علىٰ تقوىٰ اللهِ ، والانتباهُ إلىٰ أقوالِهِ وأفعالِهِ ، فلا يَقُولُ بالمُؤْمِنِيْنَ إلاّ صَواباً ، ولا يَفْعَلُ إلاّ خَيْراً .

٢ـ اللهُ يُعينُ عبادَهُ الصالحينَ ، فيُوفِّقُهُم إلىٰ الأعمالِ الصالحةِ ، ويَقبَلُها منهُم ، ويُلْهِمُهمُ التوبةَ من ذُنوبِهِم ، ويغفرُ لَهُمْ .

٣ـ النَّجاحُ في الدُّنْيا ، والفوزُ في الآخرةِ لا يتحقّقانِ إلا بطَاعَةِ اللهِ ورَسولِه .

٤ـ أمانةُ التكليفِ وما يترتَّبُ عليها ثقيلةٌ ، فقد خُيِّرَتِ السمواتُ والأرضُ في حَمْلِها ، فما قَبِلَتْ خَوْفاً من التقصيرِ فيها ، علىٰ الرغمِ مِنْ شدَّةِ خَلْقِهما وَعَظَمَتِهِ .

٥ـ الإنسانُ حَمَلَ أمانةَ التكليفِ ، وهو عالِمٌ بطبيعتِها ونتائجِها ، ومعَ ذلك يَظْلِمُ ويَجْهَلُ ويُقَصِّرُ فيها .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلة الآتية :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ أمْرَينِ مُوجَّهَيْنِ إلىٰ المؤمنينَ ، وجَزاءَينِ حسَنَيْنِ لِمَنْ نَفَذَهُما .

٢ـ ما الشرطُ الذي لا يتحقَّقُ الفوزُ العظيمُ إلاّ بهِ ؟

٣ـ اذكُرْ معنىٰ الآيةِ (الثانيةِ والسَّبْعينَ) بما لايزيدُ علىٰ ثلاثة أسطرٍ .

٤ـ ينقسمُ الناسُ بالنسبةِ إلىٰ الأمانة إلىٰ قِسْمينِ ، استَخْلِصْهُما من الآيةِ الأخيرةِ ، واذكُرْ مصيرَ كلٍّ منهما .

٥ـ ما الدليلُ علىٰ تساوي الرّجالِ والنّساءِ في الثّوابِ والعقابِ ، مِنْ كَلِماتِ الآيةِ الأخيرةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دفترِك آيتيْنِ من سورةِ [ق] ، تُقَرّرانِ تسجيلَ المَلَكيْنِ لكلِّ ما يقولُه الإنسانُ .

٢ـ استخرجْ آيةً مِنْ سُورةِ فُصِّلَتْ ، تُصَرِّحُ بأنَّ السمٰواتِ والأرضَ مُطيعةٌ للهِ ، واكتُبْها في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ سبأٍ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ
ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ
عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى
كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ سَبَأٍ مكيةٌ ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لِوُرودِ قصّةِ سبأٍ فيها ، وكانُ قومُ سبأٍ في اليَمنِ ، وقد أسلَمَتْ مَلِكَتُهُمْ زمنَ سُليمانَ عَلَيْهِ السّلامُ .

وتدورُ موضوعاتُ السُّورةِ علىٰ إثباتِ الوَحدانيّةِ ، ونَفْيِ الشِّرْكِ باللهِ ، وإثباتِ الوَحْيِ ، وتقريرِ البَعْثِ والحسابِ والجزاءِ في الآخِرَةِ ، وتتحدَّثُ عَنِ الشُّكْرِ والشَّاكرينَ ، وتضرِبُ لَهُمْ مِثالاً بداودَ وسُليمانَ عليهما السّلامُ ، وذكَرَتِ الجاحِدينَ ، وضَرَبَتْ لهم مَثَلاً قومَ سبأٍ .

معاني المُفْرداتِ :

الحَمدُ للهِ	: الثناءُ علىٰ اللهِ بما هو أهلُهُ .	يَلِجُ في الأرضِ	: يدخُلُ في الأرضِ .
يعرُجُ فيها	: يَصعَدُ في السّماءِ .	يَعزُبُ	: يغيبُ .

مِثقالُ ذَرَّةٍ وَزْنُ أصْغرِ شيءٍ وَهُوَ الذَّرَّة .

مُعاجِزينَ أرادوا تعجيزَ اللهِ بِحَربِ آياتِهِ .

سَعَوْا في آياتِنا نَشِطُوا وتحرَّكُوا في إبطالِ آياتِنا .

رِجْزٍ أليمٍ : عَذابٍ شَديدٍ مُؤلمٍ .

التفسيرُ :

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ .

افْتُتِحَتْ هذهِ السُّورةُ الكريمةُ بتَمْجيدِ اللهِ تعالىٰ وَحَمْدِه ، فهو المُستحِقُّ لِلْحَمْدِ والثَّناءِ ، وهو المالِكُ للسمٰواتِ والأرضِ ، والمالِكُ لكلِّ ما فيهما ، والمُتَصرِّفُ فيهما بما يشاءُ ، والمُنْعِمُ علىٰ مَنْ فيهما ، فَلَهُ الحَمْدُ في الدُّنيا ، وهُوَ المُستَحِقُّ لِلحَمْدِ والشُّكْرِ والثناءِ في الآخرةِ ، يَحْمَدُهُ المُؤْمِنونَ في الجَنَّةِ علىٰ ما أنعمَ عَليْهِم فيها مِنَ النعيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر : ٧٤] .

واللهُ المَحْمُودُ المَعْبُودُ وَحْدَهُ حكيمٌ في أقوالِه وأفعالِه ، لا تَرَىٰ فيهَا خَطأً أو باطِلاً ، وَهُوَ الخَبيرُ بالأشياءِ كلِّها ، ظاهِرِها وباطِنِها .

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ .

اللهُ المَحْمُودُ المَعْبُودُ أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، فَهُوَ يَعْلَمُ كلَّ ما يدخُلُ في الأرضِ في اللَّحظَةِ الواحِدَةِ ، مِنْ هواءٍ وماءٍ وكُنوزٍ وأحياءٍ وأمواتٍ ، ويَعلمُ كلَّ ما يخرجُ مِنَ الأرضِ في اللَّحْظَةِ الواحدةِ مِنْ ذلكَ ، ويعلَمُ كلَّ ما ينزلُ مِنَ السّماءِ في اللّحظةِ الواحدةِ مِنْ أقدارٍ وأرزاقٍ وأمراضٍ ورياحٍ وذرَّاتٍ وأمطارٍ ، ويعلَمُ ما يَصعدُ إلى السّماءِ في اللّحظةِ الواحدةِ مِنْ أعمالٍ وعباداتٍ وطاعاتٍ ودَعَواتٍ ، ومِنْ أحياءٍ وأشياءَ .

هو المُقدِّرُ لكلِّ ذلكَ ، والمريدُ له ، والعالِمُ بهِ ، وهو المُطَّلعُ علىٰ أعمالِ عبادِهِ ، العالِمُ بها ، وهو رحيمٌ بالمُؤْمِنين ، لايُعاجِلُهُمْ بالعُقوبةِ ، وغفورٌ يغفرُ لَهُم ذُنُوبَهُم ، عندما يَتُوبونَ منها .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ .

بعدَ أن بيَّنَتِ الآياتُ عظيمَ أمْرِ اللهِ وقُدْرتِه علىٰ كلِّ شيءٍ ، جاءَتْ هذهِ الآيةُ لِتُبَيِّنَ أنَّ الكُفارَ يُنْكِرُونَ الآخِرَةَ ، ولا يُؤمِنونَ بيومِ القيامةِ ، ويُعلِنونَ ذلكَ قائلينَ : لا تأتينا السّاعةُ ، ولا يُمكنُ أنْ

يكونَ هناكَ قيامةٌ ولا بعثٌ ولا حسابٌ .

وقد أمرَ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عليهِمْ ، بأنْ يُقسِمَ علىٰ مجيءِ السّاعةِ قائلاً : بلىٰ ، واللهِ ، لَتأتِيَنَّكُمْ السّاعةُ بلا رَيْبٍ أو شكٍّ .

واللهُ الذي يَأْتِي بالسَّاعَةِ ويُحاسِبُ النّاسَ يومَ القيامةِ ، هو العالِمُ بكلِّ شيءٍ ، وَوَسِعَ عِلْمُهُ كلَّ شيءٍ ، فهو عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، ولا يَغيبُ عنه أصغرَ شيءٍ في السمٰواتِ والأرضِ ، حتىٰ لو كانَ أصغرَ مِنَ الذرَّةِ . والأصغرُ مِنْ وزنِ الذرَّةِ والأكبرُ منهُ محفوظٌ في كتابٍ مبينٍ ، في عِلْمِ اللهِ .

والذي أحاطَ عِلْماً بكلِّ شيءٍ قادرٌ علىٰ بَعْثِ المَخْلوقينَ جَميعاً يومَ القيامةِ .

﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

اللهُ العالِمُ بكلِّ شيءٍ سيَبْعَثُ الناسَ يومَ القيامةِ ، ويُحاسِبُهُم علىٰ ما عَمِلُوا ، وبعدَ ذلك سيُكْرِمُ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ ، الذينَ أكثرُوا مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ ، وسَيُثيبُهُم أحسنَ الجزاءِ والثواب ، ويُدْخِلُهم جناتِ تَجْرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ ، ويَرزُقُهم فيها الرِّزقَ الكريمَ الطيِّبَ المُباركَ ، ويمُنُّ عَلَيْهِم بالمَغْفرَةِ ، ويُحِلُّ عَلَيْهِمُ الرِّضوانَ .

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ .

أمّا الكَافِرونَ فسوفَ يُعاقِبُهُمُ اللهُ بسببِ كُفرِهم وجَرائمِهِم في الدُّنيا ، فقدْ حارَبُوا دينَ اللهِ ، وبذلُوا جُهْدَهُم في إبطالِ آياتِ اللهِ ، وأرادُوا تَعْجيزَ اللهِ ، ولكنَّهُم كانوا خَاسِرينَ ، لأنَّه لا يُعجِزُهُ شيءٌ في السَّمواتِ والأرضِ ، وكلُّ مَنْ حارَبَ اللهَ ودينَهُ وأولياءَه فهو المَهزومُ الخاسِرُ الهالِكُ .

يُعذِّبُ اللهُ الكافرينَ بعَدْلِهِ ، ولا يَظْلِمُهم شَيْئاً ، ويُدْخِلُهُمُ النّارَ مُخَلَّدينَ فيها ، يَصبُّ عليهِمُ العذابَ الشَّديدَ الأليمَ فيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ مالِكُ السمٰواتِ والأرضِ ومافيهِما ، وهُوَ المحْمُودُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَهُوَ وَحْدَهُ المَعْبُودُ بحقٍّ .

٢ـ عِلْمُ اللهِ شامِلٌ لكلِّ شيءٍ في السّمٰواتِ والأرضِ ، يَعلمُ كُلَّ ما يحدثُ في السمٰواتِ والأرضِ في اللّحظةِ الواحدةِ .

٣ـ المُؤمِنُ يُقْسِمُ علىٰ الأشياءِ اليقينيَّةِ ليُقْنِعَ المُرتابَ فيها ، كما أقسمَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ مجيءِ

السّاعةِ .

٤ـ الكُفّارُ بَذلوا كلَّ جُهْدِهِم في حَرْبِ دينِ اللهِ ، وأرادُوا تعجيزَ اللهِ ، ولكنَّهُم كانوا خاسرينَ في النّهايةِ .

٥ـ لا يغيبُ عن عِلْمِ اللهِ أيُّ شيءٍ في هذا الوُجُودِ ، لأنَّ اللهَ حَفِظَ كلَّ صَغيرَةٍ وَكَبيرَةٍ في كتابٍ مُبينٍ .

٦ـ اللهُ يُحْسِنُ جزاءَ المُؤْمنينَ المُخْلصينَ ومُكافَأتَهُمْ بكَرَمِه ورَحمتِه ، ويُعاقِبُ الكافرينَ بِعَدْلِه .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلة الآتية :

١ـ اللهُ المتفرِّدُ بالحَمْدِ والثناءِ ، لماذا ؟ استخرجْ ذلكَ من الآيةِ الأولىٰ .

٢ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الثانيةِ صُورةً شاملةً لِعلْمِ اللهِ .

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ مَصيرَ المُؤمنينَ ، ومصيرَ الكافرينَ .

٤ـ ما مَعْنىٰ كُلٍّ ممّا يأتي : يَلِجُ في الأرضِ ، وما يعرُجُ فيها ، لا يعزُبُ عنه ، عذابٌ من رِجْزٍ أليمٍ .

٥ـ كيف تَرُدُّ علىٰ مُنكِري البعثِ ؟ أيِّدْ إجابتَكَ بدليلٍ من الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذكُرْ أسماءَ السُّوَرِ المفتَتَحةِ بالحَمْدِ للهِ ، وسجِّل في دفترِكَ الآيةَ الأولىٰ من كلِّ سورةٍ .

٢ـ أمرَ اللهُ رسُولَهُ ﷺ أنْ يُقْسِمَ في ثلاثِ آياتٍ ، هذهِ واحدةٌ منها ، استخرجِ الآيتينِ الأُخريَيْنِ من سورةِ يُونُسَ ، وسورةِ التغابُنِ ، وسَجِّلْهُما في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثامنَ عشَرَ

سورةُ سَبَأٍ ـ القِسْمُ الثَّاني

وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ
ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ
ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

- يرىٰ الذين أُوتُوا العِلْمَ : يَعلَمُ ويُوقِنُ العُلماءُ .
- يُنبِّئُكُم : يُخبرُكُم .
- مُزِّقْتُم كلَّ مُمَزَّقٍ : مُتُّمْ وبَليتُم وصِرْتُم تُراباً .
- خَلْقٍ جديدٍ : تُبعثونَ يومَ القيامةِ .
- أَفْتَرَىٰ علىٰ اللهِ كذباً : أكَذَبَ علىٰ اللهِ .
- بِهِ جِنَّةٌ : به جُنونٌ .
- الضَّلالِ البعيدِ : البُعدِ عن الحقِّ واتِّباعِ الباطلِ .
- كِسَفاً من السَّماءِ : قِطَعاً مِنَ العذابِ النازلِ مِنَ السَّماءِ .

التفسيرُ :

تَنتقلُ الآياتِ مِنْ تقريرِ شُمولِ عِلْمِ اللهِ وبَعْثِ النّاسِ ، وثَوابِ المُحْسنينَ وعقابِ الكافرينَ ، لتتحدَّثَ عن تكذيبِ الكُفَّارِ للنبيِّ ﷺ ، واتّهامه بالجُنونِ أوِ الافْتِراءِ .

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ .

يُثني اللهُ علىٰ المُؤمنينَ الذينَ أُوتوا العِلْمَ ، فعِلْمُهُمْ الصَّحيحُ النافعُ قادَهُم إلىٰ حُسْنِ النَّظَرِ في القرآنِ ، الذي سَمعُوهُ من رسولِ اللهِ ﷺ ، فقد أيْقَنُوا أنَّهُ حقٌّ ، وأنَّهُ مِنْ عندِ اللهِ ، أوحَىٰ بهِ إلىٰ رسولهِ ﷺ ، فآمنُوا بهِ ، وصدَّقُوا بكلِّ ما فيهِ ، وطبَّقُوا أحكامَهُ ، وبذلكَ كانُوا مِنَ المُهْتَدينَ المُفْلِحينَ ، لأنَّ القرآنَ يهدِي إلىٰ الصِّراطِ المُسْتَقيمِ ، الذي رَضِيَهُ اللهُ العزيزُ الحميدُ لعبادِهِ المُؤْمنينَ .

وتنطبقُ هذهِ الآيةُ علىٰ الصَّحابةِ سواءٌ أكانوا من العَرَبِ ، أم كانُوا من مُؤْمِني أَهلِ الكتابِ ، الذينَ دَخَلُوا في الإسلامِ ، كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وهذا بيانٌ لِفَضْلِ العِلْمِ ، فهو الذي قادَ أصحابَهُ إلىٰ اليَقينِ والالْتِزامِ والاهْتِداءِ والفَلاحِ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ .

المُؤْمِنونَ مِنَ العُلماءِ يُؤمنونَ أنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ اللهِ ، ويُؤمنونَ بالبعثِ والحسابِ .

أمَّا الكُفَّارُ فإنَّهم لا يُؤمنونَ بالقرآنِ ، ولا يُصدِّقونَ بما فيهِ مِنْ أخبارٍ ، وإذا سَمِعُوا مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ الآياتِ التي تَتحدَّثُ عَنِ البعثِ والحسابِ فإنهم يُكَذِّبُون بها ، ويَسْتهزئونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ويقولُ بعضُهُمْ لبَعْضٍ مُتهكِّمينَ ساخِرينَ : هل نَدُلُّكُم علىٰ رَجُلٍ عَجيبٍ أمرُهُ اسمُه مُحَمَّدٌ يَزعُمُ أنَّهُ رسولٌ مِنْ عندِ اللهِ ، ويتكلَّمُ كلاماً غريباً عَجيباً ؟

يقولُ بعضُهم لبعضٍ : إنه يُخبرُكم أنكُم إذا مُزِّقْتُم وقُطِّعَتْ أجسادُكُم ، وبَليتُم بَعدَ مَوْتِكُم ، وكنتُم تُراباً ، فإنَكم سوفَ تَعودونَ للحياةِ مِنْ جديدٍ ، وستُبْعَثونَ مِنْ قُبورِكُم أحياءً ، وسوفَ تُحاسَبُونَ ، وتُعَذَّبونَ في النارِ .

وبعدَما يتعجَّبُونَ من كلامِ رسولِ اللهِ ﷺ عن البعثِ والعَوْدةِ للحياةِ ، يُصدِرُونَ حُكمَهُم عليه بأنَّهُ لا يَخلو من أحدِ أمريْنِ : إمَّا أنْ يكونَ كذَّاباً ، افترىٰ علىٰ اللهِ الكَذِبَ ، وزعمَ أنَّ اللهَ أرسلَهُ وأنزلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ ، وإمَّا أنْ يكونَ مَجْنوناً لا عقلَ له ، لِذلكَ لا يَدري ما يقولُ .

وقد ردَّ اللهُ عليهم بأنَّ رَسُولَهُ ﷺ ليسَ كاذباً ولا مَجْنُوناً . ولم يُصدِّقُوه في إخبارِه عنِ البعثِ لأنَّهم ضالُّونَ ضَلالاً بعيداً ، مُصِرُّونَ علىٰ اتِّباعِ الباطلِ والتكذيبِ بالحقِّ ، ولذلكَ لمْ يُؤمنوا بالآخرةِ وأنكرُوا مَجيئَها ، فَهُمُ الكاذبونَ المُفْتَرونَ .

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ .

الكَافِرون ضَالُّون ، لذلكَ أنكرُوا البَعْثَ ، مع أنَّ الآيات حَوْلَهُم تَدُلُّ علىٰ قُدْرةِ الله على البعثِ ، فلماذا لا يَلتَفِتُون إليها ؟

أنكرَ اللهُ عَليْهِم عَدمَ نَظَرِهِمْ في هَذِهِ الآياتِ ، وعَدَمَ تفكيرِهِمْ فيها ، ودعاهُم إلىٰ أنْ ينظُروا إلىٰ ما أمامَهُم وما خَلْفَهُم مِنَ الآياتِ ، في السَّماءِ والكونِ والفضاءِ والكواكبِ والرِّياحِ والسَّحابِ ، وفي الأرضِ وجبالِها وأنهارِها ونَباتِها وثَمرِها وحَيَواناتِها وأَحيائِها .

كلُّ هذِهِ الآياتِ العديدةِ دالّةٌ علىٰ قُدرةِ اللهِ وعَظَمتِهِ ، وعلىٰ البَعْثِ والجَزاءِ في الآخرة ، فالذي خَلَقها وأوجَدَها قادِرٌ علىٰ بعثِ الناسِ يومَ القيامةِ .

وبعدَما لَفَتَ اللهُ أنظارَ المُنكرينَ للبعثِ إلى الآياتِ مِنْ حَولِهم هدَّدَهُم بالعذابِ ، فهو قادرٌ علىٰ إيقاعِ العذابِ بِهِمْ ، فلو أرادَ أنْ يَخْسِفَ الأرضَ بِهِمْ لفَعَلَ ، كما خَسَفَها بقارونَ ، ولو أرادَ أنْ يُسْقِطَ عليهِمْ قِطَعَ العذابِ مِنَ السَّماءِ لإهلاكِهم لفَعَل ، كما أسقطَ العذابَ علىٰ قَوْمِ مَدْيَنَ ، ولكنَّ اللهَ يُمْلي لهُم ، ويُؤخِّرُ العذابَ عَنهُم ، لعلَّهم يُؤمنونَ .

وفي خَلْقِ السمواتِ والأرضِ آيةٌ ودلالةٌ لكلِّ عبدٍ مُؤمنٍ بصيرٍ ، مُنيبٍ رجَّاعٍ إلىٰ اللهِ ، وعندما يَنظرُ فيها يزدادُ إيماناً باللهِ وعبادةً وذِكْراً لَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العلماءُ يُؤمنونُ بالحقِّ ويتَّبعونَهُ ، والجُهَّالُ هُمُ الذين يُنكرونه ويُكذِّبُونَهُ .

٢ـ الكُفارُ مَطموسٌ علىٰ عُيونِهِمْ وقُلوبِهِمْ ، ولِذلكَ لا يَلتفتونَ إلىٰ الآياتِ مِنْ حَوْلِهِم في السَّمَـٰواتِ وَالأَرْضِ .

٣ـ عذابُ اللهِ قد يقعُ بالكفّارِ في أيةِ لحظةٍ ، وَعَلَيْهِمْ ألاّ يَشْعُروا بالأمنِ لِكُفْرِهِمْ .



التَّقْويمُ :

أجب عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ موقفَ الّذينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنَ القرآنِ ، نَظَرِياً وعَمليًا .

٢ـ بماذا اتَّهمَ الكُفّارُ رسولَ اللهِ ﷺ ؟ ولماذا اتَّهمُوه بذلك ؟

٣ـ بماذا وصفَ اللهُ الكُفّارَ المُتَّهمينَ لرسول اللهِ ﷺ ؟

٤ـ لماذا لا يَنْتَبهُ الكفارُ للآياتِ مِنْ حَوْلِهمْ ؟ومَنِ الذّي يَلْتَفَتُ إليها ويُفيدُ منها ؟

٥ـ اذكُرْ مثالاً لمَنْ خسفَ اللهُ بهمُ الأرضَ مِنَ السَّابقينَ ، ومثالاً لمَنْ أسقطَ عَلَيْهِمْ كِسَفاً من السَّماءِ .

٦ـ ما الحِكمةُ مِنْ إيرادِ خَبَرِ هذيْنِ القوْمَيْنِ وماحصلَ لهُما مِن العذابِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ استخرجْ مِنْ سُورةِ الزُمَرِ آيةَ تُثني على العُلماءِ العابدِينَ ، وتُفَضِّلُهُم علىٰ غيرِ العُلماءِ ، وسجِّلْها في دفترِك ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينها وبينَ الآيةِ (٦) .

٢ـ وردتِ الكلمةُ « جنّة » في القرآنِ وجاءَتِ الجيمُ فيها بالحَرَكاتِ الثلاثِ ، بالضمِّ والفَتْحِ والكَسْرِ ، اذكُرْ معناها في كلِّ حركةٍ ، وسجلْ آيةً وردتْ فيها بتلكَ الحَرَكةِ .

٣ـ استخرجْ آيةً من آخرِ سورةِ (يس) تَعُدُّ خَلْقَ السَّمواتِ والأرضِ دليلاً علىٰ البَعْثِ ، وتُقرِّرُ أنَّ مَنْ خلقَ السمواتِ والأرضَ قادرٌ علىٰ أنْ يخلقَ مِثْلَ الناسِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورةُ سَبَأٍ - القِسْمُ الثَّالِثُ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

معاني المُفْرداتِ :

فَضْلاً : نعمةً كبيرةً ، كالنُّبوَّةِ والمُلْكِ .

أوِّبي مَعَهُ : رَدِّدي ورَجِّعي التَّسبيحَ معه .

ألنَّا لهُ الحديدَ : جَعَلْنا الحديدَ ليِّناً بينَ يَدَيْهِ ، يَصْنَعُ منه ما يشاءُ .

سابغاتٍ : دُروعاً تُغَطِّي الجِسْمَ كلَّهُ .

قَدِّرْ في السَّرْدِ : اجعلِ الحَلَقةَ في الدِّرْعِ علىٰ قَدْرِ المِسْمارِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ تهديدِ الكُفّارِ الّذينَ يُنكرونَ البعثَ ، ولا يَلتفتُونَ للآياتِ ، إلىٰ عَرْضِ نماذجَ مِنْ أخبارِ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السّلامُ ، وأوّلُهم ذِكْرُ داودَ عليهِ السّلامُ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ عَمّا أنعمَ به علىٰ داودَ عليهِ السّلامُ مِنَ النِّعَمِ ، وما آتاهُ مِنْ فَضْلٍ ، حيثُ جمعَ له بينَ النُّبوَّةِ والمُلْكِ ، فكانَ نبيّاً ، وأنزلَ عليه الزَّبُورَ ، وكانَ مَلِكاً خليفةً لبني إسرائيلَ .

وَمِمّا أنْعَمَ اللهُ بِهِ عليه الصَّوْتُ الرَّخيمُ المُؤَثِّرُ ، فكانَ إذا سبَّحَ اللهَ سبَّحَتْ مَعَهُ الجبالُ الرّاسيةُ

والطيورُ السّارحةُ ، واللهُ أمرَها أنْ تُؤَوِّبَ مَعَهُ ، وتُردِّدَ تسبيحَهُ ، ونَفَّذَتْ أمرَ اللهِ ، فكانَ داودُ عليْهِ السَّلامُ يَسْمَعُ صوْتَها وهي تُسبِّحُ ، فيزدادُ شكراً للهِ .

ومِنْ نِعَمِ اللهِ عليه أنَّهُ ألانَ له الحديدَ ، فكانَ الحديدُ ليِّناً بينَ يَديهِ ، يتصرَّفُ فيهِ كما يشاءُ ، ويَصْنَعُ منه ما يُريدُ مِنْ مُخْتَلَفِ المَصْنوعاتِ الحَديديّةِ .

﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

ومن أهمِّ المَصْنُوعاتِ الحَديدِيَّةِ التي كانَ يصنعُها داودُ عليهِ السّلامُ المَصْنوعاتُ الحَرْبِيّةُ ، ومنها الدُّروعُ الكاملةُ السَّابغةُ التي تُغطِّي أجسامَ الجنودِ في المَعاركِ ، وتَحْميهِمْ مِنَ الأخْطارِ .

وكانَ داودُ عليهِ السَّلامُ ماهِراً في صُنعِ تلكَ الدُّروعِ ، بحيثُ كانَ يُحْسِنُ تقديرَ الحَلَقةِ التي يُوضَعُ فيها المِسْمارُ في الدِّرْعِ ، فلا تكونُ أوسعَ مِنهُ ولا أضيقَ ، فإذا وَضَعَ فيها المِسمارَ كان مُحْكَماً ثابتاً ، وهذا مِنْ إتقانِ الصُّنعِ وجَوْدةِ التقديرِ الّذي علَّمهُ اللهُ إياهُ .

وقدْ أمرَ اللهُ داودَ وآلَهُ عليهِ السّلامُ أن يعملُوا الأعمالَ الصّالحةَ ، وأنْ يستخدِمُوا النِّعَمَ التي أنعمَ بها عليهِمْ فيما يُرضِيهِ وينفعُ عبادَهُ ، وأخبرَهُم أنَّهُ مُراقِبٌ لَهُمْ ، بصيرٌ بأعمالِهِم وأقوالِهِم ، لا يخفىٰ عَليْهِ شَيْءٌ منها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ داودُ عليهِ السَّلامُ نبيٌّ من أنبياءِ بني إسرائيلَ ، وقد آتاهُ اللهُ الزَّبورَ .

٢ـ كانَ داودُ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وتسبيحِهِ ، وكانَ جميلَ الصَّوْتِ في الذِّكْرِ والتسبيحِ ، بحيثُ يُؤَثِّر فيما حَوْلَهُ .

٣ـ الجَماداتُ والطُّيورُ وباقي المَخْلُوقاتِ تُسبِّحُ اللهَ بِلُغَةٍ لا نَفْقَهُها ، وقد يَفْقَهُها ويَسْمَعُها عبادُ اللهِ ، كداودَ وسليمانَ عليهما السَّلامُ .

٤ـ كانَتْ فترةُ حُكْمِ داودَ عليهِ السَّلامُ قويةً ، مُتقدِّمةً في الصِّنَاعَاتِ الحَرْبيَّةِ ، وكانَ داودُ أوَّلَ مَنْ صَنعَ الدُّروعَ الحربيَّةَ ، وكانَ ماهراً فيها ، مُتْقِناً لِصناعَتِها .

٥ـ المُؤْمِنُ الصَّالحُ يُقابِلُ نِعَمَ اللهِ بالشُّكْرِ ، ويَستخدِمُها في طاعةِ اللهِ ، وبذلك يَزيدُهُ اللهُ منها .

٦ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يكونَ مُخلِصاً للهِ في عَمَلِه ، وَألاّ ينسىٰ أنَّ اللهَ يُراقِبُهُ ويَطَّلِعُ علىٰ عَمَلِه .



أجبْ عَنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ ثلاثةَ مظاهرَ لفضلِ اللهِ علىٰ داودَ عليه السّلامُ .

٢ـ اذكُرْ أثرَ تسبيح داودَ علىٰ الجبالِ والطّيرِ ، وكيفَ تُفَسِّرُ ذلك ؟

٣ـ ماذا كانَ يصنعُ داودُ عليهِ السّلامُ مِنَ الحديدِ ؟ واستخرجْ صفاتِ مَصْنوعاتِه مِنَ الآيةِ الثانيةِ .

٤ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الثانيةِ حافزاً علىٰ الإكْثارِ من الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اقرأ آياتِ قصَّةِ طَالوتَ في سورةِ البقرةِ ، واستخرجْ منها ما فَعَلَهُ داودُ في الحَرْبِ ، وما حَدَثَ له بعدَ ذلك ، واكْتُبْهُ في دفترِكَ .

٢ـ اكتُبْ حديثاً شريفاً يدلُّ علىٰ وجوبِ إتقانِ العَمَلِ وعَدَمِ الغِشِّ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ العِشْرونَ

سورةُ سَبأٍ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ
يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن
مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

غُدُوُّها شَهْرٌ : سَيْرُ الرِّياحِ في الصَّباحِ مسيرةُ شهرٍ .

رَواحُها شهرٌ : سَيْرُ الرِّياحِ في المَساءِ مسيرةُ شهرٍ .

أَسَلْنَا : أذبْنا وأجْرَيْنا .

عَيْنَ القِطْرِ : عينَ النُّحاسِ المَصْهُورِ المُذابِ .

يَزِغْ : ينحرفْ ويَعْصِ .

محارِيبَ : جَمْعُ مِحْرابٍ ، وهو مكانٌ مُخَصَّصٌ للصَّلاةِ .

تماثيلَ : جَمْعُ تمثالٍ ، مصنوعٍ علىٰ صورةِ إنسانٍ أو حيوانٍ أو طيرٍ .

جِفان : جَمْعُ جَفْنَةٍ ، وَهِيَ الإناءُ الذي يُوضَعُ فيهِ الطَّعامُ .

الجَوابِ : جَمْعُ جَابِيَةٍ ، وَهِيَ حوضُ الماءِ الذي تَشربُ منهُ الماشيةُ .

قدورٍ راسياتٍ : قدورُ الطبخِ ثابتةٌ مثبَّتةٌ بالأرضِ لِضَخامَتِها .

قَضيْنَا عليهِ المَوْتَ : توفَّاهُ اللهُ وأماتَه .

دابَّةُ الأرضِ : الدّودةُ التي تأكُلُ الخَشَبَ .

مِنْسَأَتَهُ : عَصَاهُ التي كانَ يتوكَّأُ عليها .

خرَّ : سقطَ علىٰ الأرضِ ميتاً .



التفسيرُ :

تَنتقلُ الآياتُ منَ الحديثِ عن بَعضِ ما أَنْعَمَ اللهُ به علىٰ داودَ عَليْهِ السَّلامُ لتتحدَّث عَنْ بعضِ ما أنعمَ اللهُ بهِ علىٰ ابنه سليمانَ الرّسولِ الملكِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

ومِنْ نعَمِ اللهِ علىٰ سليمانَ أنه سخَّر له الريحَ ، التي تأتي بالغَيْثِ ، وأخضَعَها له ، وجَعَلَها تسيرُ بأمْرِهِ ، وتَحْمِلُهُ وجُنْدَهُ حيثُ يشاءُ ، وتَحْمِلُ معها الغَيْثَ والخَيْرَ ، وكانتْ تسيرُ في اليوم الواحدِ مسيرةَ شهرٍ : جَرْيُها في الصَّباحِ وقتَ الغَداةِ مسيرةُ شهرٍ ، وجَرْيُها في المساءِ وقت العشيّ مسيرةَ شهرٍ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿فسخَّرْنا لَهُ الرِّيح تجْرِيْ بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص : ٣٦] .

ومِنْ نِعَمِ اللهِ علىٰ سليمانَ عَليْهِ السّلامُ أيضا أنَّهُ فَجَّر له مخازنَ النُّحاسِ مِنْ باطنِ الأرضِ ، وأخرَجَهُ منها مُذاباً مصهُوراً ، فخرَجَ يسيلُ كما يسيلُ الماءُ منَ العَيْنِ ، وتَحَكَّمَ سليمانُ عليهِ السلامُ في النُّحاسِ السَّائلِ مِن العَيْنِ ، وأَمَرَ بصُنْعِ مُختلفِ المَصْنوعاتِ النُّحاسيّةِ مِنْهُ ، فتُصْنَعُ له بسُهُولةٍ مِنْ دُونِ نارٍ ولا مطرَقةٍ .

ومِنْ نِعَمِ اللهِ علىٰ سُليمانَ عليهِ السّلامُ أيضاً أنه سَخّرَ له الجنَّ ، يعملُونَ بينَ يدَيْهِ ، ويُنَفِّذونَ أمْرَهُ ، ويَخضعُونَ له ، واللهُ هُوَ الّذي أخضَعَهُم له ، وحكّمَهُ فيهِمْ ، وأمَرَهُم بطاعتِهِ ، وهدَّدَ كلَّ مَنْ عَصَاهُ وخالفَ أمرَهُ بإدخالِهِ جهنَّمَ ، وتعذيبِهِ فيها ، جزاءً له علىٰ مَعْصيتِهِ .

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ .

أخْضَعَ اللهُ الجنَّ لسليمانَ عليهِ السّلامُ ، فكانوا يعملُونَ له الأعمالَ العظيمةَ التي يَطلبُها منْهُم .

ومن لمصنوعاتِ النحاسيّةِ التي كانوا يَصنعونها :

ـ المحاريبُ : وهِي الأماكنُ المُعَدَّةُ للعبادةِ .

ـ التماثيلُ : وهِيَ الصُّوَرُ المُجَسَّمَةُ المنحوتَةُ مِنَ النُّحاسِ ، علىٰ شَكْلِ إنسانٍ أو حيوانٍ أو غيرِهِ ، وكانتِ التماثيلُ المُجسَّمةُ مباحةً في شريعةِ سليمان عليهِ السّلامُ .

ـ الجفانُ : وهي الآنيةُ والأوعيةُ التي يُوضَعُ فيها الطّعامُ ، مُفردُها جَفْنَةٌ ، وهذهِ الجفانُ كبيرةٌ ضخْمةٌ كالجَوابي ، والجَوابي جمعُ جابية ، وهي الحَوْضُ المصنوعُ من النُّحاسِ ، كبيرُ الحجمِ .

يُوضعُ فيها الماءُ ، ثُم تأْتي الماشيةُ لِتشْرب مِنهُ ، فكانتِ الجِفانُ الكبيرةُ تُملأُ بالطعامِ ، ثم يأتي الناسُ يأكُلون منها .

القدورُ الرّاسياتُ : وهي الأواني الضخمةُ التي يُطْبَخُ فيها الطَّعامُ ، وهذهِ القُدورُ راسيةٌ ثابتةٌ علىٰ الأرضِ لِكبَرِ حَجْمِها ، وليستْ مُتَحَرِّكة كقدورِ الطَّبْخِ المعروفةِ .

فهذهِ المصنوعاتُ النحاسيةُ الأربعةُ تدلُّ علىٰ مهارةِ الجِنِّ في الصِّناعةِ ، كما تدلُّ علىٰ تقدُّمِ الدَّولةِ التي حَكَمها سليمانُ عليهِ السلامُ وازْدِهارها .

وقد أمرَ اللهُ سليمانَ عليهِ السَّلامُ ومَنْ مَعَهُ مِنْ آلِ داودَ عليهِ السّلامُ بالإكثارِ مِنْ طاعَةِ اللهِ ، وأداءِ الأعمالِ الصَّالحةِ ، يُؤدُّونَ بها شُكْرَ اللهِ علىٰ ما أنعمَ بِهِ عليهِم .

وأخبرَ اللهُ أنَّ الشّاكرينَ ، الّذينَ يَشْكُرونَ اللهَ بقلُوبهِم وألسِنَتهِم وجَوارِحِهِم ، ويَستخدِمُونَ نِعَمَ اللهِ فيما يُرضيهِ قليلونَ ، أمَّا معظمُ الناسِ فإنَّهم يَكْفُرُونَ النِّعمَ ويجحَدُونها .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

عاشَ سليمانُ عليهِ السَّلامُ حياتهُ شكرا للهِ ، وكانَ الجِنُّ يهابُونَهُ ويُنفِّذون أوامِرَهُ ، وكانَ يُشْرِفُ علىٰ مصنوعاتهِمُ النحاسيَّةِ وغيرِها ، وهم مُنهمِكونَ في الصِّناعاتِ ، خائفونَ مِنهُ .

وحانَ أَجَلُهُ ، وأتاهُ الموتُ وهو مُتوكِىءٌ علىٰ عَصاهُ ، ولم يَعْلَم الجِنُّ بموتِهِ ، واستمرُّوا في عَملِهِم حتىٰ أرسلَ اللهُ دابّةَ الأرضِ على عصاهُ فأكلَتْها ونَخَرَتْها ، فكسرَتِ العصا ، وخرَّ سليمانُ عليه السَّلامُ جُثَّةً هامدةً ، وعندَ ذلكَ عَلِمَ الجنُّ أنَّه قد ماتَ ، وأنَّهم فُوجِئوا بموتِهِ ، وأدرَكُوا أنَّهم لو كانُوا يعلمُونَ الغيبَ ـ كما يَزعُمونَ وكما ينسبُ أعوانُهُمْ مِنَ الإنسِ ـ لعلِمُوا بموتِهِ مِنْ قبلُ ، ولَما مكَثُوا في العذابِ المُهينِ والعملِ الشاقِّ مدّةً طويلةً ، هو فيها مَيِّتٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أنعمَ اللهُ علىٰ سليمانَ عليهِ السلامُ ثلاثَ نِعَمٍ : الريح تحملُ الغيثَ وتَحمِلُهُ وجُنْدَهُ ، وتسخيرَ الجنِّ ، وإسالةَ النّحاسِ .

٢ـ استخدم سليمانُ عليهِ السلامُ الجنَّ في الصِّناعاتِ النُّحاسيَّةِ ، وَفي البناءِ وَالغَوْصِ في الماءِ وغيرِ ذلكَ .

٣ـ أباح اللهُ لسليمانَ صناعةَ التماثيلِ ، وحرّمَ اللهُ تماثيلَ ذاتِ الأرواحِ في شريعتِنا .

٤ـ كانتْ فترةُ حُكْمِ سليمانَ عليهِ السَّلامُ مُزدهِرَةً كثيراً ، ومتقدّمةً في الصّناعاتِ النّحاسيّةِ .

٥ـ علىٰ المُؤْمنِ أنْ يُكثِرَ مِنْ عَمَلِ الصّالحاتِ شُكراً للهِ علىٰ ما أنعمَ بهِ عليه .

٦ـ الشاكرونَ قليلونَ ، والأغلبيّةُ جاحِدةٌ لنعمةِ اللهِ ، مُنكِرةٌ لفَضْلِه .

٧ـ جعلَ اللهُ في موْتِ سليمانَ عليهِ السّلامُ دليلا علىٰ عدمِ عِلْمِ الجنِّ والإنْسِ بالغَيْبِ .

٨ـ تسخيرُ اللهِ الجنَّ لسليمانَ خاصٌّ بهِ ، فلمْ يُسخِّرْها لأحدٍ بعدَهُ كمَا أخبرَ النَّبيُّ ﷺ ، وكلُّ مَنِ ادَّعىٰ أنَّ الجنَّ مُسَخَّرةٌ لغيرِ سليمانَ كاذبٌ فيما ادَّعاهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما مَعْنى كُلٍّ ممّا يأتي : غُدوُّها شهرٌ ، رَواحُها شهرٌ ، عَيْنَ القِطْرِ ، جِفَانٍ كالجَوَابِ ، مِنسَأَتَهُ .

٢ـ استخرجْ من الآيةِ ثلاثَ نِعَمٍ أنعمَ اللهُ بها علىٰ سليمان عَليْهِ السّلامُ .

٣ـ استخرجْ مِنَ آياتِ الدَّرْسِ أربعَ مصنوعاتٍ نُحاسيّةٍ صنعتْها الجِنُّ لسليمانَ عليهِ السّلامُ .

٤ـ كيف ماتَ سُلَيْمَانُ ؟ وما أثرُ موتِه علىٰ الجنِّ ؟

٥ـ الجِنُّ لا يَعْلَمُونَ الغيبَ ، وضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

١ـ تحدثَتْ سورتا (الأنبياءِ) و(ص) عن تَسْخيرِ الريحِ والجِنِّ لسليمانَ عليهِ السلامُ ، سجِّلْ في دفترِكَ الآياتِ التي تتحدَّثُ عَنْ ذلك .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ حُكْمَ صُنعِ التماثيلِ واقتنائِها في الإسلامِ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والعِشرونَ

سورةُ سَبَأٍ ـ القِسْمُ الخامِسُ

لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ
بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ
أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا
ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ
سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **سَبَأ** : اسمٌ لِقوْمٍ في اليمنِ ، منسوبينَ إلى جدِّهِم ، أقاموا دولةً قويةً زمنَ سليمانَ عليهِ السّلامُ .
- **مَسْكَنِهم** : أماكنِ سُكناهُم في مِنْطَقَةِ مأربَ .
- **آيةٌ** : علامةٌ دالّةٌ علىٰ قُوَّةِ اللهِ تعالىٰ .
- **جنَّتان** : بُستانانِ .
- **عَنْ يمينٍ وشِمالٍ** : عَنْ يمينِ واديهِمْ وشِمالِهِ .
- **سَيْلَ العَرِمِ** : السّيلَ القويَّ الشّديدَ الذي لايُقاوَمُ .
- **أُكُلٍ** : الثَّمرِ المأكولِ .
- **خَمْطٍ** : مُرٍّ ، كَريهٍ .
- **أثْلٍ** : شَجَرٍ صَحْراويٍّ صَغيرٍ لا ثَمَرَ لَهُ .
- **سِدْرٍ** : شجرِ النَّبقِ الصحراويِّ .

الكَفُورَ	الذي يَكْفُرُ النِّعَمَ ويَجْحَدُها .
القُرىٰ التي باركْنَا فيها	قُرىٰ الشّام كثيرةَ الأشجارِ والثِّمار .
قُرىً ظاهرةً	قرَى كثيرةً واضحةً .
قَدَّرْنا فيها السَّيرَ	جعلْنَاالسَّيرَ بينَ القُرىٰ مُقَدَّراً علىٰ مسافاتِ قريبةِ .
باعِدْ بينَ أسفارِنا	اجْعَلِ المَسَافاتِ بعيدةً لِتَطُولَ أسفارُنا .
جعلناهُم أحاديث	يَتَحدَّثُ الناسُ عنهم في مَجالِسِهِمْ .
مزَّقْناهُم كلَّ مُمزَّقٍ	فرَّقْناهُم في البلادِ .
صبَّارٍ شكورٍ	كثيرِ الصَّبْرِ والشُّكْرِ .

التفسيرُ :

بعدَ الحديثِ في الآياتِ السّابقةِ عَنِ العابدينَ الشَّاكرينَ للهِ ، تتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ غيرِ الشاكِرينَ للهِ ، الّذينَ يَكفُرونَ باللهِ ، ويَجحَدُونَ نِعَمَهُ . وتُبيِّنُ كيفَ أزالَ اللهُ نِعَمَهُ عنهم ودمَّرَهُم .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) ﴾ .

يُخبرُ اللهُ أنَّهُ جعَلَ لقومِ سَبأٍ في اليمنِ في مساكِنِهِمُ الّتي يَسكُنونَها آيةً واضحةً تدلُّ علىٰ وُجودِ اللهِ وقُوَّتهِ وإنعامهِ ورزْقِهِ ، فقَد جعَلَهُمْ في خِصْبٍ ورَغَدٍ في العيشِ ، حيثُ كانوا يَسكُنونَ في منْطَقةِ « سأربَ » في وادٍ زراعيٍّ خِصْبٍ ، وبنوا السَّدَّ علىٰ قِممِ الوادي ليجمعُوا فيهِ المياهَ ويَسْقُوا بَساتينَهُمُ الجميلةَ المُنتشرةَ عن يمينِ الوادي وشمالِهِ ، وكانوا يَنْعَمُونَ بأشجارِ البساتينِ وثَمَرِها من مُخْتَلِفِ الآشكالِ والألوانِ ، وهذهِ نِعْمَةٌ عظيمةٌ مِنَ اللهِ عليهم .

وأمرَهُم بشُكْرِه علىٰ ما أعطاهُم ، وعبادتِه وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وذكَّرَهُم بمُوجباتِ شُكْرِه ، وهي البَلْدَةُ الطيِّبةُ التي أقامَهُم فيها ، ويَسَّرَ لهم أسبابَ الرِّزقِ فيها ، وهو رَبٌّ غفورٌ ، يَغفرُ لكلِّ مَنْ تابَ وأنابَ إليهِ .

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ﴾ .

طلبَ اللهُ مِنْ قومِ سَبأٍ أنْ يَعبدُوهُ ويَشكُروهُ ، لكنَّهم رفضُوا ذلكَ ، وأعرَضُوا عَنِ الإيمانِ بهِ

وعبادتِهِ ، وأشرَكُوا بهِ غيرَهُ ، ورفضُوا أنْ يشكُروهُ علىٰ نِعَمِهِ . فعاقَبَهُمُ اللهُ بأنْ دمّر بساتينَهم وأهْلَكَ أشجارَهُم ، وَفَجَّرَ السَّدَّ الذي أقامُوه ، فجرىٰ السَّيلُ عليهِم طُوفاناً جارِفاً عارِماً قَوِيّاً شديداً ، لا يقفُ أمامَهُ شيءٌ .

وبذلك بدَّلَهم اللهُ بجنَّتَيهِمُ المُثمِرتينِ جنَّتينِ غَيْرَ مُثْمِرَتَيْنِ ، شجرُها لا يساوِي شيئاً ، منهُ شجرٌ خَمْطٌ مُرُّ الثمرِ غيرُ مُسْتَساغٍ ، ومنهُ شَجرٌ أَثْلٌ قصيرٌ لا يُثمِرُ شيئاً ، ومنهُ شجرُ سِدْرٍ وهو قليلُ الثَّمَرِ لا يكفي أحداً .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

ذلكَ العقابُ الذي عاقبَهُمْ اللهُ بهِ ، والدَّمارُ الذي أوقعَهُ علىٰ بساتينِهم جزاءً منه جازاهُم به ، بسببِ كُفْرِهِم وجُحودِهم للنِّعَمِ ، واللهُ لا يظلِمُ أحداً ، وهو عادلٌ في مُجازاتِه وعقابِهِ ، فلا يعاقِبُ إلا الكفورَ المُبالِغَ في كُفرِهِ .

﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

كما أنْعَمَ اللهُ علىٰ قوم سبأ النِّعَمَ في مَساكِنِهم وإقامتِهم ، وأنعمَ عليهِمُ النِّعَمَ في سَيْرِهِم وسَفَرِهِمْ وتجاراتِهمْ ، فقد كانوا يُسافِرُون تُجّاراً مِنَ اليمنِ إلىٰ الشامِ ، سالكينَ الطّريقَ التجاريَّ المارَّ عبْرَ نجرانَ والحجازِ إلىٰ البَلْقاءِ والشام .

وقد جعلَ اللهُ بينَ مَساكنِهم في اليمنِ وقُرىٰ الشامِ التي باركَ اللهُ فيها قرىً ظاهرة بارزةً واضحةً ، علىٰ طولِ الطَّريقِ التجاريِّ ، وكانتِ القُرىٰ متقاربةً متواصلة ، تَظهرُ كلُّ قريةٍ من القريةِ التي قبلَها ، وقدَّرَ اللهُ السَّيْرَ بينَ تلكَ القُرىٰ ، وجعلَ الأبعادَ بينَها قريبةً ، فلا يكادُ المُسافرُ يخرجُ من قريةٍ إلاّ ليَدخُلَ في الأُخرىٰ ، وقال اللهُ لهم : سيرُوا فيها كيفَ شِئْتُم ، واقْطَعُوا فيها اللياليَ والأيامَ ، آمنينَ مُطْمَئِنِّيْنَ ، مِنْ دُونِ جُوعٍ أو عَطَشٍ أو خوْفٍ .

﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ ﴾ .

لم يَحْفَظْ قومُ سَبأ نعمةَ الأمْنِ في سفرِهِم ، وَلَمْ يَشْكُروهَا ، وإِنَّما سَئِمُوها وبَطِرُوها ، وَطَلَبُوا مِنَ اللهِ المشقّةَ والتعبَ وقالوا : لقد مَلِلْنا وسَئِمْنا ، فباعِدْ بينَ أسفارِنا يا ربَّنا ، واجعلِ المسافاتِ بينَ القُرىٰ والمحطّاتِ بعيدةً ، وبذلك ظَلَمُوا أنفُسَهُم ، وحَرَمُوها تلكَ النِّعْمَةَ . وما يَطْلُبُ المشقّةَ عاقلٌ .

وقد استجابَ اللهُ دعاءَ قومِ سَبَأ البَطِرينَ الظّالِمينَ ، فَبَاعَدَ بينَ أسفارِهِم ، وضَرَبَ القُرىٰ بينَ

اليمنِ والشّام وأصْبَحَت صحراءَ لا قُرى فيها ولا شجرَ ، ولا أمان ولا اطْمِئْنان .

وجعلَ اللهُ قومَ سَبأ أحاديث ، يتحدّثُ الناسُ في مجالسِهِمْ عمّا جرىٰ لهُم ، وصارُوا مَضْرِبَ الأمثالِ في التمزُّقِ والتفريقِ والتشتيتِ ، حيثُ يُقالُ : تفرَّقوا ايدي سبأ!!

وفي قصّةِ سَبأ وما جرىٰ لهم آياتٌ وعِبرٌ ودلالاتٌ وعظاتٌ لكلّ مُؤمن صبّار شكور ، كثيرِ الصَّبْرِ علىٰ ما يُصيبُهُ في الحياةِ ، وكثيرِ الشُكْرِ لربّهِ علىٰ ما أنعم به عليهِ ، يَحْذَرُ أنْ يُفْعَلَ به مثل ما فُعِلَ بسَبَأ ، وأنْ يُصيبَهُ ما أصابَهُم ، وهو بصبرِه وشُكرِهِ يُحافظُ على نِعَمِ اللهِ ، لقولِه تعالىٰ : ﴿وإذْ تأذّنَ ربُّكم لئِنْ شَكَرْتُمْ لأزَيْدنّكُمْ ولَئِنْ كفَرْتُمْ إنّ عذَابي لَشَدِيْدٌ﴾ ابراهيم : ١٧ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ هو المُنْعِمُ والرزّاقُ ، ويُيسِّرُ للناسِ حياة الرّغَدِ والهناءةِ ، حياة كثيرةَ الخيراتِ والثّمراتِ .

٢ـ علىٰ الناسِ أنْ يعترِفُوا للهِ بالنّعمةِ ، وهُمْ يأكُلونَ مِنْ رِزْقِهِ ، وأنْ يَشكُروُهُ ليزيدَهُم مِنْ فَضْلِهِ .

٣ـ الإعْراضُ عن شُكرِ اللهِ وطَاعَتِهِ سَبيلٌ إلىٰ زوالِ النّعم والخَيْراتِ ، وقصّةُ سَبَأ شاهدةٌ علىٰ ذلك .

٤ـ لا يَظْلِمُ اللهُ أحداً ، وهو عادلٌ في عِقابه ، فلا يُعاقِبُ إلا الكَفُورَ الجَاحِدَ لِنعَمِه .

٥ـ الرِّزقُ والأمانُ في الإقامةِ والسَّفرِ نِعْمَتانِ كَبيرَتانِ لا بُدَّ أنْ يَشْكُرَ المُؤمنونَ ربَّهم عليها .

٦ـ العاقلُ لا يتمنّىٰ زَوالَ النِّعمِ وتَغْييرَها ، ولا يَدْعُو علىٰ نَفْسِه أو مالِهِ بشَرٍّ .

٧ـ علىٰ المُؤْمنِ أنْ يكونَ صابراً عندَ المِحْنَةِ ، شَكُوراً عندَ الرَّخاءِ ، وأنْ يُديمَ صِلتَه باللهِ في الحالَتيْنِ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أ ـ حَدِّدِ المَوْقعَ الجغرافيَّ لِسَبَأٍ . ب ـ ولماذا سُمُّوا بهذا الاسمِ ؟ ج ـ وما الصِّلةُ بينَهُم وبينَ سُليمانَ عليهِ السَّلامُ ؟ .

٢ـ اذكُرْ آيةَ اللهِ لِسَبَأ في مساكنهم ، والنِّعَمَ التي أنعمَ الله عليهِم بها ، وما الذي طَلَبَهُ اللهُ منهُم ؟

٣ـ بماذا عاقبَ اللهُ قومَ سَبَأ ؟ ولماذا ؟ .

٤ـ اذكُرْ أسماءَ ثلاثةِ أشجارٍ آتاهُم اللهُ إياها بعدَ عِقابهِم ، وَبَيِّنْ معنىٰ تلكَ الأسماءِ .

٥ـ اذكُرِ النعمةَ التي أنعمَ اللهُ بها علىٰ سَبَأ في سَفرِهِم ، وصِفِ القُرىٰ التي يَمُرُّونَ عليها في الأسفارِ .

٦ـ ما الذي طَلَبَهُ قومُ سَبَأ من ربِّهم في سفرِهِم ؟ وما تفسيرُكَ لذلك الطَّلَبِ ؟

٧ـ اذكُرْ صفتَيْنِ ضروريتَيْنِ لكلِّ مَنْ يتَّعظُ بآياتِ اللهِ ويتدَّبرُها .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ أثرَ وجودِ تلكَ القُرىٰ في الطُّرقِ التجاريَّةِ .

٢ـ كانَ قومُ سَبَأٍ بهذا الطَلبِ مثلَ بني إسرائيلَ الَّذينَ مَلُّوا المَنَّ والسَّلْوىٰ وطَلَبوا البَقْلَ والقِثّاءَ والفولَ والعَدسَ والبصلَ ، سجِّلِ الآيةَ التي ذكرَتْ ذلكَ في سورةِ البقرةِ ، واذكُرْ عقابَ اللهِ لهُم .

٣ـ اقرأ قصّةَ سُليمانَ عليهِ السّلامُ معَ الهُدْهُدِ ومَلِكَةِ سبأ واستقبالِه لها ، في سورةِ النَّمْلِ ، ولخِّصِ القصةَ بما لا يزيدُ علىٰ عَشْرةِ أسطرٍ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّاني والعِشرونَ

سورةُ سَبَأٍ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن
سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾
قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ
أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

صدَّقَ عليهم ظنَّهُ	: حقَّقَ فيهم ظنَّهُ .
سُلطانٍ	: قُوةٍ وتسلُّطٍ وتَمكُّنٍ .
حفيظٌ	: حافظٌ له لا يُضيِّعُهُ .
زَعَمْتُم مِنْ دونِ اللهِ	: جَعلتُموهُم آلهةً من دونِ اللهِ .
مِثقالَ ذرَّةٍ	: مقدارَ وزنِ ذرَّةٍ ، وهي أصغرُ ما في المادَّةِ .
ظهيرٍ	: مُعينٍ ومُساندٍ .
فُزِّعَ عن قُلوبِهم	: أُزيلَ الخوفُ عَنْ قُلوبِهم .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ زوالِ النِّعَمِ عن سَبأ بِسببِ كُفْرِهِم وجُحُودِهِمْ إلىٰ الحَديثِ عن خَطَرِ الشَّيطانِ وضَرَرِهِ .

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

رأىٰ إبليسُ بَطَر قوم سبأ وانغماسَهُم في التَّرفِ والشَّهواتِ ، فحَرَص علىٰ إغوائهم وانحرافِهِم ، ووَسْوَسَ لهُم ، وزيَّنَ لهمُ المَعْصيَةَ والمُخالَفَة ، فاسْتَجابُوا لهُ واتَّبعُوهُ .

وبذلكَ صدَّقَ عليهم ظَنَّهُ ، وحقَّقَ فيهم مُرادَهُ ، فقد أخذَ علىٰ نفسهِ عهداً أنْ يُغويَ النَّاسَ ويُضِلَّهُم ، ولم يَثْبُتْ أمامَ إغواءِ إبليسَ إلاّ فريقٌ منهم ، آمنوا باللهِ وأخلصُوا له ، وَشَكرُوهُ علىٰ نِعَمِهِ ، وبذلكَ خيَّبُوا ظنَّ إبليسَ فيهم ، وأفشلُوا مُرادَه .

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

اتَّبعَ قومُ سَبَأ إبليسَ ، وغيرُهُمْ مِنَ الكافرينَ مِثْلُهُمْ ، ولم يكنْ لإبليسَ تَسلُّطٌ ولا قُدْرةٌ عَليْهِم ، ولم يُجْبِرْهُمْ علىٰ اتِّباعِهِ ، إنَّما وَسْوَسَ لهم ودَعاهُم إلىٰ طاعته ، فاستجابُوا لهُ واتَّبعُوهُ وأطاعُوهُ .

قالَ الحسنُ البَصْريُّ : واللهِ ماضرَبَهُم الشيطانُ بعصا ، ولا أكْرَهَهُم علىٰ شيءٍ ، وما كانَ إلاّ غُرُورٌ وأمانِيُّ ، دَعاهُم إليها فأجابُوهُ .

وشاءَ اللهُ أنْ يُوَسْوِسَ الشيطانُ لهم لِيُظْهِرَ للناسِ ما عَلِمَهُ منذُ الأزلِ ، مِنْ أنَّهم سَيَسْمَعُونَ لَهُ ويتَّبعُونَهُ ، وسيَكْفُرُونَ باللهِ ويُنكِرونَ الآخرةَ ، وليُظْهِرَ للناسِ أيضاً ما عَلِمَهُ منذُ الأزلِ عَنْ مُؤمنينَ صالِحينَ ، لا يستجيبونَ للشيطانِ ، ويُطيعونَ اللهَ ، ويُؤمنونَ بالآخرةِ .

واللهُ حافظُ كلِّ شيءٍ ، قائمٌ علىٰ أحوالِهِ ، مُدبِّرٌ لأُمورهِ ، لا يَفوتُه العِلْمُ بمن يُؤمنُ بالآخرةِ ، وَيَسْتَقِيمُ علىٰ طاعةِ اللهِ ، والعِلْمُ بمَنْ يشكُّ فيها ويتَّبعُ الشَّيطانَ .

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

اللهُ الحفيظُ الوكيلُ علىٰ كلِّ شيءٍ ، وهو المالكُ لكلِّ شيْ ، وغيرُه لا يَمْلِكُ شيئاً ، فكيفَ يجعلُ المُشركونَ معَ اللهِ شريكاً لا يملكُ أيَّ شيءٍ .

ولذلك أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يقولَ للمشركينَ : ادعُوا الّذينَ زَعَمْتُم أنَّهم آلِهَةٌ ، وعَبَدْتُموهُم من دونِ اللهِ ، واطلبُوا منهم نَفْعَكُم أو ضَرَّكُم ، فإنَّهم لنْ يَسْتجيبُوا لكم ، ولَنْ يَسْتَطيعُوا نَفْعَكُم أو ضَرَّكُم ، لأنَّهُم ضُعَفاءُ فُقَراءُ عَاجِزُونَ ، وَهُمْ لا يَمْلِكُونَ وَزْنَ ذرَّةٍ في السَّمواتِ والأرضِ ، وَهِيَ أَصْغَرُ المَخْلُوقاتِ وَزْناً ولا تكادُ تزنُ شيئاً ، لأنَّ مُلْكَ ما في السَّمواتِ والأرضِ كلَّه للهِ وحْدَهُ ، وليسَ له شريكٌ في مُلْكهِ مِمَّنْ زَعمتُم شركاءَ لَهْ ، ولم يتَّخذِ اللهُ مِنْ هؤلاءِ الشُّركاءِ ظهيراً ومُعيناً ومُساعِداً .

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

اللهُ المالكُ لكلِّ شيءٍ في السّمٰواتِ والأرضِ ، له الخَلْقُ والمُلْكُ والأمرُ ، في الدُّنيا والآخرةِ ، ولا تكونُ الشَّفاعةُ عندَ اللهِ إلا بإذنِه سُبحانه ، فهو الذي يأذنُ للشُّفعاءِ بالشّفاعة ، هؤلاءِ الشُّفعاءُ لا يَشفعونَ لأحدٍ منَ الكافرين ، فشفاعتُهُمْ فقط للمُؤْمنينَ الّذينَ أذنَ اللهُ أنْ يشفعُوا لَهُم .

وإمامُ الشّافعينَ في الآخِرَةِ هوَ رسولُ اللهِ ﷺ ، خصَّهُ اللهُ بمَقامِ الشَّفاعةِ المَحْمُود .

وجميعُ الخلائقِ يكونُونَ خائفينَ يومَ القيامةِ ، سواءٌ كانُوا إنسا أو جنّاً أو ملائكةً ، وشافِعينَ أو مَشفوعاً لهم كلُّهم يَنتظرونَ الإذنَ منَ اللهِ بالشّفاعةِ ، وقد ملأَ الفزَعُ والخوفُ قلوبَهُم ، وعندما يأذنُ اللهُ للشُّفعاءِ بالشّفاعةِ يقولُ المشفوعُ لهم المُنتظِرُون ذلك بلهفةٍ : ماذا قالَ ربُّكُم بشأنِ الشَّفاعةِ ؟ فيُجيبُهُمُ الشُّفَعاءُ منَ الملائكةِ وغيرِهم : قال ربُّنا فيها الحقَ ، وقولُه هو الحقُّ ، وأذنَ لنا في الشَّفاعة ، واللهُ ربُّنا هو المُتَفَرِّدُ بالعُلُوِّ والكِبْرياءِ والعظمةِ والجَلال . والملائكةُ يملأُ الفزعُ قلوبَهُم عندَ كلِّ أمرٍ يَأمرُ اللهُ بِهِ ، تَعْظيماً لَهُ وَمهابةً .

روىٰ البخاريُّ عَنْ أبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عنهُ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ، ضربَتِ الملائكةُ بأجنحَتِها خُضْعاناً لقولِه ، كأنّهُ سلسلةٌ علىٰ صَفْوانٍ ، فإذا فُزِّعَ عن قلوبِهم قالوا : ماذا قالَ ربُّكُم ؟ قالُوا للذي قالَ : الحقَّ وهو العليُّ الكبيرُ »[1] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرونَ والفاسقونَ يُحقِّقُونَ مُرادَ إبليسَ فيهم في اتّباعِهم له ، ولا سُلطانَ لَهُ عليهِم إلاّ بالوسْوَسَةِ والإغراءِ .

٢ـ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ في خَلْقِ إبليس إظهارُ عِلْمِهِ الأزليِّ في مَنْ تَبِعَهُ ومَنْ يَثبتُ علىٰ الإيمانِ ويُخالِفُهُ .

٣ـ إنكارُ الآخرةِ طريقٌ لاتِّباعِ إبليسَ ، والإيمانُ بالآخرة من أسبابِ النَّجاةِ منهُ .

٤ـ مُلكُ السّمٰواتِ والأرضِ وما فيهما للهِ وحْدَهُ ، لا شريكَ لهُ في ذلكَ ، فلا أُلوهيّةَ لغيرِه .

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير ، تفسير سورة سبأ ، حديث رقم : ٤٨٠٠

٥ـ لا شفاعة يومَ القيامةِ إلا بإذنِ اللهِ ، ولا يُشفعُ لإنسانٍ إلا بإذنِ اللهِ ، فلا بدَّ أن يأذنَ اللهُ للشّافع ، ويرضىٰ عن المشفوع له ، وإمامُ الشافِعينَ هو رسولُنا مُحَمَّدٌ ﷺ .

٦ـ الملائكةُ مُعظِّمُونَ للهِ ، وتمتلىءُ قلوبُهم فزعاً وَخَوْفاً مِنْهُ ، وَهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ لَهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماذا كانَ ظَنُّ إبليسَ في أتباعِهِ ؟ وما سببُ اتِّباعِهِم لَهُ ؟

٢ـ استخرجْ من آياتِ الدَّرسِ حكمةَ اللهِ في تمكينِ إبليسَ من الوَسْوَسَةِ لأَتْباعِهِ .

٣ـ اذكُرْ ثلاثةَ أشياءَ نفَتْها آياتُ الدَّرسِ عن الذين يَزعُمُ المُشركونَ أنَّهم آلِهةٌ .

٤ـ منْ إمامُ الشُّفعاءِ يومَ القيامةِ ؟ وفيمنْ يُشَفَّعُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ يعترفُ إبليسُ لأتباعهِ في جهنَّمَ بأنَّهُ لم يكنْ لهُ عليهِم سلطانٌ ، سجِّلْ آيةَ سورةِ إبراهيمَ التي أوَّلُها ﴿وقالَ الشيطانُ لمَّا قُضِيَ الأمرُ . . .﴾ واستخرجْ منها براءةَ الشيطانِ من أتْباعِهِ .

٢ـ استخرجْ من آيةِ الكرسيِّ جُملةً بمعنىٰ الآيةِ (٢٣) ، تجعلُ الشَّفاعةَ بإذنِ اللهِ سُبحانَه ، واكتُبْها في دفترِكَ .

٣ ـ سجِّلْ حديثَ أبي هُريرةَ في خَوْفِ الملائكةِ من أمرِ اللهِ ، واشرَحْهُ بما لا يزيدُ علىٰ ثلاثةِ أسطُرٍ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سورةُ سبأٍ - القِسْمُ السَّابِعُ

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ
كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُل
لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)﴾ .

معاني المُفْرداتِ :

إنَّا أو إيَّاكُم : نحنُ أو أنتُم .

أجْرَمنا : أذْنَبْنا .

يفتحُ بيننا بالحقِّ : يَحكُمُ ويَفصِلُ بينَنا بالعَدْلِ .

الفتّاحُ : الحاكمُ الفَيْصلُ .

كلاّ : كلمةُ رَدْعٍ وزَجْرٍ .

كافّةً للناسِ : لكلِّ الناسِ .

الوعدُ : اليومُ الموعودُ بهِ ، وهو يومُ القيامةِ .

ميعادُ يومٍ : مَوْعِدُ يومٍ مُحَدَّدٍ .

التفسير :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ حديثِها عن عَجْزِ كلِّ المَعبودينَ من دونِ اللهِ وضَعْفِهم ، وبَيان أنَّهم لا يَملِكون شيئاً في الدُّنيا والآخرة ، إلى تأكيدِ عُمُومِ رسالةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ومَجيءِ يومِ القيامةِ .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

يأمرُ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يسألَ المُشركينَ قائلا : مَنِ الذي يُنزِلُ عليكُم الرِّزقَ من السَّمٰواتِ ويُخرجُ لكُم الرِّزقَ مِنَ الأرضِ ؟ وأمرَهُ أنْ يُقدّمَ الجوابَ ، ولا ينتظِرَهُ مِنْهُمْ ، وذلك بِقَوْلِهِ : اللهُ وحْدَهُ هُوَ الرزّاقُ لَكُم .

وهذا السُّؤالُ بهَدَفِ إقامةِ الحُجَّةِ عليهِم ، وتَذكيرِهم بشيءٍ يَعرفُونَهُ ويُقِرُّونَ بهِ ، وذَمِّهم لإشراكِهم باللهِ ، فإذا كانوا يَعترفُونَ بأنَّ اللهَ وحدَه هو الرزَّاقُ ، فمِنْ أينَ أتَوْا له بالشُّركاءِ الذين لا يملكونَ ضَرّاً ولا نفعاً ؟ كما قالَ تعالىٰ : ﴿قلْ مَنْ ربُّ السمٰواتِ والأرضِ قُلِ اللهُ قُلْ أفتّخذتُم مِنْ دونِهِ أولياءَ لا يَمْلكُوْنَ لأنفُسِهم نَفْعاً ولا ضَرّاً﴾ [الرعد : ١٦] .

وبعدما أقامَ رسولُ اللهِ ﷺ الحُجَّةَ علىٰ المُشركينَ أمرَهُ اللهُ أنْ يقولَ لهم : نحنُ وأنتُم فريقانِ مُخْتَلِفانِ ، فنحنُ نعبدُ اللهَ وَحْدَهُ ، وأنتم تعبدونَ مَعَهُ غيرَهُ وتجعلُونَ له شركاءَ ، وأحَدُ الفريقينِ مُهتدٍ ، والآخرُ ضالٌّ ضلالاً واضحاً ، فمَنِ المُهْتَدي ومَنِ الضَّالُّ ؟

وهذا من بابِ التَّلَطُّفِ في مخاطبةِ المُشركينَ ، لِيَستدرجَهُم ويأخُذَ بأيْديهم إلىٰ التفكيرِ في حالِهم ، لَعَلَّهُمْ يَتَخَلَّوْنَ عن شِرْكِهِم باللهِ ، والتَّعْريضُ أبلغُ من التَّصْريحِ ، وأدْعىٰ إلىٰ إقامةِ الحُجَّةِ علىٰ الخَصْمِ .

وكأنَّهُ يقولُ لهم : نحنُ المُهتدونَ ، لأنَّنا نعبدُ اللهَ الخالقَ الرزّاقَ وحدَهُ ، وأنتُم الضَّالُّونَ . لأنَّكم تُشركُونَ باللهِ غيرَه ، مِمَّنْ لا يَخْلُقُ ولا يَرزُقُ .

﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

وأمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ للمُشركينَ مُتلطِّفاً معهم : أنتُم لا تُسْأَلونَ عمّا اقترَفْنا من آثامٍ وذُنوبٍ ، فنحنُ نحاسَبُ عليها ، ونحنُ لا نُسْأَلُ عمّا تعمَلُون مِنْ شُرورٍ ومَعَاصٍ ، والانفصالُ قائمٌ بيننا وبينَكُم ، ولستُم مِنَّا ولسْنا منكُم .

وأضافَ الإجرامَ إلىٰ المُؤمنينَ مِنْ بابِ التلطُّفِ أيضاً ، لإقناعِهم وإقامةِ الحُجَّةِ عليهِم ، وكأنَّه

يقولُ لهم : إنْ كانتْ عبادتُنا وطاعتُنا جريمةً ، فأنتُم لا تُسألونَ عَنْها ، وإنْ كانتْ حقّاً وَصَواباً فَأَنتُمُ الخاسِرون ، وعِنْدَها نتبرَّأُ مِنْكُم .

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

وأمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يُتابعَ جدالَ المُشركينَ ، ويُذَكِّرَهُم بيَوْمِ القيامةِ ، فيقولُ لَهم : اللهُ ربُّنا سيَبْعَثُنا بعدَ الموتِ ، وسيَجْمَعُ بينَنا ـ نحنُ وأنتُم ـ يومَ القيامة ، ثم يَقضي بينَنا بالحقِّ ، ويفصلُ بيننا بالعدلِ . فيَدخُلُ أهلُ الحقِّ الجنةَ ، ويدخلُ أهلُ الباطلِ النار ، وعندَ ذلك تَعرفُونَ مقدارَ فَوْزِنا وعِزَّتِنا .

وإنَّ اللهَ هو الفتّاحُ القاضي بالصّوابِ ، والحاكمُ العادلُ ، والعالِمُ بكلِّ شيءٍ وسيَجزي كلَّ عاملٍ بعمَلِه ، إنْ خيْراً فخَيْرٌ ، وإنْ شرّاً فشرٌّ .

﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

بعدمَا أقامَ الرسولُ ﷺ علىٰ المُشركينَ الحُجَّةَ ، أمرَهُ اللهُ أنْ يقولَ لهم : أرُوني الشُّركاءَ الّذينَ ألحقْتُمُوهُم باللهِ وجعلتموُهُم آلِهَةً ، أخْبروني ماذا خَلَقوا منَ السَّمٰواتِ والأرضِ ؟ .

ومَنِ الذين يَرْزُقونَهُمْ! فإنْ لم تكنِ الآلِهَةُ التي تعبدونَها خالِقةً ورازِقةً فَلِمَ تعبدُونها ؟ وكيفَ جَعَلْتُموها آلِهةً ؟

وهذا الكلامُ من بابِ تَوْبيخِهِمْ وذَمِّهِم وإقامةِ الحُجَّةِ عَليْهِمْ ، ولِهذا قالَ لَهُمْ بعدَ ذلك : كلاَّ . ليسَ الأمرُ كما زَعَمْتُم ، فاللهُ ليسَ له شريكٌ ، واللهُ وحْدَهُ ربُّ العالمِينَ ، وهُوَ العزيزُ القويُّ الفعَّالُ لِما يُريدُ ، وهو الحَكيمُ في أقْوالِه وأَفْعالِهِ وقدرِه .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

اللهُ العزيزُ الحكيمُ الذي لا شريكَ لَهُ ، هُوَ الّذي اختارَ مُحمَّداً ﷺ نبياً وَرَسُولاً ، وأرسَلَهُ لِلْعَالَمينَ جميعاً ، عَرَباً وَعَجَماً ، إنْساً وجِنّاً ، في أيِّ زمانٍ ومكانٍ ، خَتَمَ بهِ الأنبياءَ والرُّسلَ ، وخَتَمَ برسالتِه الرِّسالاتِ كُلَّها ، وأوجَبَ علىٰ كلِّ إنسانٍ الدُّخولَ في دينِهِ الإسلام .

ورسولُ اللهِ ﷺ بشيرٌ لِمَنْ أطاعَهُ ، يُبشِّرُهُ بالجنَّةِ ونَعيمِها ، وهو نذيرٌ لِمَنْ عصاهُ وكَفَرَ به ، يُنذِرُه عذابَ النارِ ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ يَرفُضُونَ بشارتَه وإنذارَهُ ، ويُنكِرُونَ نُبوَّتَهُ ، ويَكفُرُونَ بهِ ، ويُكذِّبُونَهُ ، وهؤلاءِ خاسِرُونَ مُخَلَّدونَ في النارِ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

عندما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُ ويُنذِرُ ، ويتكلَّمُ عَنْ يوم القيامةِ ، وأنَّه آتٍ لا رَيْبَ فيه ، كان

الكفَّارُ المُنْكِرُونَ له يَسألُونَ باستهزاءِ ، متىٰ يَأْتي هذا اليومُ الذي وُعِدْنا بهِ ، إنْ كنتُم صادقينَ أيُّها المؤمنونَ في كلامِكم عليهِ ووَعْدِكُم بهِ ؟

وقد أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يُجيبهُم عن سُؤالِهم قائلاً : جعل اللهُ لكُم مِيعاداً مُحَدَّداً ليوم عظيمٍ ، وهو يومُ القيامةِ ، وهذا اليومُ إذا جاءَكُم لا يُؤخَّرُ عَنْكُم ساعةً ، ولا يُقدَّمُ ساعةً ، وإنما يأتي في الوقتِ المُحَدَّدِ الذي قدَّرَهُ الله ، فماذا سيكونُ مصيرُكُم في ذلك اليوم ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ القرآنُ يُعلِّمُنا الحِوارَ الناجحَ مَع الكافرين ، وكيفيَّةَ إقامةِ الحُجَّة عليهِم ، بما فيهِ مِنْ أسئلة وأجوبة تُوجَّهُ لهم ، ورُدودٍ علىٰ شُبُهاتِهِم .

٢ ـ من أساليبِ الدَّعوةِ التلطُّفُ في دعوةِ المُخالفينَ ، والإنصافُ في الحوارِ مَعَهُم ، كأنْ يُقالَ لهُم : أحدُنا ضالٌّ والآخرُ مُهتدٍ ، ففكِّرُوا فيما أنتُم عليهِ .

٣ ـ تفرُّدُ اللهِ بالخَلْقِ والمُلْكِ والرِّزق باعتراف الكافرينَ دليلٌ علىٰ وَحدانيَّتِهِ .

٤ ـ يومُ القيامةِ يَفصِلُ اللهُ فيه بين الناس ، ويَحكمُ بينهم بعَدْلِه وقضائِه .

٥ ـ بعثَ اللهُ مُحَمَّدا ﷺ رسولاً للعالمين جميعاً مِن الإنسِ والجنِّ .

٦ ـ يومُ القيامةِ آتٍ لا ريْب فيه ، في الوقت الذي حدَّدَهُ اللهُ لَهُ ، مِنْ غيرِ تقديم أو تأخير .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلة الآتية :

١ ـ استخرجْ مِنْ آيات الدَّرسِ خمسَ مرَّاتٍ ذُكِرَ فيها فِعْلُ الأمرِ « قُلْ » واذكُرِ القولَ المأمورَ به في كلِّ مرَّةٍ .

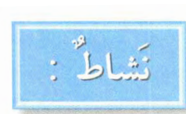
٢ ـ بماذا تُفَسِّرُ قولَ المؤمنينَ للكافرين . ﴿وإنَّا أو إيَّاكُم لعلىٰ هُدًى أو في ضلالٍ مُبينٍ﴾

٣ ـ ما معنىٰ وَصْفِ اللهِ بأنَّهُ « فتَّاحٌ » ؟ وكيفَ يَفتحُ بينَ الناس عندما يجمَعُهُم ؟

٤ ـ لماذا وُصِفَ رسولُ اللهِ ﷺ بأنَّهُ بشيرٌ ونذيرٌ ؟

٥ ـ استخرجْ من آياتِ الدَّرسِ جملةً تُصرِّحُ بعُموم رسالةِ الرسولِ ﷺ .

٦ ـ وقتُ يوم القيامةِ مُحَدَّدٌ ، اسْتدِلَّ علىٰ ذلك بالآيةِ الآخيرةِ منَ الدَّرسِ .



١ـ سجِّلِ الآيةَ (٣١) من سورةِ يونُسَ ، التي تُسجّلُ اعتراف المُشركين بأنَّ اللهَ وحْدهُ هو الرزّاقْ .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ (٤١) من سورةِ يونُسَ ، واستخرجْ منها حُسْنَ التلطُّفِ مَعَ المُشركينَ .

٣ ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةً من سورةِ آلِ عمرانَ تُصَرِّحُ بأنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الوحيدُ عندَ اللهِ ، واكتبْ آيةً أخرىٰ تُصرِّحُ بأنَّ أيَّ دينٍ غيرِ الإسلامِ غيرُ مقبولٍ منْ صَاحِبه .

٤ـ اكتُبْ موضوعاً في دفترِكَ عُنوانُه « عمومُ رسالةِ رسولِ اللهِ ﷺ للعالَمين جميعاً » في صَفْحَتَينِ ، واذكُرْ فيه ثلاثَ آياتٍ وثلاثةَ أحاديثَ صحيحةٍ تدلُّ على هذا العُمومِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

سورةُ سَبَأٍ - القِسْمُ الثَّامِنُ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ
مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ
ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ
عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ
مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ
ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

بَيْنَ يَدَيْهِ	: الكتُبُ التي قَبْلَ القرآنِ ، كالتّوراةِ والإنجيلِ .
مَوْقُوفُونَ عند ربِّهِم	: مَحْبُوسُونَ في أرضِ الموْقِفِ للحسابِ يومَ القيامةِ .
يَرْجِعُ بعضُهم إلىٰ بعضٍ القولَ	: يتحاوَرُونَ ويتراجَعُونَ في الكلامِ .
صدَدْناكُم	: مَنَعْناكُم عنِ الهُدىٰ .
مُجْرمينَ	: آثمينَ مُصرِّينَ علىٰ الكُفرِ .
مَكرُ الليلِ والنَّهارِ	: خِداعُكُم لنا بالليلِ والنَّهارِ .
أنداداً	: شُركاءَ ، جمعُ نِدٍّ : وهو الشريكُ .
الأغلالَ	: القَيْدَ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ من تقريرِ حقيقةِ عالَميَّةِ دَعْوةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وإقامةِ الحُجَّةِ علىٰ الكُفَّارِ ، ومَجيءِ يومِ القيامةِ كما يُحدِّدُهُ اللهُ ، لتتحدَّثَ عَنْ موقفِ الكفَّارِ الذَّليلِ يومَ القيامةِ ، وتعرضُ الحوارَ بينَ المُسْتضْعفينَ والمُسْتكْبِرينَ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) ﴾ .

الكفارُ مُعانِدُونَ مُصرُّونَ علىٰ التكذيبِ بالقرآنِ ، بالرغمِ من قيامِ الحُجَّةِ عليهم ، وقد صارحُوا رسولَ اللهِ ﷺ بالكُفرِ ، وقالُوا له : لنْ نُؤمنَ بهذا القرآنِ الذي تَتلُوهُ علينا ، وتزعُمُ أنَّه كلامُ اللهِ ، ولنْ نُؤمنَ بما سَبقَهُ من كُتُبٍ ، كالتَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ ، الّتي تزعمُ أنَّ اللهَ أنزلَها علىٰ أنبياء سابقينَ ، ولنْ نُصدِّقَ بما تُخبرُنا عنهُ منَ البَعْثِ والحسابِ والجَزاءِ .

وقد أخْبرَ اللهُ عن حالِ هؤلاءِ الكافرينَ يومَ القيامةِ ، وما هُمْ عليهِ مِنْ ذُلٍّ وهَوانٍ ، ودعا إلىٰ استحضارِ مَشْهدِهِم الذَّليلِ ، وهُمْ مَوْقُوفونَ بين يَديْ ربِّهِم للحسابِ ، يَتحاوَرُونَ فيما بينَهم ، ويتراجعُونَ القولَ بينَهم باللَّومِ والعِتابِ ، وتَحمُّلِ المسؤُوليةِ ، حيثُ يُحمِّلُ كلُّ فريقٍ الآخرَ مسؤوليَّةَ إضلالِهِ وانحرافِهِ ، ويتبرَّأُ بعضُهم من بعضٍ ، ويَلْعَنُ بعضُهم بعضاً .

ومِنْ ذلك ما يجري بينَ الَّذين استُضْعِفُوا والَّذين استَكْبَرُوا ، حيثُ يَلُومُ المُسْتَضْعَفُونَ المُسْتكْبِرينَ ، ويُحَمِّلُونَهم تبعَةَ كُفرِهِمْ وضَلالِهِمْ ، ويقولونَ لَهُمْ : أنتُمُ الَّذينَ حَرَمْتُمونا مِنَ الإيمانِ ، ولولاكُمْ لكنَّا مُؤمنينَ بالحقِّ الذي جاءَتْ بِهِ الرُّسلُ ، فأنتُم السبَّبُ في كفرِنا!

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) ﴾ .

يردُّ المُسْتكْبِرُون علىٰ المُسْتَضْعَفين ، قائِلينَ لهم : أنتُم مَنَعْتُم أنفُسَكُمْ مِنَ الإيمانِ والهُدىٰ ، واختَرْتُمُ الكُفرَ والضَّلالَ ، وكنتُم بذلك مُجْرمينَ في حقِّ أنفُسِكُم ، ونحنُ ما فَعَلْنا بِكُمْ أكثرَ مِنْ أنَّا دَعَوْناكُم مِنْ دُونِ إجبارٍ فاتَّبَعْتُمونا باختيارٍ ، فلماذا تُحَمِّلُونَنا المسؤوليةَ الآنَ ؟!

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٣٣) ﴾ .

لا يَسْكُتُ المُسْتَضْعَفون علىٰ تهرُّبِ القادةِ والرُّؤساءِ مِنْ تَبَعَةِ إضلالِهم ، ويَرُدُّون عَلَيْهِم بأنَّهمْ هُمُ الَّذين صَدُّوهُم عَنِ الهُدىٰ ، حيثُ كانوا يَمْكُرونَ بِهِمْ في الليلِ والنَّهارِ ، ويَخْدَعُونَهمْ ويَحتالُونَ عَلَيْهِم ، ويُوَجِّهونَ إليهِمْ جُهودَهُمْ ومُؤامَراتِهِم في إبعادِهِم عَنِ الحقِّ ، واستمرارِ سَيْرِهِم مَعَ الباطلِ ، ويأمُرُونَهُم أنْ يُكَذِّبُوا الرُّسُلَ ، ويكفُرُوا باللهِ ، ويجعلوا له الأندادَ والشُّركاءَ ، ويستمرُّوا في طاعتِهِم ، والخُضوعِ لَهُمْ دونَ غيرهِم ، فاستجابُوا لهم ونفَّذوا أوامِرَهُم .

عندَ ذلكَ يتوقَّفُ الحوارُ الذَّليلُ بينَ الأتباعِ المُسْتَضْعَفينَ والمَتْبُوعينَ مِنَ الرُّؤساءِ والقادةِ ، ويُخْفي كلٌّ مِنْهُمُ النَّدمَ علىٰ ما كانَ مِنْهُم في الدُّنْيا مِنَ الكُفرِ والضَّلالِ ، لأنَّهُمْ يَرَوْنَ أمامَهُمْ عذابَ النارِ ، ويَعلمُون أنَّهم جميعاً ذاهبونَ إليها ، لِيُعَذَّبُوا فيها .

وعندما يَسْكتُ الفَريقَانِ ، ويَتوقَّفانِ عَنِ اللَّومِ والعِتابِ يأمرُ اللهُ بوَضْعِ القُيودِ والسَّلاسلِ والأغلالِ في أعناقِهِم جَميعاً ، مُسْتكْبرِين ومُسْتَضْعَفينَ .

واللهُ عادلٌ في حُكْمِهِ ، فيُعاقِبُهُم بما يستحقُّونَ ، ويُجازي كلَّ عاملٍ بعَمَلِهِ ، وهؤلاءِ كانُوا في الدُّنيا كافرِينَ ظَالمين مُجْرمينَ مُكَذِّبينَ ، ولِذلكَ كانَ مصيرُهُمْ في الآخرةِ النارَ ، لأنهمْ لا يُجْزَوْنَ إلاّ ما كانوا يَعْمَلُون .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

١ـ الكُفَّارُ مُعانِدُونَ مُصِرُّونَ علىٰ الكُفْرِ بالقرآنِ والكُتُبِ السابقةِ ، مهما قُدِّمَتْ لَهُمُ الأدلَّةُ .

٢ـ يَقِفُ الكَافرونَ الظالمونَ أمامَ اللهِ يومَ القيامةِ بذِلَّةٍ ومَسْكَنةٍ وهَوانٍ .

٣ـ يكونُ بينَ المُسْتَضْعَفينَ والمُسْتَكبِرينَ يومَ القيامةِ حِوارٌ وبَراءَةٌ وتَلاعُنٌ واسْتِنْكارٌ .

٤ـ للقادةِ دورٌ كبيرٌ في إضْلالِ الأتباعِ ، حيثُ كانوا يأمرُونَهُمْ بالكُفرِ ويَخْدَعونَهُم ليلَ نهارَ .

٥ـ لا يُعْفي اللهُ الأتباعَ من تَبِعَةِ الكُفْرِ ، ولذلك يُعذِّبُهم معَ مَنْ يَتْبَعُونَهُم في النَّارِ .



أجبْ عن الأسئلة الآتية :

١ـ اذكُرْ أسماءَ أربعةِ كُتبٍ ربّانيةٍ صرّحَ الكُفّارُ بكُفرِهم بها .

٢ـ كيفَ يكونُ حالُ الكُفّارِ وهم مَوْقوفونَ عندَ ربِّهم للحسابِ ؟ أيِّدْ إجابتَكَ بدليلٍ .

٣ـ ماذا يقولُ المُسْتَضْعَفون للمُسْتَكْبرينَ في حِوارِهم مَعَهُم ؟ وبماذا يَرُدُّونَ عَلَيْهِم ؟

٤ـ بماذا كانَ القادةُ يأمُرونَ أتباعَهم في الدُّنْيا ؟

٥ـ هل يُعفي اللهُ الأتباعَ مِنَ المسؤوليةِ لأنّ الرؤساءَ خدعُوهُم ؟ ولماذا ؟

٦ـ اذكُرِ القاعدةَ في المُجازاةِ والحسابِ يوم القيامةِ كما قرّرتْهَا الآيةُ الأخيرةُ .

نَشاطٌ :

١ـ مِنْ مواقِفِ البراءةِ بينَ المُسْتَضْعَفينَ والمُتكبّرين ماوردَ في سورة إبراهيمَ ، سجِّلْ في دفترِكَ تلكَ الآياتِ .

٢ـ سجّلْ الآيةَ (٣٨) من سورةِ الأعرافِ ، واستخرجْ منها العذابَ الذي يُوقِعُه اللهُ بالأتْباعِ والمَتْبُوعينَ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبين الآيةِ (٣١) .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامسُ والعِشرونَ

سورةُ سَبَأٍ - القسْمُ التَّاسِعُ

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ
أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

مُتْرَفُوها : أغنياؤُها ، وأصحابُ الثَّراءِ والنِّعمةِ فيها .

يَبسُطُ الرِّزقَ لمَنْ يشاءُ : يُوسِّعُ الرِّزقَ ، ويَزيدُهُ لمَنْ يشاءُ .

يَقْدِرُ : يُضيِّقُ الرِّزقَ ويُقلِّلُهُ .

زُلْفىٰ : قُربىٰ .

جَزاءُ الضِّعْفِ : الثَّوابُ المُضعَّفُ ، فالحَسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها وأكثرَ .

مُعاجِزِينَ : مُسابِقينَ يُريدُونَ تَعجيزَ اللهِ .

في العذابِ مُحْضَرون : تُحْضِرُهُمُ الزَّبانيةُ للعذابِ في جهنَّمَ .

يُخْلِفُه : يُعوِّضهُ ويُعطي بَدَلاً منهُ .

التَّفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ تكذيبِ الكُفّارِ بالقرآنِ والكُتُبِ السّابقةِ ، وما يكونُ بينَ الأتباعِ والمَتْبُوعينَ في

الآخرةِ مِنْ عِتابٍ ولوْمٍ ، لِتتحدَّثَ عَنْ تكذيبِ المُتْرَفين بالرُّسلِ ، واعتدادِهم بالأموالِ والأولادِ والأرزاقِ ، وتردُّ عليهم افتراءاتِهم .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يُواسي اللهُ رسولَه ﷺ ، ويُسلّيهِ علىٰ ما يُواجهُهُ مِنْ تكذيبِ قومِهِ ، ويأمرُهُ بالاقتداءِ بالرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ ، الَّذينَ صبَرُوا علىٰ تكذيبِ أقوامِهم ، ويُخْبِرُهُ أنّه ما أرْسلَ رسولاً في قريةٍ في الماضي لِيَدْعُوَهُمْ إلىٰ الإيمانِ باللهِ ويُنذرَهُم عذابَهُ ، إلاَّ كذَّبَهُ أغنياؤُها وأصحابُ الترفِ والثراءِ والرياسةِ فيها ، وقد كانَ هؤلاءِ المُترَفونَ يُصارِحُون الرُّسلَ بالتكذيبِ ويقولونَ لهم : إنَّنا كافرونَ بما أُرْسِلْتُم بهِ .

وهُم مُكذّبون بالحقِّ الذي جاءَ به الرسلُ لأنهم مُنْغَمِسُون في الشهواتِ وأكْلِ حُقوقِ الآخَرينَ ، ولا يُريدونَ ديناً يُحرِّمُ عليهم ذلكَ .

وأتباعُ الرُّسُلِ هُمْ الفقراءُ والمُسْتَضْعَفونَ ، لأنَّ قُلوبَهُم أقربُ للحقِّ ، فلا يَشْغَلُهُم مالٌ ولا سلطانٌ ، ولقد سألَ هِرَقْلُ ملكُ الروم أبا سفيانَ عَنْ أتباعِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالَ أبو سفيانَ : هم ضُعفاءُ الناسِ ، فقال هِرَقْلُ : الضُّعَفاءُ هم أتباعُ الرسلِ .

وتكذيبُ المُتْرَفينَ للحقِّ يُؤدِّي إلىٰ دَمارِهم وما يحْكُمون .

﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

يعتدُّ المُترَفونَ بما عندَهم مِنْ أموالٍ وأولادٍ ، ويَفخرون بذلكَ ، ويعُدُّونَهُ دليلاً علىٰ مَحبَّةِ اللهِ لَهُمْ ، ويقولونَ للرُّسلِ وأتباعِهمُ المُؤْمنينَ : نحنُ أكثرُ أموالا وأولاداً مِنْكُم ، وأنتُم فقراءُ ضُعفاءُ ، واللهُ فضَّلَنا عَلَيْكُم ، وهذا دليلٌ علىٰ محبَّةِ اللهِ لنا ورضاهُ عنّا ، وما كان لِيُعْطِيَنا هذا كلَّهُ في الدُّنيا ، ثم يُعذِّبَنا في الآخرةِ ، فلن يُعذِّبَنا كما تُهَدِّدُونَنا بذلكَ .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يردَّ علىٰ الكُفَّارِ المُتْرَفينَ بأنَّ ما أُعْطُوه مِنَ الأموالِ والأولادِ ليسَ دليلاً علىٰ منْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ ، وإنَّما هُوَ اسْتِدْراجٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، فهو يُعطي المالَ والأولادَ لمَنْ يشاءُ ويَبْسُطُ لَهُ في الرِّزقِ ، ويُكْثِرُ له المالَ ، ويُفْقِرُ مَنْ يشاءُ ويُقلِّلُ عنه المالَ ، ، ويُضَيِّقُ عليه الرزقَ ، وله الحكمةُ النامةُ في ذَلِكَ ، وقد يُعطي الكافرَ المالَ الكثيرَ اسْتِدْراجا ، وقد يُقلِّلُ المالَ علىٰ المؤمنِ المُطيعِ ابتلاءً وامتحاناً ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ جاهلونَ ، لا يَعلَمون هذهِ الحقيقةَ الرَّبانيةَ في بَسْطِ الرزقِ وتَضْييقِهِ .

﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

ويُبطلُ اللهُ استكبارَ المُتْرَفين الكافرينَ بالأموالِ والأولادِ ، ويُبيِّنُ لَهُمْ أساسَ القبولِ والفَضْلِ عندَه ، والقُرب منه ، فيقولُ لهُم : لَيْستْ كثرةُ أموالِكم وأولادِكم دليلَ محبَّتِنا لكُم ، وأساسَ قُرْبِكُم مِنْ رَحْمَتِنا وفضْلِنا ، وإنَّما هي ابتلاءٌ وامتحانٌ لَكُمْ .

إنّ أساسَ الفَضْلِ والمنزلةِ والقُربىٰ عنْدنا هو الإيمانُ والعملُ الصالحُ ، فمَنْ آمنَ واستقامَ وعمِلَ صالحاً فهو المُكرَّمُ عِنْدنا ، وهؤلاءِ المُؤْمنونَ لَهُمْ الثَّوابُ المُضَاعفُ علىٰ حَسناتِهم ، يُجْزَوْنَ علىٰ الحَسنةِ بعَشْرِ أمثالِها إلىٰ سبعمائةِ ضِعْف ، وهم مُخَلَّدونَ مُنعَّمونَ في غُرُفاتِ الجنَّةِ ومنازِلِها العاليَةِ ، آمِنونَ مُطْمَئِنُّون ، راضُون مَرْضيّونَ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

يُهَدِّدُ اللهُ الكافرين المُعْتَدِّينَ بالأموال والأولادِ بالعذاب ، فهم يَبْذُلُونَ كلَّ جُهْدِهِم في إبطال آياتِ اللهِ ، ويَسْعَوْنَ في الصدِّ عَنْ سبيله ، ويُحارِبُون دينَهُ ، ويَزْعُمونَ أنَّهم بذلك يَنجُون مِنْ عذابِ اللهِ ، ويَقضُون علىٰ دينِه ، وهُمْ الخاسرونَ المَهْزُومُونَ ، وفي الآخرَةِ يأمرُ اللهُ الزَّبانيةَ أنْ تَسوقهم إلىٰ جهنَّمَ ، وتُحضِرَهم فيها ، حيثُ لا يَجِدُونَ نجاةً ولا مَهْرباً .

﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

الرِّزقُ بيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، يتصرَّفُ فيهِ كما يشاءُ ، وقد أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يُذكِّرَ الناسَ بهذهِ الحقيقةِ فيقولُ لهم : رَبِّي هو الرَّازِقُ وحْدَهُ ، يُوسِعُ الرِّزقَ علىٰ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِه ، ويُضيِّقُ الرِّزقَ ويُقلِّلُهُ علىٰ مَنْ يشاءُ ، يفعلُ ذلك بحكمتِهِ ، وعليكُم أنْ تُنفِقُوا مما رزَقَكُمْ اللهُ علىٰ عبادِهِ المُحتاجينَ ، ولا تخشَوْا ذهابَ أموالِكم ، فإنَّ ما تُنفقُونَه قد تكفَّلَ اللهُ بأنْ يُخْلِفَهُ عليكُم ، ويُعوِّضكُم خَيْرًا منهُ ، فيضاعِفُ لَكُمْ الرزقَ في الدُّنيا ، والثوابَ في الآخِرَةِ ، واللهُ هو الرَّازقُ وَحْدَهُ ، والناسُ أسبابٌ ووسائطُ للرِّزقِ ، فهو سبحانَه خيرُ الرَّازِقين .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ المُتْرَفُونَ الكافرون همُ الذين يُواجِهونَ الرُّسُلَ ويُكَذِّبُونَهُمْ ويُحارِبُونَ الحَقَّ .

٢ـ يعتدُّ الكفارُ ويُفاخِرونَ بأشياءَ زائلةٍ تافهةٍ ، كالأموالِ والأولادِ .

٣ـ اللهُ وَحْدَهُ هُو الرّازقُ ، ويُوزِّعُ الرِّزقَ علىٰ عبادهِ بِحِكْمَتِهِ ، فَيُوَسِّعُهُ علىٰ مَنْ يشاءُ ، ويُضَيِّقُهُ علىٰ مَنْ يشاءُ .

٤ـ المالُ والرِّزقُ والوَلَدُ ليسَتْ أساسَ التّفْضيلِ والتّكْريمِ عندَ اللهِ ، وإنَّما هو الإيمانُ والعَملُ والتّقوىٰ .

٥ـ المؤمنُ هو الآمِنُ في الآخرةِ ، لأنّه مُنَعَّمٌ في الجنَّةِ ، والكافرُ مُعَذَّبٌ في النَّارِ .

٦ـ يبذلُ الكفَّارُ جُهدَهم في حَرْبِ دينِ اللهِ وإبطالِ آياته ، وهُمُ الخاسرونَ الهالِكُونَ في النّهايةِ .

٧ـ تكفَّلَ اللهُ بأنْ يُعوِّضَ كلَّ مَنْ أنفقَ في سبيلهِ ، ويُخْلِفَ عَلَيْهِ مالَهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بماذا يعتدُّ المُتْرَفُونَ ؟ وَماذا قالوا للرُّسلِ ؟ وما وَجْهُ الخَطَأِ في قولِهم ؟

٢ـ اذكُرِ الأشياءَ التي نَفَتِ الآياتُ أنْ تكونَ أساسَ الفَضْلِ عندَ اللهِ ، وبماذا يتفاضلُ الناسُ عِنْدَهُ سُبحانَهُ ؟

٣ـ ما معنىٰ قولِه : ﴿قلْ إن ربيِّ يبسطُ الرِّزقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ؟ وما نظرةُ المُؤْمنِ والكافرِ للرِّزقِ ؟

٤ـ ما موقفُ الكُفَّارِ من آياتِ اللهِ في الدُّنيا ؟ وما عُقوبةُ ذلكَ في الدُّنيا والآخرةِ ؟

٥ـ ماذا يفعلُ اللهُ لِمَنْ يُنفِقُ مِنْ مالِهِ في سبيلِ اللهِ ، في الدُّنيا والآخرةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ الآيَةَ (١٦) من سورةِ الإسراءِ في دفترِكَ ، واستخرجْ منها نتائجَ حُكْمِ المُتْرَفينَ للقريةِ ، والسُّنَّةَ الربانيَّةَ في ذلكَ .

٢ـ استخرجْ مِنْ سورةِ الفَجْرِ الآياتِ التي تَرُدُّ علىٰ مَنْ جعلَ كَثْرَةَ المالِ دليلاً علىٰ تكريمِ اللهِ له ، وقِلَّةَ المالِ دليلاً علىٰ إهانةِ اللهِ له ، واذكرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآيةِ (٣٧) .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ والعِشرونَ

سورةُ سبأٍ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا
مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

يَحشُرُهُم جميعاً : يَسوقُ اللهُ العابدينَ والمعبودينَ جميعاً يومَ القيامةِ للحسابِ .

سُبحانكَ : تنزيهٌ للهِ عن الشِّركِ والنَّقْصِ .

آياتُنا بيِّناتٍ : آياتُ القرآنِ واضحاتٌ .

يَصُدَّكُم : يَصْرِفكُم ويَمْنَعكُم .

إفكٌ مُفترىٰ : كذبٌ مُخْتَلَقٌ لا أساسَ له .

سِحْرٌ مبينٌ : سِحْرٌ ظاهرٌ .

يَدْرُسونَها : يَقْرَؤونَها .

مِعْشارَ : عُشْرَ الشيءِ .

نكِير : إنكاري عَلَيْهِم بالعذابِ .



التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحوارِ مَعَ الكافرينَ المُتكبِّرينَ ، إلىٰ بيانِ مَصيرِهِم يومَ القيامةِ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

تعرضُ الآيةُ مَشْهَداً لتكذيبِ المُشركينَ يومَ القيامةِ ، فقد كانُوا في الدُّنيا يَعبُدونَ غيرَ اللهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ كانَ يعبدُ المَلائِكَةَ ، يَرْجُونَ مِنهُمُ النَّفْعَ والشَّفاعَةَ والنُّصْرَةَ .

يَحْشُرُ اللهُ يومَ القيامةِ المَخلوقينَ جميعاً ، وَمِنْهُمُ المُشركونَ العابدونَ لغيرِ اللهِ ، والَّذين كانْوا يَعبدُونَهُم ، ومِنْهُمُ الملائكةُ .

ويسألُ اللهُ المَلائِكةَ المَعْبُودينَ مِنْ دونِهِ قائلاً : أهؤلاء المُشركونَ عَبَدُوكُم مِنْ دُونِي ؟ وهل أمَرْتُمُوهُم أنتُم بعبادتِكُم ؟

واللهُ يعلمُ الحقيقةَ . والهدفُ مِنَ السُّؤالِ هُوَ توبيخُ المُشركينَ وتكذيبهُمْ ، وبيانُ خسارتِهِم ، فهم يَسْمَعُونَ تكذيبَ الملائكةِ لهم ، وقد كانُوا يَرْجُونَهُم للنَّفعِ والشَّفاعةِ .

ويُجيبُ الملائكةُ علىٰ مَسْمَعٍ مِنَ المُشركينَ ، مُتَبَرِّئينَ مِنهُمْ ، فيقولونَ للهِ : سُبحانَكَ يا ربَّنا ، تقدَّسْتَ وتعالَيْتَ عَنْ أنْ يكونَ مَعكَ شريكٌ ، وأَنْتَ مَوْلانا وَرَبُّنا ، وَنَحْنُ عبيدُكَ وَخاضِعونَ لكَ ، ولا مُوالاةَ بيننا وبينَهمُ ، ولَمْ نَرْضَ بعبادتِهم لنا ، ونحنُ بريئونَ منهُم ، وقدْ كانوا يَعْبُدونَ الجنَّ الكافرينَ ، وهُمْ إبليسُ وأعوانُه مِنَ الشَّياطينِ ، حيثُ زيَّنُوا لَهُمْ عبادةَ غَيْرِكَ ، وأمرُوهُم بذلكَ ، فنفَّذُوا أمرَهُم ، وآمنوا بِهِم وخَضَعُوا لَهُم .

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

عندما يَسمعُ المُشركونَ براءةَ الملائكةِ منهُم يُصابُونَ بالإحباطِ والحَسْرةِ ، ويقولُ اللهُ لهُم : في هذا اليومِ لا يَملكُ أحدٌ لآخرَ نَفْعاً ولاضرّاً ، فَهُوَ عاجزٌ عَنْ تقديمِ النَّفعِ لَهُ ، وعَنْ دَفْعِ الضُّرِّ عنه ؛ لأنَّ الأمرَ كلَّه للهِ .

وبذلكَ يَيْأسُ المُشركونَ الظَّالمونَ مِنَ النَّجاةِ والخلاصِ ، ويُوقنونَ أنَّهم هالِكونَ مُعذَّبُونَ ، ويقولُ اللهُ لهُم : ذُوقوا عذابَ جهنَّمَ ، الَّذي كنتُم تُكذِّبُونَ بهِ وتَنْفُونَ وُقوعَهُ ، فأنتمُ الآنَ في أعماقِ النارِ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

كان الكفارُ في الدُّنيا يُكَذِّبُونَ بيومِ القيامةِ كما كانُوا يكفُرونَ بالنَّبيِّ ﷺ وبالقرآنِ .

فَلَمَّا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يتلُو عليهِمْ آياتِ القرآنِ الواضحاتِ المَفْهوماتِ ، ويَعرفُونَ مَعْناها ، كانُوا يُكَذِّبُونَ بذلكَ ، ولا يَعترفونَ بنبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ويقولونَ عنهُ : هُوَ ليسَ نبيّاً مِنْ عندِ اللهِ ، وإنَّما هُوَ رجلٌ طالبُ زعامةٍ ، يُريدُ منكُم أنْ تَتَبَعُوهُ ، وأنْ يَصْرِفَكُم عَنِ الدِّينِ الَّذي وَرِثْتمُوهُ عَنْ آبائِكم ، فلا تَتَخَلَّوْا عَمّا كانُوا يَعبُدونَ ، ولا تُصدِّقوا هذا الرَّجلَ .

وكانُوا يقولونَ عَنِ القرآنِ : ليسَ هُوَ كلامَ اللهِ ، وإنما هو كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ علىٰ اللهِ ، وكانُوا يقولونَ عَنِ الحقِّ الَّذي أتاهُم بهِ رسولُ اللهِ ﷺ وأقامَ عَليهِمُ الحُجَّةَ : إنَّه سِحْرٌ مُبينٌ ظاهرٌ ، وليسَ حقّاً صحيحاً ، فلا تُصَدِّقُوهُ ولا تَتَّبِعُوهُ .

﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

كانُوا يزعُمونَ أنَّهُمْ علىٰ حَقٍّ ، فكذَّبَهُمُ اللهُ ، حيثُ أخبرَ أنَّهُ لم يُؤتِهمْ كُتُباً سابقةً يَدرُسُونَها ويَتَعلَّمونَها ، كما آتىٰ اليهودَ التوراةَ ، وآتىٰ النَّصارىٰ الإنجيلَ ، ولم يُرْسِلْ لَهُمْ رَسولاً نذيراً قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، كما أرسلَ موسىٰ عليه السَّلامُ لليهودِ ، وعيسىٰ عليه السَّلامُ للنصارىٰ ، وآخِرُ رسولٍ لَهُمْ هُوَ إسماعيلُ عليه السَّلامُ ، فكيفَ يَزعُمونَ أنَّهم علىٰ حقٍّ ، وَيُكَذِّبونَ رسولَهُم الخَاتمَ ﷺ ؟ وكيفَ يَزعُمونَ أنَّهُمْ مُهتدون مَعَ شِركِهم باللهِ وعبادتِهم غَيْرَهُ .

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

لم يَكُنْ كفارُ قُريشٍ أوَّلَ مَنْ كذَّبوا رُسلَهُم ، فَقَدْ كَذَّبَ الأقوامُ الَّذينَ كانوا قبلَهُمْ رُسُلَهُمْ ، كقومِ عادٍ وثمودَ ومَدْينَ وغيرِهم ، وكانَ السَّابقونَ أكثرَ قوةً وبأساً مِنْ قُريشٍ ، ولم يَبْلُغْ قومُ قُريشٍ مِنَ القوَّةِ والكثرةِ والتَّمكينِ عُشْرَ ما آتيْنَا الكفّارَ السّابقينَ مِنْ ذلكَ ، ولمَّا كَذَّبَ السّابقونَ رُسلَهُمْ أوقعَ اللهُ بِهِمْ عذابَه عِقاباً لهم ، فدمَّرَهُم وأهلكَهُم وقَضىٰ عليهِمِ ، ولم تَدفَعْ عَنْهُم قوَّتُهُم عذابَ اللهِ .

وعلىٰ المُشركينَ أنْ يَعتبرُوا ويتَّعِظُوا بما جرىٰ للسابقينَ مِنْ إهلاكٍ وتدميرٍ ، فيَتَخَلَّوْا عَنِ الكُفرِ والتكذيبِ ، وإلاّ أصابَهُمُ العذابُ ، كما أصابَ غيرَهُم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يقفُ الكفارُ موقِفَ ذُلٍّ وهَوانٍ يومَ القيامةِ ، حيثُ تُكذِّبُهُمُ الملائكةُ في مَزاعِمِهِم .

٢ـ لا يقدرُ أحدٌ على نَفعِ أحدٍ أو الشّفاعةِ له يوم القيامة إلاّ بإذنِ الله .

٣ـ الكُفّارُ يُكَذِّبُون رسول اللهِ ﷺ ، ويُكَذِّبُونَ بما جاءَ بهِ وهو القرآنُ الكريمُ .

٤ـ إهلاكُ الكافرين والمُكَذِّبينَ سُنَّةٌ ربّانيةٌ مُطّرِدَةٌ لا تتخلّفُ .



أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ بماذا يُجيبُ الملائكةُ عَنِ السُّؤالِ عَنْ عبادةِ المُشركينَ لَهُمْ ؟ واستخرجْ من جَوابِهِم ثلاثَ حقائقَ .

٢ـ ماذا يقولُ اللهُ للظّالمينَ بعدَ تكذيبِ الملائكةِ لهم ؟

٣ـ ماذا قالَ الكُفّارُ عنْ رسولِ الله ﷺ وعَنِ القرآنِ ؟

٤ـ اسمُ الإشارةِ « هذا » ورد في الآيةِ الثالثةِ والأربعين ثلاث مرات ، حدِّدِ المُشارَ إليهِ في كلِّ مرّةٍ .

٥ـ اذكرْ آيتيْنِ تقرِّرانِ أنَّ الكفّارَ السّابقينَ كانُوا أقوى ممّنْ بَعْدَهُمْ .

نَشاطٌ :

١ـ سجّلِ الآياتِ (١٧ـ١٩) من سُورةِ الفُرقانِ ، واذكُرْ وجهَ الشّبهِ بينَها وبينَ الآياتِ (٤٠ـ٤٢) ، واستخرجْ منها تكذيبَ المعْبُودينَ الصّالحين لعابديهمُ المُشركين .

٢ـ سجّلْ في دفترِكَ الآيةَ التاسعةَ مِنْ سُورةِ الرومِ ، واذكُرْ وجْهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ الآيةِ (٤٥) .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ سَبَأٍ - القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن
جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ
ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ
إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

أعظكُمْ بواحِدةٍ : أُوصيكُمْ بفعلِ خَصْلةٍ واحدةٍ .

جِنَّةٍ : جُنونٍ .

شهيدٌ : مُطَّلِعٌ لا يخفىٰ عليه شيءٌ .

يَقذفُ بالحقِّ : يُلقي بالحقِّ إلىٰ أنبيائه .

ما يُبدىءُ الباطِلُ وَمَا يُعِيدُ : لا يقدرُ الباطلُ علىٰ البَدْءِ بشيءٍ أو إعادتِهِ .

فَزِعُوا فلا فَوْتَ : خافُوا عندَ المَوْتِ والبَعْثِ ، ولم يَقدِرُوا علىٰ الفَوْتِ والهَرَبِ .

أُخِذوا مِنْ مكانٍ قريبٍ : أُخِذوا مِنَ القبورِ القَريبةِ مِنْ وَجْهِ الأرضِ ببَعْثِهِم أحياءً .

التناوُشُ : التناوُلُ .

يَقْذِفُونَ بالغيبِ : يَرْمُونَ بالظَّنِّ الذي ليسَ عليه دليلٌ .

حِيلَ بينَهم وَبيْنَ مايَشْتهُونَ	لم يُقْبَلْ مِنْهُمُ الإيمانُ ، لأنه جاء بعدَ فواتِ الأوانِ .
أشياعِهم	أشباهِهِم وأمثالِهِم .
شَكٍّ مُريبٍ	شَكٍّ يوقِعُ في الرِّيبةِ .

التفسيرُ :

تنتقِلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ ذُلِّ الكافرينَ يومَ القيامةِ وتَهديدِهِم بالعذابِ ، كما عُذِّبَ الكافِرونَ السَّابقونَ الأقوىٰ مِنْهُم ، لِتتحدَّثَ عَنْ وسيلةٍ يَسْلُكُها الكُفّارُ لمعرفةِ صِدْقِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وتُخْتَتَمُ آياتُ السُّورةِ ببيانِ خسارةِ الكفّارِ في الدُّنيا والآخرةِ .

﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

كذَّبَ الكفّارُ رسولَ اللهِ ﷺ ، واتَّهمُوهُ اتهاماتٍ باطلةً ، فأمرَهُ اللهُ في هذهِ الآيةِ أنْ يَدُلَّهُمْ علىٰ طريقةٍ عَمَليّةٍ يَعْمَلُونَها ، لِيُزيلوا الشُّبُهاتِ التي عندَهُمْ ، فقالَ لَهُمْ : أنصحكُمْ بفِعْلِ خَصْلَةٍ واحدةٍ ، لتعرِفُوا بها صِدقي ونُبوّتي ، وهيَ أنْ تقومُوا اثنينِ اثنيْنِ ، أو واحداً واحداً ، ثُمَّ تتفكَّروا في دَعْوتي ورِسالتي ، فهذا التأمُّلُ والبحثُ والتفكُّرُ أَدْعىٰ للاهتداءِ إلىٰ الحقِ ، لأنَّ اجتماعَ الكثيرينَ لِبَحْثِ المسألةِ الواحدةِ يُشوِّشُ الفِكْرَ ويقودُ إلىٰ الفوضىٰ والتأثُّرِ بكلامِ الآخَرينَ وضُغوطِهِم .

وأخبرَهُم أنَّهم إنْ فكَّرُوا بهذهِ الطريقةِ فسَوْفَ يَخْرُجُونَ بنتيجةٍ قاطعَةٍ ، وهِيَ أنَّه ليسَ مَجنوناً ، وأنَّه رسولٌ أمينٌ صادقٌ ، وأنَّ اللهَ أنزلَ عليْهِ القرآنَ ، وأنَّهُ نذيرٌ لهم يُحَذِّرُهُم ويُخَوِّفُهُمُ العذابَ الشديدَ إنِ استمرُّوا علىٰ الكُفْرِ .

﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ ﴾

بَعْدَمَا أرشدَهُمْ ﷺ إلىٰ طريقةٍ لمعرفةِ نُبُوّتِهِ ، أمرَهُ اللهُ أنْ يُصارِحَهُمْ بتجرُّدِهِ في دعوتِهِ ، وأنَّهُ لا يَطْلُبُ أَجْراً عَلَيْها ، فقالَ لَهُمْ : أنا لا أطلبُ مِنْكُم أجْراً مُقابلَ دَعْوَتي لَكُم ، لأني أطلبُ الأجْرَ عليها مِنَ اللهِ الَّذي يُحسِنُ جزائي ، ويُضاعِفُ ثوابي ، وعِنْدَما تُؤمنونَ بي تَرْبَحونَ وتفوزُونَ ، لأنَّ اللهَ يُعطِيكُم علىٰ ذلك الأجرَ والثوابَ ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شاهدٌ حاضرٌ ، لا يَخفىٰ عليهِ عمَلي ولا عَمَلُكُم .

﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾

وأمرَ رسُولَهُ ﷺ أنْ يُؤكِّدَ للمُشركينَ حقيقةَ الوَحْيِ ، ويقولَ لَهُمْ : إنَّ اللهَ يُنزِّلُ المَلَكَ بالوَحْيِ

علىٰ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، ويقْذِفُ بالحقِّ ، ويَرمي بهِ الباطلَ فيدفعُهُ ويُهلِكُهُ ، وهُو علاَّمُ الغيوبِ ، لا تَخفىٰ عليه خافيةٌ في السّمواتِ والأرضِ .

﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

وأخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ المُشركينَ بأنَّ اللهَ جاء بالدِّينِ الحقِّ ، وأنزلَ عليه القُرآنَ ، وهذا الحقُّ سيُزْهِقُ الباطلَ ويَقْضي عَلَيْهِ ، حيثُ سينْتصرُ ويَنْتشرُ ، ويَعلو علىٰ كلِّ ما سواهُ ، وبذلك يَنتهي الباطلُ ويزولُ ، ولَنْ يقدر علىٰ البدْءِ بشيءٍ أو إعادتهِ .

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

وأكّد رسولُ الله ﷺ لقومه حقيقةَ الرِّسالةِ والهُدىٰ ، وتلطّفَ مَعهُم ليُقْنِعهُمْ ، وردَّ علىٰ اتِّهامِهِم لَهُ بالضّلالِ ، فقالَ لهم : إنْ ضلَلْتُ عنِ الهُدىٰ واتّبعتُ الباطلَ ، فإنَّ إثم ذلكَ عائدٌ عليَّ وَحْدي ، وأنتُم لا تُحَاسَبونَ عَنِّي ، وإنِ اهتديْتُ وعرفْتُ طريقَ الخيرِ والحقِّ فهذا فضلٌ مِنَ الله ، وبسببِ ما آتاني وأوْحىٰ إليَّ مِنْ آياتِ القرآنِ ، وربّي سميعٌ يَسْمَعُ كلَّ شيءٍ ، وقريبٌ مِنَ المخلوقينَ ، يَعلمُ كلَّ ما يقولُونَهُ ويَفعلُونَهُ ، وسيُجازِي المُهتدينَ بالنَّعيمِ ، ويُعاقبُ الضَّالينَ بالنار .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾

الكُفّارُ يُنكرونَ البَعْثَ والقيامةَ ، ولكنَهُم سيُبْعثُونَ ويُحَاسَبون ، ويقولُ اللهُ لرسولِهِ ﷺ : لو ترىٰ الكفّار عندَ بَعْثِهِم مِنْ قُبورِهم ، سيكُونون خائفين فَزِعينَ مرْعُوبين ، لأنّهُم يُوقنُون بذهابِهِم إلىٰ النارِ ، ولا مهْرَبَ أو نجاةَ لأحَدِهِم مِمَّا نَزَلَ بِهِم ، وكلُّهُم يُساقُون سوْقاً إلىٰ أرضِ المحْشرِ ، ويُوقَفُون في ساحةِ العَرْضِ للحِسابِ ، وبذلكَ يُؤخذون للحساب مِنَ مكانٍ قريبٍ ، فما هي إلا زجرةٌ واحدةٌ حتىٰ يكونوا واقفين للحساب ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿يَقُوْلُوْنَ أَإِنَّا لَمَرْدُوْدُوْنَ في الحَافِرَةِ * أإذا كُنّا عِظَاماً نخرة * قالو تلكَ إذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فإنّما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فإذا هُمْ بالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات : ١١-١٤] .

﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

عندما يرىٰ الكفّارُ أحداثَ الآخرةِ ومشاهِدَها ، يُعلنونَ إيمانَهمْ بتلكَ الأحداث والمشاهدِ التي كفرُوا بها في الدُّنيا ، ويقولونَ : آمنَّا باللهِ وحْدَهُ ، وآمنَّا بنبيّه ﷺ ، وآمنَّا بكلِّ ما وردَ في القُرآنِ ، وآمنَّا باليوم الآخرِ وما فيه .

ولكنَّ هذا الإيمانَ لا يُقبلُ مِنْهُم ، لأنّهُ جاءَ بعدَ فواتِ الأوانِ ، فالدُّنيا دارُ تكليفٍ وإيمانٍ وعمَلٍ ، والآخرةُ دارُ حساب وجزاء ، فالإيمانُ لا يُقبلُ مِنَ الناسِ في الآخرةِ ، ولِذلك تتعجَّبُ الآيةُ

مِنْ إيمانِهم المتأخِّرِ وتَستبعِدُهُ ، وتقولُ : أَنَّىٰ لَهُم تناولُ الإيمانِ وتحقيقُهُ والحُصُولُ عليهِ مِنْ مكانٍ بعيدٍ عَنْ مكانِ التكليفِ ، وهُوَ الآخرةُ التي لا تكليفَ فيها ، لَقدْ كانوا في الدُّنيا دارِ التكْليفِ كُفّاراً بالرَّسولِ ﷺ ، وبالقرآنِ ، وكانُوا يَرجُمونَ بالظَّنِّ ، ويتكلَّمونَ في مَسائلِ الغَيْبِ بما لا دليلَ عندَهم عليهِ ، فيقولونَ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، إنَّه شاعرٌ أو ساحِرٌ أو كاهنٌ ، ويُنكِرُونَ البَعْثَ والحِسابَ والجنّةَ والنّارَ .

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

عِنْدَما أعلنَ الكُفّارُ الإيمانَ المُتأخِّرَ يومَ القيامةِ ولَمْ يُقْبَلْ منهُم ، يكونُ قد حِيلَ وفُصِلَ بينَهم وبينَ ما اشتَهَوْهُ ، فقد اشتَهَوْا وتمنَّوْا قَبولَ الإيمانِ ، لِيَنْجُوا مِنَ العذابِ ، وفِعْلُ اللهِ بهم عدمُ قبولِ إيمانِهم كما فُعِلَ بأمثالِهم ونُظرائِهم من كفّارِ الأُممِ السابقةِ ، وقد كانَ الكُفّارُ السّابقونَ واللّاحقونَ في شكٍّ قويٍّ وتكذيبٍ صَريحٍ ، حيثُ كذَّبُوا رُسُلَهُم ورَفضُوا دَعوتَهُم ، ولذلكَ لم يُحَقِّقِ اللهُ أُمنياتِهِم التي تَمنَّوْها في الآخرةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الخَلْوةُ أدْعىٰ إلى صفاءِ الذِّهنِ ودقَّةِ التفكيرِ ، والأوْلىٰ هو تفكيرُ الإنسانِ وحْدَهُ أو معَ صاحبِهِ ، للخروجِ بالنّتيجةِ الصّحيحةِ .

٢ـ علىٰ الدّاعيةِ أنْ يَقتديَ برسولِ اللهِ ﷺ في تجرُّدِه وزُهْدِه في ما عندَ الناسِ ، فلا يَطْلُبُ مِنْهُم أجراً لأنَّ أجرَهُ عندَ اللهِ .

٣ـ المُهتدي يعترفُ للهِ بالفَضْلِ والمِنَّةِ ، ويَرجُو ثوابَهُ ، والضَّالُّ يجني على نَفسهِ .

٤ـ يَخرجُ الكفّارُ من قبورِهم للحِسابِ فَزِعينَ خائِفِينَ ، لأنَّهم ذاهِبونَ إلى العَذابِ .

٥ـ يُعلِنُ الكفارُفي الآخرةِ إيمانَهم ، ولكنَّ اللهَ لا يَقْبلُه منهم ، لكونِهِ مُتأخِّراً .

٦ـ الدُّنيا دارُ تكليفٍ وعَمَلٍ ، والآخرةُ دارُ جزاءٍ وحسابٍ وثوابٍ أو عقابٍ .

٧ـ يُحالُ بينَ الكُفّارِ وبينَ تحقيقِ شَهَواتِهم وتنفيذِ أُمنياتِهم في الآخرةِ ، لأنها مُتأخِّرةٌ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلة الآتيةِ :

١ـ ما الوسيلةُ المَضْمونَةُ في التفكيرِ السّليمِ للوُصُولِ إلىٰ النّتيجَةِ الصَّحيحَةِ ؟

٢ـ ما مصيرُ الباطلِ عند مجيءِ الحقّ ؟ ولماذا ؟

٣ـ استخرجْ من آيات الدَّرْس عاقبةَ الضَّلالِ ، وعاقبةَ الهُدىٰ .

٤ـ لماذا يَفْزَعُ الكُفّارُ يومَ القيامةِ ؟ وما المكانُ القريبُ الذي يُؤخَذُونَ منهُ ؟ .

٥ـ لماذا لم يُقْبَلْ منَ الكفارِ إيمانُهُم في الآخرةِ ؟ .

٦ـ وردتْ كلمةُ « مكان » في آيتيْنِ مُتَوالِيَتَيْنِ ، وُصِفَ في إحدْاهما المكانُ بأنهُ « قريبٌ » وفي الأُخرىٰ بأنه « بعيدٌ » ، فلماذا ؟

٧ـ ما معنىٰ كلّ ممّا يلي : أَعِظُكُم بواحدة ، جِنّةٍ ، يقذفُ بالحقّ ، فَزِعُوا فلا فوْتَ ، التناوشُ ، يَقْذِفُون بالغيبِ ، أشياعِهم .

نَشاطٌ :

١ـ سجّلِ الآيةَ (٨١) مِنْ سُورةِ الإسراءِ ، واذكُرْ وجهَ الشبهِ بينَها وبينَ الآيةِ (٤٩) .

٢ ـ سجّلِ الآيتيْنِ الأخيرتَيْنِ من سورةِ غافرٍ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بينَهما وبينَ الآياتِ (٥١ـ ٥٤) ، واستخرجْ منهما سُنّةَ اللهِ في وقتِ قَبولِ الإيمانِ وعَدمِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

سورَةُ فاطِرٍ ـ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى
ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا
يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ
خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ
لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ فاطرٍ مَكّيّةٌ ، آياتُها خَمْسٌ وأَرْبعُونَ آيةً . سُمِّيَتْ بهذا الاسمِ لِوُرودِ كَلِمةِ (فاطرٍ) في الآيةِ الأُولىٰ منها .

ومَوْضوعُ هذهِ السُّورةِ هُوَ العقيدةُ . وبدأتْ بتقريرِ وَحدانيّةِ اللهِ ، وتقديمِ تَوْجيهاتٍ للنّاسِ ، وذكرَتْ مظاهرَ القُدْرةِ الإلهيّةِ في الكَوْنِ والحَياةِ والإنسانِ ، وقرَّرَتْ حقيقةَ الوَحْيِ والنُّبُوّةِ ، وذكرَتْ موقفَ الناسِ مِنَ القرآنِ ، ووَصفَتِ الجنَّةَ ونعيمَها والنّارَ وعذابَها .

معاني المُفْرداتِ :

فاطِرِ السَّمواتِ والأرضِ : خالقِهِما ومُبدعِهِما علىٰ غيرِ مِثالٍ سابقٍ .

أُولي أجنحةٍ : الملائكةُ أصحابُ أجنحةٍ .

مَثنىٰ وثُلاثَ ورُباع : جَناحان جَناحان ، وثَلاثَةٌ ثلاثَةٌ ، وأَرْبَعَةٌ أَرْبَعَةٌ .

لا مُمْسِكَ لها : لا مانِعَ لها .

أَنَّىٰ تُؤْفكُونَ : كيفَ تُصْرَفُون عَنِ الحقِّ .

لا تَغُرَّنَّكُم الحَياةُ الدُّنيا : لا تُلْهِيَنَّكُم الحياةُ الدُّنيا عَنِ الآخِرَةِ .

الغَرورُ : الشَّيطانُ المُخادِعُ .

أصحابِ السَّعيرِ : أهلِ النارِ المُعَذَّبينَ فيها .

التفسيرُ :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ .

كلُّ الحَمْدِ والشُّكْرِ والثَّناءِ للهِ عزَّ وجلَّ ، المُستحِقِّ للحَمْدِ علىٰ قُدْرتِهِ ونِعَمِهِ ، فهُوَ خالِقُ السَّمواتِ والأرضِ ومُبْدِعُهُما ، من غيرِ مثالٍ سابقٍ .

واللهُ الخالِقُ القادِرُ خَلَقَ الملائِكةَ مِنْ نورٍ ، وجَعَلَ أجسامَهُم ضَخْمَةً ، وجعَلَهُم رُسلاً بينَهُ وبينَ خَلْقِه ، يُبَلِّغونَ الأنبياءَ كلامَ اللهِ ، ويُلْهِمُونَ الصَّالحينَ ما فيهِ الخَيْرُ ، وجَعَلَ لَهُم أجنحةً ، وهُم مُتفاوتونَ في هذهِ الأجنحةِ ، فمنهُم مَنْ له جناحانِ ، ومنهُم مَنْ لَهُ ثلاثةُ أجنحةٍ ، ومِنهُمْ مَنْ لَهُ أربعةُ أجنحةٍ ، ومِنهُمْ مَنْ لَهُ أكثرُ مِنْ ذلكَ ، فجبريلُ عليهِ السّلامُ له سِتّمائةِ جناحٍ ، كما أخبرَ عَنْ ذلكَ رسولُ اللهِ ﷺ .

واللهُ القادرُ علىٰ كلِّ شيءٍ يَخلُقُ الناسَ مُتفاوِتينَ ، ويَزيدُ في خَلقِهم ما يشاءُ مِنَ الحُسنِ والجمالِ ، والعِلْمِ والفَهْمِ ، والفِطْنَةِ والذَّكاءِ ، وغيرِ ذلكَ .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢) ﴾ .

بعدَ بيانِ كَمالِ القُدرةِ يأتي الحديثُ عن نفاذِ الإرادةِ والمشيئةِ ، فالأُمورُ كلُّها بيَدِ اللهِ وحْدَهُ ، فإذا أرادَ أنْ يَمُنَّ علىٰ الإنسانِ برحمةٍ فَعَلَ ذلكَ ، ولا أحدَ يقدرُ علىٰ حَجْبِها عنهُ ، ومَنْعِها مِنَ الوُصولِ إليهِ ، سواءٌ أكانتِ الرحمةُ ماديَّةً كالرِّزقِ ، أم مَعْنَوِيَّةً كالصِّحَةِ والعِلْمِ والسَّعادةِ ، وإذا أمْسَكَ اللهُ رَحْمَةً عَنْ إنسانٍ فلا يَقْدِرُ أحدٌ علىٰ إرسالِها ، وهُوَ سُبحانَهُ العزيزُ القويُّ الغالبُ ، وهُوَ الحكيمُ في ما يُعطِي وما يَمنعُ ، لا خطأَ في فِعْلِه سُبحانَهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

لمّا كانتِ النِّعمُ كُلُّها مِنَ اللهِ ، والرَّحْمَةُ عندَه يمُنُّ بها علىٰ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، فعلىٰ الناسِ أنْ يَعرِفُوا هذا ، وقد أمَرَهُمُ اللهُ بذلكَ ، وقالَ لَهُم : يا أَيُّها الناسُ : تذكَّرُوا جميعاً نِعَمَ اللهِ عليكُم ، وهي لا تُحصىٰ ، واحْفَظُوها ، واشْكُرُوا اللهَ عليها ، واستَخْدِمُوها في ما يُرضيهِ ، وهذا أدْعىٰ للحصولِ علىٰ المزيدِ منها ، واللهُ وَحْدَه هُوَ الخالقُ الّذي خَلَقَكُم ، وهو وَحْدَه الرّازقُ الذي يَرْزُقُكم مِنَ السَّماءِ بالمَطرِ وغيرِهِ ، ويَرْزُقُكم مِنَ الأرضِ بالنَّباتِ والماءِ وغيرِهِما .

لمَّا كانَ اللهُ وحْدَهُ هُوَ الخالقُ والرَّازِقُ والمُنْعِمُ، لا شريكَ لهُ في ذلكَ ، فهُوَ وحدَهُ الإلهُ المعبودُ بحقٍّ، لا شريكَ لَهُ في الأُلوهيّةِ والربوبيّةِ ، وكيفَ يُصرَفُ المُشركون عن توحيدِهِ ، ويُشْرِكون مَعَهُ آلِهةً أُخرىٰ ؟

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ .

بعدَ تقريرِ التوحيدِ يأتي تقريرُ الرِّسالةِ ، فمُحمَّدٌ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، أوْجَبَ اللهُ علىٰ النَّاسِ الإيمانَ بهِ ، واتِّباعَهُ ، ولكنَّ الكافرينَ كَذَّبُوهُ ، ولذلكَ يُواسِي اللهُ رسولَه ﷺ علىٰ ما يَجِدُهُ مِنْهُم ، فيقولُ لَهُ : لَقَدْ كذَّبَكَ الكافرونَ مِنْ قَومِكَ وأنتَ الصَّادقُ ، فلا تيْأَسْ ، ولقد كَذَّبَ الكافرونَ السَّابقونَ رُسُلَهُمُ الصَّادقينَ ، فاصبِرْ كما صَبَرَ أولئكَ الرُّسلُ ، وإلىٰ اللهِ وحدَه تُرجعُ أُمورُ الخلائقِ جميعاً يومَ القيامةِ ، فيثيبُ المؤمنينَ ، ويُعاقِبُ الكافرينَ المُكذِّبينَ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ .

بعدَ تهديدِ الكُفَّارِ المُكذِّبين بالعذابِ يُذكِّرُ اللهُ الناسَ بالآخرةِ ، ويَدعُوهُم إلىٰ اجتنابِ الاغترارِ بالحياةِ الدُّنيا ، ويُحذِّرُهم من عَداوةِ الشيطانِ لهم ، فيقولُ لهم : لقد وَعَدَكُمُ اللهُ أنْ يَبْعَثَكُمْ لِلحسابِ والثَّوابِ والعقابِ ، وهذا آتٍ لا مَحالةَ ، لأنَّ وَعْدَهُ حقٌّ لا يتخلَّفُ ، وهو سُبحانَهُ لا يُخلِفُ المِيعادَ .

فعليكُم أنْ تَعمَلُوا لِلآخرةِ ، وإيّاكُمْ أنْ تخدَعَكُمُ الحَيَاةُ الدُّنيا بزَخارِفِها ولذّاتِها ، فإنَّها زائلةٌ فانيةٌ ، وإيَّاكُم أنْ يَخدَعَكُمُ الشّيطانُ الخَدّاعُ الغشّاشُ ، فإنَّه كاذبٌ في وُعودِهِ لكُم .

وهذا الشيطانُ عدُوٌّ ، وعداوتُه لكم قديمةٌ ، مُنذُ أبيكُم آدمَ عليهِ السلامُ ، حيثُ تعهَّدَ بإغوائِكُم ، وعليكُم أنْ تتَّخِذُوهُ عَدُوّاً لَدوداً ، وأنْ تُخالفُوه فيما يأمرُكُم به ، لأنهُ يدعُو حِزْبَهُ الّذينَ يَسْتَجيبُونَ لَهُ ، ويَسيرونَ مَعَه إلىٰ الكُفرِ والمَعاصي ، بهَدفِ إضلالِهِم وانحرافِهِم ، ليكونوا مَعَهُ يومَ القيامةِ مُعذَّبينَ في النَّارِ ، خالِدينَ فيها أَبَداً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ الملائكةَ مِنْ نُورٍ ، وأجسامُهُم ضَخْمَةٌ وهُمْ يَتفاوَتُونَ في عَدَدِ الأَجْنِحَةِ ، وَهُمْ رُسُلُ اللهِ إلىٰ رُسلِه وأنبيائِهِ .

٢ـ اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ والمَلائِكَةَ والإنسَ والجِنَّ ، لا يُعْجِزُه شَيءٌ ، وهُوَ فعَّالٌ لما يُريدُ .

٣ـ يجبُ على الناسِ تَذَكُّرُ نِعَمِ اللهِ ، وشُكْرُهُ عليها ، واستخدامُها في طاعتِهِ .

٤ـ علىٰ النّاسِ العَمَلُ للآخرةِ ، وعَدَمُ الالتهاءِ بالدُّنيا ، والحَذَرُ مِنْ عدُوِّهِمُ الأكبرِ الشَّيطانِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ أربعةَ أصنافٍ للملائكةِ مِنْ حيثُ عددُ الأَجنحةِ .

٢ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الثانيةِ حقيقةً تتعلَّقُ برحمةِ اللهِ . وأثرَها علىٰ المؤمنِ باللهِ .

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدرسِ ثلاثةَ أدلّةٍ علىٰ وَحدانيّةِ اللهِ .

٤ـ اذكُرْ تَوجيهَيْنِ وَجَّهَ اللهُ الناسَ إليهما ، ورَدَا بعدَ قولِه ﴿يا أَيُّها النَّاسُ﴾ .

٥ـ بماذا وصَفَ اللهُ الشَّيطانَ ؟ وبماذا أمرَنا اللهُ تُجاهَهُ ؟ وما مصيرُ مَن اتَّبعُوهُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذكُرْ أسماءَ خَمْسةِ ملائكةٍ وَرَدُوا في القرآنِ الكريمِ ، والسُّورةَ التي ورَدَ فيها اسمُ كُلٍّ منهُم .

٢ـ اقرأْ آياتِ قِصّةِ آدمَ في سورةِ الأعرافِ ، واستخرجْ منها عَداوةَ الشيطانِ لبني آدمَ . وسجِّلْ ما تعهَّدَ به علىٰ نَفْسه أمامَ اللهِ مِنْ إضْلالِ الناسِ .

الدرسُ التّاسِعُ والعِشرونَ

سورَةُ فاطِرٍ ـ القِسْمُ الثّاني

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ
لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ
ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

زُيِّنَ له سُوءُ عَمَلِهِ : حَسَّنَتْ له نفسُه وشيطانُه عَمَلَهُ السَّيِّءَ ، فرآهُ حَسَناً .

لا تذهبْ نفسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ : لا تُهلِكْ نَفْسَكَ تَحَسُّراً .

تُثيرُ سَحاباً : تُحرِّكُ الرِّيحُ السَّحابَ ، وتنشُرُه .

النُّشورُ : البعثُ والإحياءُ .

إليه يَصعَدُ الكلِمُ الطيِّبُ : يَتقبَّلُ اللهُ الكلامَ الطيِّبَ كالذِّكْرِ ، وقراءةِ القرآنِ .

يَمْكُرونَ السيئاتِ : يُخادِعُونَ المُؤمنينَ ، ويتآمرُون عَلَيهِمْ ، ويَعْمَلُون السّيّئاتِ .

يَبورُ : يَهْلِكُ ، ويَبْطُلُ ، ويَفْسُدُ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ تقديمِ التّوجيهاتِ للمُؤْمنينَ ، وعَرْضِ الأدلَّةِ علىٰ الوحدانيّةِ والبَعْثِ ، لِتَتحدَّثَ عن عقابِ الكافرينَ وثوابِ المُؤْمنينَ ، ومُواساةِ النَّبيِّ ﷺ علىٰ ما يُواجِهُهُ مِنْ تكذيبِ قَوْمِهِ .

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ حذَّرَ اللهُ في الآيةِ السابقةِ الناسَ من خِداعِ الشيطانِ ، لئلا يكونُوا مِنْ حِزْبِهِ ، ذَكَرَ في هذهِ الآيةِ أساسَ الجزاءِ عندَه في الآخرةِ ، فلا يَسْتَوي في ذلكَ الجزاءِ الكافرُ والمُؤمنُ .

الكافرونَ المُتَّبِعُون للشَّيطانِ لهم عذابٌ شديدٌ في نارِ جهنَّمَ ، جزاءَ كُفرِهم وضَلالِهم ، أمَّا المُؤمنون المُسْتَقيمونَ العامِلُونَ للصّالحاتِ فإنَّ اللهَ يُكْرِمهُم في الآخرةِ ، بأنْ يَغْفِرَ لهم ذُنوبَهم التي عَمِلُوها في الدُّنيا ، ويُجْزِلَ لَهُم الأجْرَ والثوابَ علىٰ الصَّالحاتِ مِنَ الأعمالِ .

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

إذا كانَ المُؤْمِنُونَ والكَافِرُونَ لا يَسْتَوُون في الجَزَاءِ والمَصيرِ في الآخِرَةِ ؛ فإنَّهم كذلكَ لا يَسْتَوُون في الدُّنيا في الأعمالِ والتصرُّفاتِ .

الكافرُ زَيَّنَتْ له نفسُه وشيطانُهُ عَمَلَهُ السَّيِّءَ ، ورآهُ حَسَناً طيِّباً ، كالكُفرِ والفِسْقِ والعِصْيانِ ، وبذلكَ لا يُمكنُ أنْ يَستوِيَ معَ المُؤمنِ المُستقيمِ الذي يعملُ الأعمالَ الصَّالحةَ .

ولذا بيَّنَتِ الآيةُ أنَّ الهُدىٰ والضَّلالَ بيَدِ اللهِ ، فهو يُضِلُّ مَنْ يشاءُ ، وهُمُ الَّذين يُؤثِرونَ الضَّلالَ علىٰ الهُدىٰ ، وهو يَهدي مَنْ يشاءُ ، وهُمُ الَّذين يَختارُون الهدايةَ لأنفُسِهم .

ولرأفةِ رَسولِ اللهِ ﷺ بالناسِ فقد كانَ يحْزَنُ علىٰ مَنْ يختارُ الكُفرَ والضَّلالَ ، فيُكَذِّبُهُ ويَرفضُ دَعْوَتَه ، لأنَّهم بذلكَ يَخْسَرُونَ ، فواساهُ اللهُ ، ودعاهُ إلىٰ أنْ يُقَلِّلَ حُزْنَهُ وهَمَّهُ وغَمَّهُ ، وقالَ له : لا تُهلِكْ نَفْسَكَ تحسُّراً عَلَيْهِمْ بسببِ كُفرِهم وخسارتِهم ، واللهُ عليمٌ بأحوالِهم وأعمالِهمُ السّيئةِ ، وسيُجازيهم عليها . وهذا كقولِه تعالىٰ : ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نفسَكَ علىٰ آثارِهم إنْ لم يُؤمِنوُا بِهذا الحَديْثِ أَسَفاً﴾ [الكهف : ٦] .

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ .

الكفارُ يُنْكِرُون البعثَ ، فتأتي الآياتُ وتُقَدِّمُ لَهُم دليلاً مِنْ واقعِ حياتِهم ، إنَّه حياةُ الأرضِ بالغَيثِ بعدَ أنْ كانتْ مَيْتَةً . فاللهُ وَحْدَه هُوَ الَّذي يُرسِلُ الرّياحَ علىٰ السَّحابِ المُشْبَعِ ببخارِ الماءِ ، وتحَرِّكُهُ حيثُ يشاءُ اللهُ ، وتنشُرُه في السّماءِ ، ويسوقُ اللهُ هذا السَّحابَ إلىٰ بلدٍ أرضُه يابسةٌ لا نباتَ فيها ، ويُنزِلُ عليها المطرَ ، فتُصْبِحُ مُخْضَرَّةً ذاتَ زَرْعٍ ونباتٍ وشجرٍ ، بعدَ أنْ كانتْ مَيْتَةً هامدةً .

وهكذا يكونُ بعثُ الناسِ ونشُورُهُم يومَ القيامةِ ، فهُم يَكونُون تُراباً في قُبورِهم ، فيُعيدُ اللهُ لهُمُ

الحياةَ بقُدْرتِهِ ، ويَخرجُونَ أحياءً مِنْ قُبورِهم ، كما خَرَجَ النَّبَاتُ مِنَ الأرْضِ بالمَطَرِ ، فلماذا يُنْكِرُ الكفارُ البعثَ وهم يُشاهِدونَ هذا الدَّليلَ عليهِ ؟

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ .

أرشدَ اللهُ إلىٰ طريقِ العِزَّةِ ، وإلىٰ طريقِ قَبولِ الأَعْمالِ الصَّالحةِ ، وعاقبةِ الأعمالِ السيئةِ .

كثيرونَ يَبحثونَ عَنِ العِزَّةِ ، لكنَّهُم يُخْطِئونَ الطَّريقَ إليها ، وقد حَصَرَ اللهُ طريقَ العِزَّةِ بعبادتِهِ وطاعتِهِ ، فقالَ : مَنْ كانَ يريدُ الوصولَ إلىٰ العزَّةِ والشَّرَفِ والمَنَعَةِ ، فعليهِ الإكثارُ من طاعةِ اللهِ ، لأنَّ العِزَّةَ للهِ وحدَهُ ، فهُوَ الَّذي يَهَبُها لعبادهِ المُؤْمِنينَ ، ويَحْرِمُ مِنْهَا الكَافِرينَ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ولله العِزَّةُ ولرسُولِهِ وللمُؤْمِنِيْنَ﴾ [المنافقون : ٨] .

واللهُ يتقبَّلُ عبادةَ المُؤْمِنينَ وطاعَتَهُمْ ، وإليهِ يَصْعَدُ الكلامُ الطيِّبُ الَّذي يَصْدُرُ عنهُمْ ، مِنْ ذِكْرٍ وتَسبيحٍ وتلاوةِ قرآنٍ وتعليمٍ وإرشادٍ . والعملُ الصالحُ الذي يَصْدُرُ عَنِ المُؤْمنينَ يرتَفعُ مَعَهُ كلامُهم الطيِّبُ ، فلا يُقبَلُ الكلامُ الطَّيِّبُ عِنْدَ اللهِ إلاَّ مَعَ العَمَلِ الصَّالِحِ ، ولا يكونُ العَمَلُ صَالحاً إلاّ إذا كانَ خالصاً للهِ ، عَنْ طريقِ رسولِ اللهِ ﷺ .

أمَّا الَّذينَ يَكيدونَ للإسْلامَ والمسلمينَ ، ويُدبِّرُونَ المكائدَ ضِدَّهُم ، ويتآمَرُونَ عليهِم ، فإنَّ مَكْرَ هؤلاءِ الكافرين يَفسُدُ ويَهلِكُ ، ويُبْطِلُهُ اللهُ ويُلغيهِ ، ولا يُنَفَّذُ في المُؤْمِنينَ ولا يُؤَثِّرُ فيهم ، لأنَّ اللهَ يَحْفَظُهم ويَحْميهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يَظلِمُ اللهُ أحداً ، وإنَّما يُجازِي كلَّ إنسانٍ بعملِهِ .

٢ـ الهُدىٰ بيدِ اللهِ ، يَهدي مَنْ يُريدُ الهُدىٰ ، وهو يُضِلُّ مَنْ يُريدُ الضَّلالَ ويَرْفضُ الهُدىٰ .

٣ـ إحياءُ الأرضِ بالنَّباتِ دليلٌ علىٰ البعثِ بعدَ الموتِ .

٤ـ العزَّةُ بيدِ اللهِ ، جعلَها اللهُ لعبادِهِ المُؤمنينَ ، ولا ينالُها الكَافِرونَ أبداً .

٥ـ كَيْدُ الأعداءِ ومَكْرُهُم يَنْقلِبُ عليهِم ، ولا يَضُرُّونَ الصَّالحينَ إلا بإذنِ اللهِ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ دليلاً علىٰ البعثِ والنُّشورِ .

٢ـ اذكُرِ الطريقَ لِنَيْلِ العِزَّةِ ، كما وضَّحَتْها الآياتُ .

٣ـ ما الصِّلةُ بينَ الكَلِمِ الطَّيبِ والعَملِ الصَّالحِ ؟

٤ـ ما عاقبةُ مَكْرِ السَّيئاتِ عندَ الأعداءِ ؟

٥ـ ما معنىٰ قولِ اللهِ لرسولِه ﷺ : ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ ؟ وما الدَّلالَةُ التي تَخْرُجُ بها مِنْهُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ في أواخرِ سورةِ الكَهْفِ آياتٌ تتحدَّثُ عن الأخْسَرينَ أعمالاً ، سَجِّلْ تلكَ الآياتِ في دفترِكَ ، واستخرجْ منها صفاتِ أولئك الأخْسَرينَ ، واذكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ الآيةِ (٨) .

٢ ـ في أواخرِ سورةِ يس آياتٌ علىٰ مَنْ أنكرَ حياةَ العِظامِ وهي رميمٌ ، وتُقدِّمُ لهم دليلاً عَليْهِ مِنَ الشَّجَرِ الأخضرِ الَّذي يجعَلُه اللهُ ناراً للوقودِ . سجِّلْ تلكَ الآياتِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ الآيةِ (٩) .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّلاثون

سورةُ فاطرٍ ـ القِسمُ الثَّالثُ

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ
وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

نُطْفَةٍ : قَطْرَةٍ مِنَ المَنِيِّ .

جَعلَكُمْ أزواجاً : جَعَلْنَاكُم ذُكُوراً وَإِنَاثاً .

يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ : يطولُ عُمُرُ الإنسانِ .

يَسيرٌ : سَهْلٌ مَيْسُورٌ .

البَحْرانِ : الماءُ المالحُ والماءُ العَذْبُ .

عَذْبٌ فَراتٌ : ماءٌ عَذْبٌ شديدُ العُذوبةِ .

مِلْحٌ أُجاجٌ : ماءٌ مالحٌ شديدُ المُلوحَةِ .

حِلْيةً : زينةً تَلْبَسُونَها ، وهي اللُّؤلؤُ والمَرْجانُ .

مَواخِرَ : تشقُّ الماءَ وهي تجري علىٰ وَجْهِهِ .

يولجُ الليلَ في النَّهارِ : يُدْخِلُ الليلَ في النَّهارِ ، فَيُنْقِصُ اللَّيلَ ويزيدُ النَّهارَ .

قِطْمِيرٍ : القِشْرةِ البيضاءِ الرَّقيقةِ ، التي تُغَلِّفُ نواةَ حبَّةِ التَّمرِ .



التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ صِفاتِ المُؤمنينَ وأعمالِهِمْ وجزائِهِمْ في مُقابلِ صِفاتِ الكافرينَ وأعمالِهِمْ وجزائِهِم ، لِتُقدِّمَ آياتٍ في الكوْنِ والحَياةِ دالةً علىٰ وحدانيَّةِ اللهِ .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

مِنَ الأدلّةِ علىٰ وَحْدَانيةِ اللهِ خَلْقُ الناسِ وتنظيمُ حياتِهم علىٰ الأرضِ ، فاللهُ خَلَقَ آدمَ أبا البشرِ عليه السَّلامُ من تُرابٍ ، وخَلَقَ ذريَّتَهُ مِنْ قَطْرَةٍ مِنَ المَنِيِّ ، واللهُ خَلَقَ الناسَ أزواجاً ؛ ذُكُوراً وإناثاً ، وزوَّجَ بعضَهم ببعضٍ ، لتستقرَّ حياةُ الإنسانِ علىٰ الأرضِ .

وما تحملُ امرأةٌ في رَحِمِها إلا بعِلْمِ اللهِ ، واللهُ قدَّرَ أعمارَ الناسِ ، فمنهُم مَنْ يُعَمَّرُ طويلاً ، ومنهُم من لا يعيشُ إلاّ القليلَ ، وكلُّ ذلكَ مُقدَّرٌ عندَ اللهِ ، لا يزيدُ ولا يَنقصُ ، ولا يَخرجُ أحدُهم عَنِ العُمُرِ الذي حدَّدَهُ اللهُ لهُ ، وهذا الأمرُ يسيرٌ سَهْلٌ علىٰ اللهِ ، وَمَنْ فعَلَ ذلك يَقْدِرُ علىٰ بعثِ الناسِ يومَ القيامةِ .

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

حياةُ الإنسانِ دالَّةٌ علىٰ وَحْدَانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، والماءُ الذي جَعَلَهُ اللهُ أساسَ الحياةِ دالٌّ على وَحْدَانيَّةِ اللهِ وقُدرَتِه أيضاً ، فاللهُ جَعَلَ الماءَ نوعيْنِ وبَحْرَيْنِ غيرَ مُتساوِيَيْنِ ، فهناكَ الماءُ العذبُ الفُراتُ الحُلوُ طيِّبُ المذاقِ ، سائغٌ شَرابُهُ وسَهْلٌ تناوُلُهُ ، وهناكَ الماءُ المالحُ شديدُ المُلُوحَةِ الّذي لا يُمكنُ تناوُلُهُ .

ومع تَبايُنِ البَحْرَينِ ، فقد جعلَ اللهُ فيهما منافعَ للناسِ ، ففيهِما السَّمكُ الطيِّبُ ، الذي هُوَ لَحْمٌ طَرِيٌّ مُفيدٌ للجسمِ ، ومِنْهُما يَستخرِجُونَ الحِلْيَةَ والزِّينةَ التي يَلْبَسُونَها ، مثلَ اللؤلؤِ والمَرجانِ وغيرِها ، ويَسْتَخْدِمُونَها في السَّفَرِ والانتقالِ ، فيَركَبُونَ السُّفُنَ علىٰ اختلافِ أحجامِها ، فتراها تَشقُّ الماءَ في سَيْرِها . والواجبُ عليهم أنْ يَشْكُروا اللهَ علىٰ هذهِ النِّعَمِ ، ويستَخدِمُوها في طاعَتِهِ .

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

ذكرَ اللهُ دليلا آخر على وَحْدانيتهِ وقُدْرتِه ، وهو تَسْخيرُهُ اللَّيلَ والنَّهار والشَّمسَ والقَمَرَ لعبادِه ، ومُلْكُهُ لهذا الكَونِ وما فيه .

فاللهُ يُدْخِلُ اللَّيلَ في النَّهارِ ، فيزيدُ النَّهارَ وينْقصُ اللَّيلَ ، وذلك في الرَّبيعِ والصَّيفِ ، واللهُ يُدْخِلُ النَّهارَ في اللَّيلِ ، فيزيدُ اللَّيلُ وينْقصُ النَّهار ، يحدث في الخريفِ والشِّتاءِ ، واللهُ سخَّر الشَّمسَ والقمرَ لمنافعِ الناسِ ، وجَعلهُما يجريان في الفضاء ، من دون توقُّفٍ أو خرابٍ ، وجعل لهُما آجالا مُحَدَّدا ينتهيانِ فيهِ وهو يومُ القيامة .

واللهُ هو المالكُ للشَّمسِ والقمرِ ، والسَّمٰوات والأرض ، ولكلِّ شيءٍ في هذا الكونِ ، وهو صاحبُ القُدرةِ المُطْلَقةِ والسُّلطانِ الشاملِ ، ويجبُ على الناسِ أنْ يُؤمنوا به وحْدهُ ، ولا يُشْرِكُوا بهِ شيئا .

والآلهةُ المزعومةُ التي يعبُدُها المُشْركون لا تملِكُ شيئ في هذه الدُّنيا ، حتى لو كانَ حقيراً تافِها كالذَّرَّةِ أو القِطْميرِ ، وهو الغِشاءُ الرَّقيقُ الذي يُغَلِّفُ نواة التَّمرِ .

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ .

المَعبودونَ منْ دونِ اللهِ لا يملكُون شيئا ؛ لأنَّ المُلْكَ كلَّه للهِ وحدَهُ ، وهُم عاجزونَ عَنْ دَفْعِ ضُرٍّ أو جلْبِ نَفْعٍ لِعابِديهم ، فلو دَعَاهُم عابدُوهُمْ ما سمعُوا دُعاءَهُمْ ، ومنْ سَمعَ منهمُ الدُّعاءَ لم يستَجبْ للدّاعين لِعجْزِهِ عن النَّفْعِ والضُّرِّ .

ويومَ القيامة يكفُرونَ بِهِمْ ، ويتبرَّأُون منْ شِرْكِهِم ، ويتَخلّونَ عَنْهُمْ ، فهؤلاءِ المُشركونَ خاسِرونَ في الدُّنيا والآخرة .

وبعدَ تقريرِ تلكَ الحقيقةِ يقولُ اللهُ لرسوله ﷺ : لا يُخبِرُكَ عن أمْرِ العابدين لغيرِ اللهِ ومَنْ عبدوهُم يومَ القيامةِ ، إلا عالِمٌ خبيرٌ بهمْ ، وهو اللهُ الذي لا تخفى عليه خافيةٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلْقُ الناسِ وتطوُّرُ أحوالِهم في حياتِهم دليلٌ علىٰ وَحْدَانيّةِ اللهِ وقُدرتِهِ .

٢ـ حدَّدَ اللهُ أعمارَ الناسِ ، ولا تطولُ أعمارُهم ولا تنقُصُ إلا بإذنِ اللهِ .

٣ـ سخَّرَ اللهُ البحارَ المالحةَ والمياهَ العذبةَ لمنافعِ الإنسانِ ، وعليهم شُكْرُ اللهِ علىٰ تلكَ النِّعَمِ .

٤ـ تعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ ، وتداخُلُهُما في الصَّيفِ والشِّتاءِ دليلٌ علىٰ وحدانيّةِ اللهِ وقُدرتِهِ .

٥ـ اللهُ هو المالكُ الرّازقُ المُنْعِمُ وحدَهُ ، ولا يَملكُ غيرُه شيئاً .

٦ـ المَعْبُودونَ مِنْ دونِ اللهِ ضِعافٌ عاجِزُونَ ، ويتبرَّأونَ مِنْ عابديهم يومَ القيامةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ كُلٍّ ممّا يأتي : مِلْحٌ أُجاجٌ ، حِلْيَةٌ ، مَواخِرَ ، قِطْمير .

٢ـ ا تخرجْ مِنَ الآيةِ الأولىٰ حقيقةً حولَ الأعمالِ .

٣ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الثانيةِ أربعَ منافعَ يأخذُها الناسُ مِنَ البحارِ .

٤ـ نَفَتِ الآياتُ عَنِ المَعْبُودينَ بالباطلِ ثلاثةَ أشياءَ ، اذكُرها .

٥ـ كيفَ يكونُ تعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ وإيلاجُ أَحَدِهما في الآخَرِ ؟

٦ـ ما نهايةُ الصِّلةِ بينَ العَابدينَ والمَعْبُودينَ يومَ القيامةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ استخرجْ من سورةِ الرحمنِ حديثَها عن البَحْرَيْنِ وما يَخرجُ منهما مِنَ اللُّؤلُؤِ والمَرجانِ ، واذكُرْ وجْهَ الشَّبهِ بينَ تلكَ الآياتِ الآيةِ (١٢) .

٢ـ سجّلِ الآيتَيْنِ (٥ـ٦) من سورةِ الأحقافِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بينَهما وبينَ الآيةِ (١٤) ، واستخرجْ منهما عَجْزَ المَعبودينَ وبراءَتَهُمْ مِنْ عابدِيهم .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الحادي والثَّلاثونَ

سورةُ فاطِرٍ - القِسْمُ الرَّابعُ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ
حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا
ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾

معاني المُفْردات :

الفقراءُ إلىٰ اللهِ	: المُحتاجون إلىٰ اللهِ .
عزيزٌ	: صَعْبٌ أو مُمْتَنِعٌ .
لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرىٰ	: لا تَحْمِلُ نفْسٌ إثمَ أُخْرىٰ .
مُثْقَلَةٌ	: مُذْنِبَةٌ تَحْمِلُ ذُنُوباً كثيرَةً .
الظِلُّ	: ظِلُّ الأشياءِ الظَّليلُ .
الحَرورُ	: حرُّ الشَّمسِ الشَّديدُ .
نذيرٌ	: يُخَوِّفُ النّاسَ مِنَ العذابِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ حديثِها عَنْ بَعْضِ آياتِ اللهِ الكونيّةِ ، الدالَّةِ علىٰ وحدانيّةِ اللهِ وقُدْرته ، إلىٰ الحديثِ عَنِ النّاسِ ، وتقريرِ فَقْرِهم وحاجَتِهم إلىٰ اللهِ الغنيِّ الحَميدِ ، ومَسْؤوليّتِهِمْ ومُحاسَبَتِهم

علىٰ أعمالهم ، وتُبيّنْ حقيقةً مُطلقةً ، وهي عدمْ استواءِ المُؤمنينَ والكافرين .

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾

يْخاطِبُ اللهُ البشرَ جميعا ، ويقولُ لهُم : أنتمْ الفقراءُ المْحتاجون إلىٰ الله في كلِّ شيء ، ولايُمكنْ أنْ تستغْنُوا عنهُ لحظةً واحدةً . أمّا اللهُ فهو غنِيٌّ عنكُمْ وعَنْ جَميع المخلوقين ، لأنهُ الخالقُ القادرُ المُستَغْني بنفْسِهِ عمّا سِواهُ ، وهْو الحَميدُ المْسْتحقُّ للحَمْدِ ، لِمَا يُفيضْ علىٰ عباده من النِّعم ، والواجبُ عليهم أن يَشكُروه عَلَيْها

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾

بيّن اللهُ غناهُ وقْدرته علىٰ استبدالِ الناس ، وخاطبهُم قائلاً : لو شاء اللهُ لأفناكُمْ وأذْهَبَكُمْ وأتىٰ بقوم آخرين مكانكُمْ ، يكونون أطْوعَ منكُمْ ، وهذا ليسَ صعْب ولا مُمْتَنِعا علىٰ اللهِ ، لأنَّه علىٰ كلِّ شيء قديرٌ ، ولا يُعجِزُهُ أيُّ شيءٍ ، وهو العزيزُ الذي لايُغْلَبْ .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

اللهُ القادرُ على كلِّ شيء ، عادلَ مع عباده لا يظْلمُ أحدا ، ومنْ عدْلِهِ أنْ يُحاسِبَ كلَّ إنسان علىٰ عمله . ولا يْحمِّل إنسانا ذنب إنسان آخر وإثْمهُ ، فكلُّ نفسٍ مُذْنِبَة تحْمِلُ إثمَها الذي اقْترَفَتْهُ ، ولا تحْملُ نفسٌ ذنبَ نفْسٍ أخرىٰ وحمْلها

وإنْ طَلبَتْ نفْسٌ مُثْقلةٌ بالذُّنوب والأوزار والآثام مُساعدة نفسٍ أُخرىٰ لها في حَمْلِها ، ودعَتْها لتحْمِلَ جُزء من آثامها ، فإنّها لنْ تستجيب لها ، ولنْ تحْمِل عنها شيئا ، حتىٰ لو كانت قريبة لها في النّسب ، كأب أو ابن أو أخ أو زوْج . لأنَّ كلَّ إنسانٍ مشغولٌ يومَ القيامة بنفْسه ، وله مِنَ الهمِّ والخوف ما يكفيهِ ويُغنيه .

وتذكُّرُ الحسابِ الرّهيب يوم القيامة يدْعو الإنسان إلىٰ الاستقامة وتَرْكِ المعاصي ، والاستفادة من الإنذار والتّخويف ، لكنَّ الكُفار لا يتأثَّرون ، ولا ينْفَعْهُم إنذارٌ ، ولذلكَ قالَ اللهُ لرسولِهِ ﷺ : لا يتّعظُ بما جئْت به إلاّ أُولو الأبْصارِ المؤمنون ، الذينَ يَخْشوْن ربّهُمْ ويخافون مِنْ عذابِهِ ، والّذينَ يحرِصُون علىٰ إقامـة الصلاة ، ويُحْسنُون أداءَها .

ولمّا كان اللهُ غنيّا عَنِ العالمينَ ، فإنَّ مَنْ تزَكّىٰ وتَطَهّرَ عن الذنوب وعمِلَ صالحا إنما يتزَكّىٰ لنفْسه ، ونفْعُ ذلكَ يعودُ عليه في الدُّنيا والآخرةِ ، ومصيرُ النّاس جميعا ومرجعُهُم إلىٰ اللهِ ، حيث يُحاسِبهُم علىٰ أعمالهم ، فيُثيبُ المُطيع المُتزكّي ، ويُعاقبُ المُعرِض المُذنِب .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾ .

يُفرِّقُ اللهُ تعالىٰ بينَ المُؤمنينَ المُستَجيبينَ للإنذارِ والكافِرينَ الرَّافِضينَ لَهُ ، فهُمْ لا يَتَساوَوْنَ في الصِّفاتِ ولا في الأفعالِ ولا في المصيرِ ، وقد ضربَتِ الآياتُ الأمثالَ للفريقَيْنِ ، لتأكيدِ نَفْيِ تساويهِما ، فكما لا يَستوي الأعمىٰ والبصيرُ ، كذلك لا يستوي المُؤمنُ المُهْتَدي والكافرُ الضالُّ ، وكما لا تستوي الظلماتُ والنّورُ ، كَذلِكَ لا يَسْتوي الكُفرُ والإيمانُ ، وكذلك لا يَسْتوي ثوابُ المُؤمِنينَ وحُسْنُ جزائِهِمْ ، الّذي هو كالظِّلِّ الداعي إلىٰ الرَّاحةِ والنعيمِ ، وعقابُ الكافرِ والعاصي ، الذي هو كالرِّيحِ الحارَّةِ المُؤذيةِ ، التي تَلْفَحُ الوُجوهَ .

المُؤمنُ سميعٌ بصيرٌ ، يَمْشي في النُّورِ ، علىٰ صراطٍ مستقيمٍ ، حتىٰ يستقرَّ في الجنَّاتِ ذاتِ الظِّلالِ الوارفةِ الظَّليلةِ ، والكافرُ أصمُّ أعمىٰ ، يَمْشِي في ظلماتِ الكُفرِ لا يَخرجُ منها ، حتىٰ يستقرَّ في نارِ جهنَّم حيثُ الحَرورُ والسَّمومُ .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

المُؤمنونَ أحياءٌ والكُفّارُ أمواتٌ ، ولا يَستوي الأحياءُ والأمواتُ . وليسَ المُرادُ بالحياةِ والموتِ الصُّورةَ المادِّيَّةَ المَعْروفةَ ، وإنَّما المرادُ الصُّورةُ المَعْنَويةُ ، فالمُؤمِنونَ أحياءٌ في قُلُوبِهِم ونُفُوسِهِم وأرْواحِهِمْ وَمَشاعِرِهِمْ ، والكُفّارُ أمواتُ القلوبِ والنفوسِ والمشاعرِ . ولِذلكَ لا يَستَوُونَ .

وإنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يشاءُ إسماعَهُ ، وهو الرّاغبُ في الاستفادةِ والهدايةِ ، فَيَسْمَعُ الحُجَّةَ ويَقْبَلُها ويُؤمنُ . أمَّا المُعْرِضُون عن الهُدىٰ فإنَّ اللهَ لا يُسْمِعُهم ؛ لأنَّهم لا يُريدونَ أنْ يَسْمَعُوا أو يَعتبرُوا ، وهؤلاءِ كالمَوتىٰ في قبورِهِمْ ، لا يستفيدونَ مِنْ غيرِهِمْ .

ويُخبِرُ اللهُ رسولَه ﷺ أنَّه لا يَسْتطيعُ إسْماعَ الكُفّارِ المُعْرِضينَ وهِدايَتَهُمْ ؛ لأنَّهُم لا يُريدونَ أنْ يَسمَعُوا أو يَهْتَدُوا ، ومَهَمَّتُهُ ﷺ محصورةٌ في الإنذارِ ؛ يُبَلِّغُ الناسَ شَرْعَ اللهِ ، ويُنْذِرُهُمْ عذابَه ، أمَّا الهُدىٰ والضَّلالُ فإنَّه بيدِ اللهِ وَحْدَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الناسُ جَميعاً فُقَراءُ مُحْتَاجُونَ إلىٰ اللهِ ، لا يَستغنُونَ عنهُ لحظةً ، وهو غَنيٌّ عن خَلْقِهِ جميعاً .

٢ـ المسؤوليةُ فرديةٌ في يومِ القيامةِ ، فلا يُحَمَّلُ إنسانٌ ذنبَ آخرَ ، ولا يُساعِدُ شخصٌ آخرَ .

٣ـ العبادةُ والاستقامةُ يعودُ نَفْعُها على صاحبِها ، واللهُ لا يستفيدُ منها .

٤ـ لا يستفيدُ مِنَ الإنذارِ والدَّعوةِ ولا يستجيبُ للحقِّ إلاّ المُؤمنونَ الصّالِحونَ .

٥ـ لا يستوي المُؤْمِنونَ والكافِرونَ في صِفَةٍ أو فعلٍ أو مَصيرٍ .

٦ـ الكافرُ أعمىٰ أصمُّ مَيِّتُ القلبِ ، والمُؤمنُ سميعٌ بصيرٌ حيُّ القَلْبِ ، ولِذلكَ يَسْتَجيبُ للحقِّ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماذا قالَ اللهُ للناسِ في ندائهِ لهم : ﴿يا أيُّها النّاسُ . . .﴾ ؟

٢ـ ماذا يكونُ ردُّ القريبِ إذا طلبَ منه قريبُهُ يومَ القيامةِ حَمْلَ ذنوبِهِ مَعَهُ ؟

٣ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ صِفةَ الذين يَقْبَلُونَ الإنذارَ من رسولِ اللهِ ﷺ .

٤ـ اذكُرْ أربعةَ أمثلةٍ مُتقابلةٍ ذكرَتْها الآياتُ تَنْفي المُساواةَ بينَ المُؤْمِنينَ والكُفّارِ .

٥ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ الشيءَ الواجبَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ القيامُ به ، والشيءَ الذي لا يَقْدِرُ عليهِ .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلِ الآياتِ (٢٤ـ٢٧) من سورةِ عَبَسَ ، والآيةَ قبلَ الأخيرةِ من سورةِ لُقْمانَ ، واذكُرْ وجْهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ هذهِ الآياتِ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ آياتٍ من سورةِ المُرسلاتِ تَتحدَّثُ عن ظلِّ أهلِ النارِ .

٣ـ سجِّلِ الآيةَ (١٢٢) من سورةِ الأنعامِ في دفترِكَ ، واستخرجْ منها صفاتِ المؤمنِ والكافرِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ الآياتِ (١٩ـ ٢٢) مِنْ سورَةِ فاطِرٍ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورةُ فاطرٍ - القِسْمُ الخامِسُ

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

خلا فيها نذير : مضىٰ مَنْ يُنْذِرُها العذابَ مِنَ الرُّسُلِ وأتباعِهِمْ .

الزُّبُرِ : الكُتبِ التي أنزلَها اللهُ علىٰ رُسلِهِ ، وهي جَمْعُ زَبورٍ .

نكير : إنكاري عليهم وعِقَابِي لَهُمْ .

جُدَدٌ : طرقٌ مختلفةٌ في الجبالِ ، جمعُ جادَّة وهي الطَّريقُ .

غرابيبُ سودٌ : سودٌ شديدةُ السَّوادِ ، جَمْعُ غِرْبيبٍ

الأنعام : الإبلِ ، والبقرِ ، والغَنَمِ .

لن تبورَ : لن تَكْسِدَ وتَهْلِكَ .



التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ نفْي تساوي المُؤْمِنين والكافرينَ ، وضرْبِ الأمثلةِ علىٰ ذلك ، إلىٰ الحديثِ عن الرُّسُلِ المُنْذرينَ ، وذِكْرِ بعضِ آياتِ اللهِ ، والثناءِ علىٰ العلماءِ الَّذين يَخْشَوْنَ اللهَ ، ويَلْتَزِمُونَ بكتابِهِ .

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

يُخبرُ اللهُ نبيَّهُ ﷺ أَنَّهُ أرسلَهُ بشيرا ونذيرا ، واختارَهُ رسولاً للعالَمين جميعاً ، وأنزلَ عليه القرآنَ ، وجعَلَ رسالتَهُ هي الحقّ ، وأمرهُ أنْ يُبلِّغَ الناسَ الرِّسالةَ ، ويُبَشِّرَ المُطيعين بالجنةِ ، ويُنذر المُكذِّبينَ العذابَ ، وَهُو ليسَ أوَّل نذير ، فقد بعثَ اللهُ أنبياءَ قبلَهُ ، وجعلَهُمْ مُبشِّرينَ ومُنْذِرينَ ، وما مِنْ أُمةٍ إلا بعثَ اللهُ فيها رَسولاً نذيراً ، وجَعَلَ رسولهُ مُحمّداً ﷺ خاتَمَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ .

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ مواساةٌ وتسليةٌ للرَّسولِ ﷺ ، فهو ليسَ الوحيد الذي كَذَّبَهُ قومُهُ ، فقدْ بعثَ اللهُ قبلَهُ رُسُلاً إلىٰ أقوامِهم ، فكَذَّبُوهُمْ وكفرُوا بِهِمْ ، بالرَّغم من أنَّهم جاؤوهُمْ بالآياتِ البيِّناتِ ، والبراهينِ القاطعةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أنزلَ عليهم كُتُباً كالتوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ ، وهي كلُّها كُتُبُ اللهِ الصادقةُ ، لأنَّها حقٌّ ونورٌ .

وقد عاقبَ اللهُ المُكذِّبين السَّابقينَ ودمَّرَهُم ، وكان إنكارُهُ علَيْهِمْ شديداً ، وتعذيبُهُ لهُمْ أليماً ، وهذا تهديدٌ لكفارِ قُريشٍ المُكذِّبينَ للنَّبيِّ ﷺ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

كيفَ يكفرُ هؤلاءُ باللهِ ، ويُكذِّبون رُسُلهُ ﷺ ، والآياتُ الدالَّةُ علىٰ وحْدانِيّتِهِ وقُدرتهِ كثيرةٌ حولَهمْ ؟ ويَلْفِتُ اللهُ نظرَ كلِّ إنسانٍ إليه ، ويقولُ له : ألَمْ تعلَمْ قُدرةَ الله علىٰ خَلْقِ الأشياءِ المتعَدِّدة المُتنوِّعةِ ذاتِ الأصلِ الواحدِ ؟ فقد أنزل اللهُ الماءَ مِنَ السَّحابِ ، وخَلَقَ منهُ النباتاتِ والزروعَ ، والثمارَ المُختلفةَ في ألوانِها وأجناسِها وأشكالِها وطُعومِها وروائِحِها ، منها الأصفرُ والأخضرُ والأحمرُ والأسودُ والأبيضُ وغيرُ ذلكَ . مَعَ أنَّها كلُّها تُسقىٰ بماءٍ واحدٍ .

كذلك خَلَقَ اللهُ الجبَالَ مُخْتَلِفَةَ الألْوانِ ، وجعلَ فيها طُرُقاً مُخْتَلِفةَ الألوان كذلك ، منها طرقٌ

بيضٌ ، وطرقٌ حُمْرٌ ، وطرقٌ سُودٌ غرابيبُ شديدةُ السّوادِ وهذا التنوُّعُ في ألوانِها وصفاتِها يدلُّ علىٰ قُدْرةِ اللهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ومِنَ الآياتِ كذلك اختلافُ الألوانِ ، وليسَ هذا في الثّمراتِ والجبالِ فَقَطْ ، فالنَّاسُ مُخْتَلِفونَ في ألوانِهِمْ ، فيهِمُ الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبَيْنَ ذلكَ ، والدوابُّ مُختلفةُ الألوانِ ، والأنعامُ ـ وهي الإبلُ والبقرُ والغنمُ ـ مُخْتَلِفَةُ الألوانِ كذلك .

واختلافُ هذهِ المَخْلُوقاتِ الكثيرةِ في ألوانِها وأصْنافِها دليلٌ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ وقُدرتِهِ ، ويجبُ علىٰ الناسِ التفكُّرُ فيها ليزدادُوا إيماناً باللهِ ، وكلّما زادَ الإنسانُ علْماً بها زادَ إيماناً باللهِ وَخَشْيةً له ، ولذلك كانَ العلماءُ ـ علىٰ اختلافِ تخصُّصاتِهم الشرعيّةِ والمادّيّةِ ـ أكثرَ الناسِ خَشْيةً وخوفاً منهُ ، وذِكْراً لهُ وإقبالاً عليهِ ، فإذا لَمْ يَخْشَوا اللهَ فليسُوا بعلماء . لأنَّ العِلمَ يَستلزِمُ الخَشيةَ للهِ ، وهم يَخْشَونَ اللهَ لعِلْمِهِمْ بأنّه عزيزٌ قويٌّ يُعاقِبُ منْ عَصاهُ ، وأنّه غفورٌ يغفرُ لمَنْ تابَ وأنابَ ، وبذلكَ يَجْمعُونَ بيْنَ الخوْفِ منهُ لأنّه عزيزٌ ، والرَّجاءِ فيما عندَهُ لأنّه غفورٌ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

العلماءُ العامِلونَ يَخْشَوْنَ اللهَ ، وهم يُكثِرُون مِنَ الأعمالِ الصالحةِ ، يتقرَّبُون بها إلىٰ اللهِ ، ومِنْ هذهِ الأعمالِ الجليلةِ : إكثارُهُمْ من تلاوةِ القرآنِ ، وإقامتُهمْ للصّلاة ، وإنفاقُهُمْ منْ رزْقِ اللهِ علىٰ المُحتاجينَ سِرّاً وجَهْراً ، وهُم بذلكَ يرْجُونَ التّجارةَ الرّابحة ، وهي الجنّةُ ونعيمُها .

وإنَّ اللهَ يتقبَّلُ عبادَتهُم ويُحقّقُ لهُمْ رجاءَهُمْ ، فيُوفّيهمْ الأجْرَ والثّوابَ علىٰ ما عَمِلُوا ، الحسنةَ بعَشْرِ أمثالِها ، إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ ، ويزيدُهُمْ بعدَ ذلكَ منْ فضْلِهِ وإنعامه ، وهو الغفورُ للذّنوبِ ، الشّكورُ الذي يَقبلُ القليلَ مِنَ العَملِ الخالصِ ، ويُثيبُ عليهِ الثّوابَ الجزيلَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ بعثَ اللهُ لكلِّ قومٍ مِنَ السّابقينَ رسُولاً ، وجعَلَ مُحَمَّداً ﷺ خاتَمَ الأنبياءِ والمُرْسَلِينَ .

٢ـ تكذيبُ الأنبياءِ والعلماءِ صفةٌ ملازِمةٌ للأعداءِ ، وبذلك استحقُّوا العذابَ مِنَ اللهِ .

٣ـ اختلافُ الألوانِ في كلِّ ما خَلَقَ اللهُ ، مِنَ الثِّمارِ والجبالِ والدَّوابِّ والناسِ دليلٌ على وَحْدَانيتِهِ .

٤ـ كُلَّما ازدادَ الإنسانُ عِلْماً ازدادَ عَمَلاً وخَشْيَةً للهِ ، ومَن لم يَخْشَ اللهَ لم يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ .

٥ـ الصَّالحُونَ يُكثِرُونَ مِنَ العباداتِ مُخْلِصينَ للهِ ، يَرْجُونَ بها الجنَّةَ ونَعيمَها .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا وَصَفَ اللهُ رسولَهُ ﷺ بأنَّه بشيرٌ ونذيرٌ ؟

٢ـ اذكُرْ أسماءَ أربعةِ أشياءَ ذكَرَتْها الآياتُ مُختلفةِ الألوانِ ، وما دليلُ ذلك ؟

٣ـ ما معنىٰ كُلٍّ ممّا يأتي : الزُّبُرُ ، نَكير ، جُدَدٌ ، غرابيبُ سودٌ ؟

٤ـ لماذا يكونُ العلماءُ أكثرَ الناسِ خَشْيةً للهِ ؟

٥ـ سجِّلْ ألوانَ عشرةٍ مِنْ أصنافِ الفواكهِ مُخْتَلِفَةَ الألوانِ .

٦ـ اذكُرْ ثلاثةَ أعْمَالٍ وعِبَاداتٍ جَليلةٍ تَصدُرُ عَنَ الّذينَ يَرْجُونَ تجارةً لن تبورَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتُبِ الكُتُبَ الأربعةَ التي يجبُ الإيمانُ بها مُفَصَّلاً ، واكتُبْ اسمَ النبيِّ الذي أُنزِلَ كلُّ كتابٍ عليهِ .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ آيةً من أوائلِ سورةِ الرَّعْدِ تتحدثُ عن اختلافِ الثمارِ مَعَ أنَّها تُسقىٰ بماءٍ واحدٍ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ فاطِرٍ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا
يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

مُصَدّقاً لما بينَ يَدَيْهِ	: القرآنُ متوافقٌ مع الكُتُبِ النازلةِ قبلَهُ .
أَوْرَثنا الكتابَ	: أعطَينا القرآنَ ميراثاً للأمةِ المسلمةِ .
ظالمٌ لنفسهِ	: رجَحَتْ سيِّئاتُهُ علىٰ حسناتِهِ .
مُقْتصِدٌ	: تساوَتْ سيئاتُه مع حسناتِه .
سابقٌ بالخيراتِ	: رجَحَتْ حَسناتُه علىٰ سيئاتِه .
يُحلَّوْنَ فيها من أساورَ	: يَلبسُونَ فيها الأساورَ في أيْدِيهِم .
الحَزَنَ	: الخَوْفَ من مَخاطِرِ المُستقبلِ .
دارَ المُقامةِ	: دارَالإقامةِ الدائمةِ وهي الجنَّةُ .
نَصَبٌ	: تعَبٌ .
لُغُوبٌ	: إعياءٌ شديدٌ .



التفسير :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ بعضِ آياتِ اللهِ الدالّةِ علىٰ وحْدانيّته وقُدْرتِهِ ، لتتحدّثَ عن وِراثةِ الأمةِ المُسلمةِ للقرآنِ ، وما خصّها اللهُ بهِ من فضْلٍ .

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ .

يقولُ اللهُ لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : إنَّ الّذي أنزلناهُ هُو الحقُّ الثابتُ ، وهو مُصَدِّقٌ ومُوافقٌ للكُتُبِ السَّابقةِ مثلِ التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ ، ومُتفقٌ معَها في أُمورِ العقيدةِ ، لأنَّها كلَّها من عِنْدِ اللهِ ، وتدعُو إلىٰ توحيدِ اللهِ .

واللهُ أحاطَ عِلْماً بكلِّ شيءٍ ، ويعلَمُ كلَّ شيءٍ عن عبادِهِ ، سواءٌ أكانَ باطناً خَفيّاً أم ظاهِراً عَلَنياً . وَهُوَ بَصيرٌ بهِمْ ، يَراهُم أينما كانُوا .

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ .

القرآنُ الذي أنزلَه اللهُ علىٰ نبيِّهِ مُحمّدٍ ﷺ أورثَهُ الأمّةَ المُسلمةَ مِنْ بعدِه ، واختصّها بحَمْلِهِ . وهذهِ الأمّةُ اصْطَفاها اللهُ من بين سائرِ الأممِ ، وفضّلها علىٰ غيرِها ، لما عِندَها من الرّسالةِ ، كما قالَ تعالىٰ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ووراثتُهُم للقرآنِ مُتفاوتةٌ ، فهم ليسُوا علىٰ مُستوىً واحدٍ في الالتزامِ بهِ ، وقد ذكرتِ الآيةُ الكريمةُ أقسامَهم :

- المُسلمُ الظّالمُ لنفسِهِ : وهو الّذي ظَلَمَ نفسَهُ بتجاوُزِه الحدَّ ، وهو المُقصّرُ في أداءِ بعضِ الواجباتِ ، والمُرتكبُ لبعضِ المُحرّماتِ .
- المسلمُ المُقْتَصِدُ : وهو المتوسّطُ في أعمالِه ، إذ يُؤدّي الواجبات فَقَطْ ، ويَتْرُكُ السُّنَنَ والنَّوافلَ والمُستحبّاتِ ، ويَتْرُكُ المُحرّماتِ فقطْ ، لكنّه يفعلُ المكروهاتِ .
- المسلمُ السّابقُ بالخيراتِ : وهوَ الحريصُ علىٰ فِعْلِ الواجباتِ والمُستحبّاتِ والسُّنَنِ ، وعلىٰ تَرْكِ المُحرّماتِ والمكروهاتِ وبعضِ المُباحاتِ ، وهوَ يَتْلُو القرآنَ باستمرارٍ ، ويعملُ به دائماً .

وأفضلُ الأصنافِ الثلاثةِ هو السّابقُ بالخيراتِ بإذنِ اللهِ ، فهذا من المُقرّبينَ عندَ اللهِ ، الفائزينَ بأعلىٰ المنازلِ في الجَنّةِ ، والمُقتصِدُ في الجنةِ ، لأنّهُ تساوتْ سيّئاتُهُ معَ حسَناتِهِ ، والظّالمُ لنفسِهِ في

النّار . إذا رجحتْ سيئاتُهُ علىٰ حَسناتِهِ . لكنّه لا يَخْلُدُ فيها ، وإنّما يخرجُ منها إلىٰ الجنَّةِ برحمةِ اللهِ تعالىٰ .

والسّابقُ بالخيراتِ لَمْ يفعلْ ذلك إلا بفضْلِ الله وتوفيقه ، ولذلكَ عدَّتِ الآيةُ ذلكَ فَضْلاً كبيراً عظيماً منَ اللهِ عليْه .

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

هؤلاءِ العبادُ من أُمّةِ مُحمَّد ﷺ الذين اصطفاهُمُ اللهُ وأورثهَمُ القرآنَ ، حَسَّنَ اللهُ جزاءَهم يومَ القيامة ، حيثُ يُدْخِلُهُم جنّات عدْنٍ ، منعَّمينَ مُكرَّمينَ ، يتزيّنونَ بالحُلِيِّ الجميلةِ ، ويَضَعونَ في أيديهم الأساوِرَ منْ ذهبٍ ، ويلْبَسُونَ لملابسَ الحريريَّةَ النّاعمةَ .

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

حين يستقرُّ المُؤْمنون في جنّاتِ عَدْنٍ يَحْمدُونَ اللهَ ، ويقولونَ : الحمدُ والشكرُ للهِ الكريمِ ، الذي أنعمَ علينا ، وأذهبَ عنا الحزنَ ، وأزالَ عنا الخوْفَ ، وأراحنا من هُمُومِ الدُّنيا والآخرَةِ ، فقد كُنّا في الدُّنيا خائفينَ منَ النارِ ، فوَقانا عذابَها ، وكُنَّا راغبين في الجنّةِ ، فأدْخلَنا اللهُ فيها ، وغَفرَ لنا ذُنوبَنا لأنَّهُ غفورٌ ، وتقبّلَ منّا عبادَتَنا القليلةَ لأنَّهُ شَكورٌ .

وها نحنُ مُنعَّمُونَ في دارِ الإقامة في الجنّةِ ، إقامتُنا فيها دائمةٌ في النَّعيمِ المُقيمِ ، وما دَخَلْناها إلاّ بفضْلِ الله ورحمته ، ولا يُصيبُنا فيها تعَبٌ في الأبدانِ ، ولا مَللٌ وكَلَلٌ في الأرواحِ والأعصابِ ، لأنَّهُ لا تكليفَ ولا عَملَ فيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القرآنُ مُصدّقٌ للكُتُبِ السّابقةِ التي أنزلَها اللهُ تعالىٰ علىٰ أنبيائِه عليهِمُ السلامُ .

٢ـ أورثَ اللهُ الأمّةَ الإسلاميّةَ القرآنَ لأنها خَيْرُ أمةٍ أُخْرِجتْ للناسِ .

٣ـ المسلمونَ مُتفاوتونَ في العبادةِ ، ما بينَ الظالمِ لنفْسِهِ ، والمُقْتَصِدِ والسّابقِ بالخَيْراتِ .

٤ـ لا يجوزُ إخراجُ المُسْلمِ منَ الدِّينِ بسببِ تقصيره ومعاصيهِ إذا كانَ مُؤْمِناً ، فهو مؤمنٌ بإيمانه ، فاسقٌ بمَا ارْتَكبَهُ مِنْ كبائرِ الذُّنوبِ .

٥ـ علىٰ المُسْلمِ الصّالحِ أنْ يحرِصَ علىٰ أنْ يكونَ سابقاً بالخيْراتِ ، لينالَ أعلىٰ الدَّرجاتِ في الجنةِ .

٦ـ القرآنُ هو الحقُّ ، فَعلَينَا اتّباعُهُ بعيداً عن المَذاهبِ المُنْحَرِفَةِ ، والعَقائِدِ الزّائفةِ ، والمِلَلِ الباطِلَةِ في القَديمِ والحَديثِ .

٧ـ من صُوَرِ نَعيمِ المُؤْمنينَ في الجَنَّةِ لباسُهُم أساورَ الذَّهبِ وثيابَ الحريرِ ، وقد كانتْ مُحَرَّمةً عليهم في الدُّنْيا .

٨ـ يَحْمَدُ المُؤمنونَ ربَّهُم في الجنَّةِ ، عندما يُقارنُون بينَ حالِهم في الدُّنْيا وحالِهم في الجَنَّةِ .

٩ـ الدُّنيا دارُ تَعَبٍ وخَوْفٍ وخَشْيَةٍ ، والجَنَّةُ دارُ نعيمٍ وسُرورٍ وسعادةٍ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الأمرُ الذي يَتّفِقُ فيهِ القرآنُ مع التّوراةِ والإنجيلِ ؟ ولماذا ؟

٢ـ اذكُرْ أقسامَ المُؤمنينَ الثلاثةَ بالنسبةِ لالتزامهِم بأحكامِ القرآنِ .

٣ـ ماذا يُحَلَّىٰ المُؤمنونَ في الجنَّةِ بأيديهم ؟ وماذا يَلبَسُونَ مِنَ الثيابِ ؟

٤ـ ما معنىٰ دارِ المُقامةِ ؟ ولماذا أُطلِقَتْ علىٰ الجَنَّةِ ؟

٥ـ ما الَّذي أذهبَهُ اللهُ عَنِ المُؤمنينَ في الجنَّةِ ؟ وما الَّذي لا يَمَسُّهُم فيها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ علاقةَ القرآنِ بالتّوراةِ والإنجيلِ اللّذيْنِ معَ اليهودِ والنصارىٰ اليومَ .

٢ـ اذكُرِ الحديثَ الصحيحَ في تحريمِ الحريرِ علىٰ الرّجالِ في الدُّنيا ، وحِلِّهِ لهم في الآخرةِ واكتُبْهُ في دفترِكَ .

٣ـ سجِّلِ الآياتِ (٢٥ـ٢٨) من سُورةِ الطُّورِ ، واستخرِجْ منها اعترافَ أهلِ الجَنَّةِ بما كانُوا عليهِ مِنْ خَوْفٍ في الدُّنْيا .

٤ ـ اعملْ لوحةً فيها ثلاثةُ أعمدةٍ ، للظّالمِ والمُقْتَصِدِ والسَّابقِ بالخَيْراتِ ، من حيثُ الأعمالُ التاليةُ : الصَّلاةُ وقراءةُ القرآنِ وعملُ الخيرِ . وضَعْهَا علىٰ مَجلَّةِ المدرسةِ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ فاطِرٍ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ
نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا
نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن
نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا
مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن
يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **لا يُقضَىٰ عليهم فيموتُوا** : لا يُحكَمُ علىٰ الكُفّارِ بمَوْتٍ ثانٍ في النارِ ، بل يَبْقَوْنَ في عذابِ جهنَّمَ .
- **كَفورٍ** : كثيرِ الكُفرِ .
- **يَصْطَرِخُونَ فيها** : يَستغيثونَ في النّار بصَوْتٍ عالٍ .
- **جاءَكُم النّذيرُ** : جاءَكُمُ الرّسولُ يُحَذِّرُكمُ العذابَ الشّديدَ .
- **بِذَاتِ الصُّدورِ** : بما أخفَتْهُ الصُّدورُ من النَّزواتِ والأفكارِ .
- **خلائفَ** : يَخْلُفُ بعضُكم بعضاً ويأتي بَعْدَهُ .
- **مَقْتاً** : بُغْضاً وغَضباً شديداً .
- **شِرْكٌ في السّمٰواتِ** : نَصيبٌ في خَلْقِ السَّمٰواتِ .
- **غُرُوراً** : خِداعاً .



تنتقلُ الآياتُ من الحديث عن صنفِ المُسلمين وتفاوتِ درجاتهم في الجنة ، وتقديمِ صورةٍ لنعيمهم فيها ، لتعرِضَ الصّورةَ المُقابلةَ ، فتتحدّثَ عنِ الكفّارِ في النّارِ وصُراخهم فيها ، وتوبيخِهم وذمِّهِم علىٰ جرائِمِهِم في الدُّنيا .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ ﴾ .

يُدْخِلُ اللهُ الكفّارَ في النّارِ ، ويُعذّبُهم فيها عذابا شديدا دائما ، وهُمْ مُخلّدُون فيها ، لا يُحكَمُ عليهم بمَوْتٍ ثانٍ ، فيستريحُوا مِن العذابِ ، ولا يُخفّفُ عنهُمُ العذابُ طرْفةَ عيْنٍ ، وكلّما تخْبُو النّارُ يزيدُها اللهُ عَليهِمْ اشْتِعالا ، وكُلَّما تنضجُ جلودُهم يُبدّلُهُم اللهُ جلودا غيرَها ، ليذُوقوا العذابَ ، جزاءَ كُفرِهِمُ الشّديدِ ، وهذا مصيرُ كلِّ إنسانٍ كفورٍ علىٰ جرائمه التي ارْتكَبَها في الدُّنيا .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ ﴾ .

حين ييأسُ الكفّارُ منَ الموتِ يزدادُ عذابُهم ، فيأخذُون في الصُّراخِ والاستغاثةِ بصوْتٍ عالٍ ، ويطلُبونَ الخُروجَ من النّارِ ، ويتحسّرُون علىٰ ما عملوا في الدُّنيا ، ويقولُون : يا ربّنا أخْرِجْنا منَ النّارِ ، وأرْجِعْنا إلىٰ الحياةِ الدُّنيا ، لنعملَ الأعمالَ الصّالحةَ التي ترْضيك ، ونتخلّىٰ عن الكُفرِ والأعمالِ السّيئةِ التي كُنّا نعْملُها!

ويرُدُّ اللهُ عليهم مُوبّخا لهم ، فيقولُ لهم : لقد جعلناكم في الدُّنيا تُعمَّرُون مُدّةً مِن العُمْرِ ، وأعْطيناكُم فُرصةً للتذكُّرِ ، والاعتبارِ لو أردْتُمُ التذكُّرَ ، ولو كنتم ممّنْ ينتفعُ بالحقِّ لانتفعْتُم بعُمْرِكُمْ ، لكنّكمْ لسْتُم كذلك ، وعِشْتُم عُمرَكُم كافرين مُكذّبين .

ولقد جاءَكُم رسولُنا مُحمّدٌ ﷺ نذيرا ، فحذّركُم وخوّفكُم وأنْذرَكُم ، فكذّبْتمُوهُ ، وسمعْتُم منه آياتِ القُرآنِ فلم تُصدّقُوا بها .

ولأنّكم لم تستفيدُوا منَ العُمْرِ الطويلِ والرّسولِ النّذيرِ ، فذُوقوا عذابَ النّارِ ، الّذي أُعِدّ لِلظّالمينَ مِنْ أمثالِكُمْ ، وليس لكُمْ في النّارِ نصيرٌ ولا مُدافعٌ ولا مُعينٌ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ ﴾

تُخْبِرُ الآيةُ عن إحاطةِ عِلْمِ الله بكلِّ شيءٍ ، ومنه أحوالُ الكفّارِ الّذين يصْطرِخُون في جهنّمَ ، فالله

يعلَمُ كلَّ شيءٍ في السّمٰواتِ والأرضِ ، سواءٌ أكان غَيْبا أم شهادةً ، فلا يَخفىٰ عليه شيءٌ ، وهو عالِمٌ بكلِّ ما عندَ الإنسانِ ، سواءٌ أخفاهُ أو أَظْهَرَهُ ، وعالِمٌ بما في صُدُورِ النّاسِ ممَّا لا يَعْلَمُهُ إلاّ اللهُ .

ولِعلْمِهِ بما في الصُّدورِ ، يَعلَمُ أنَّ الكفار لو رُدُّوا إلىٰ الدُّنيا كما تَمَنَّوْا ، فلَنْ يُؤْمِنُوا ، وسيَعُودُونَ إلىٰ ما كانُوا عليهِ مِنَ الكُفْرِ والتَّكْذيبِ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾ .

اللهُ العالِمُ بما في السّمٰواتِ والأرضِ هُوَ الّذي جعلَ الإنسانَ خليفةً في الأرضِ ، وجَعَلَ الناسَ خلائِفَ ، يَخْلُفُ قَوْمٌ قوماً قَبْلَهُمْ ، ويأتي جيلٌ بعدَ جيلٍ .

وقد بعثَ اللهُ للنّاسِ الرُّسُلَ ، وأقامُوا عَلَيْهِمْ الحُجَّةَ ، فمَنْ آمَنَ بِهِمْ فَقَدْ أَفْلَحَ وفازَ ، وَمَنْ كَفرَ بِهِم فقد خَابَ وخَسِرَ ، وعاقِبَةُ كُفْرِهِم تعودُ عَلَيْهِم ، وضرَرُه يقعُ بِهِمْ وحْدَهُمْ ، وكلَّما أصرُّوا علىٰ كُفْرِهم ازدادَ بُغْضُ اللهِ وكراهيَتُهُ لَهُم ، وازدادُوا خَسارةً وهَلاكاً وذُلاًّ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .

المُشركونَ هُمُ الخاسِرون ، ويأْمُرُ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يُجادِلَهُمْ لِيُقيمَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، ولعلَّهم يَتخلَّوْنَ عن الشِّرْكِ ، ويقولُ لَهُمْ : أخبِرُوني عن شُرَكائِكُمُ الّذينَ جَعلْتُمُوهُمْ آلِهةً ، وعَبَدْتُموهُم ودَعَوْتُمُوهُم مِنْ دونِ اللهِ ، هل خَلَقُوا شيئاً في الأَرْضِ ؟ أنتُمْ تعترِفُونَ أنَّهم لمْ يَخْلُقوا شَيْئاً ، فكَيْفَ جَعَلْتُموهُم آلِهةً ؟ وأَخْبِرُوني : هَلْ لَهُمْ شَراكةٌ مَعَ اللهِ في خلْقِ السّمٰواتِ والتصرُّفِ فيها ؟ ليسَ لهم ذٰلِكَ . وهل عندَكُمْ دَليلٌ مِنَ اللهِ على ذلكَ الشِّرْكِ ؟ وهل أنزلَ عَلَيْكُمْ كتاباً مِنَ السَّماءِ أقرَّكُم فيه علىٰ الشِّرْكِ فأصبَحْتُم علىٰ بيِّنةٍ وبُرهانٍ وحُجَّة ؟ ليس معكُم شيءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فكَيْفَ جَعَلْتُمُوهُم آلِهةً ؟

والمُشرِكُونَ لاَ يملِكُونَ حُجَّةً أو دَليلاً علىٰ شِرْكِهم وباطِلِهم ، وهُمْ ظالِمون مُتَّبِعُونَ لأهوائِهِمْ وسادتِهم ، الّذين كانوا يَخْدَعُونَهُم فيما يَعِدُونَهُم مِنْ وُعودٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دروس وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ اللهُ يُعَذِّبُ الكفَّارَ في النارِ بعَدْلِهِ ، لأنَّهم يَستحقُّون العذابَ بسببِ كُفْرِهم .

٢ـ الكفارُ يَستغيثونَ فلا يُغاثُونَ ، ولا يَموتُون ، وهم في عذابِ جَهَنَّمَ خالِدونَ .

٣ـ العاقلُ الواعي يُفيدُ مِنْ طولِ عُمُرِه ، وكلما طالَ عُمُرُهُ حَرَصَ علىٰ الخيرِ .

٤ـ مِنْ رَحمةِ اللهِ بالناسِ أنَّه يُرسِلُ لهمُ النذيرَ ليَعتَبِرُوا .

٥ـ عِلْمُ اللهِ شاملٌ لكلِّ شيءٍ ، في السَّمٰواتِ والأَرْضِ ، وفي ما يُخفيهِ الإنسانُ في صدْرِهِ .

٦ـ عاقبةُ الكُفرِ السَّيِّئةُ تعودُ علىٰ الكافرِ نَفْسِهِ ، وزيادَتُهُ في الكُفرِ تَعني زيادةَ غَضَبِ اللهِ عليْهِ وزيادةَ خسارَتِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الذي يَطلبُه الكفَّارُ المُعَذَّبُونَ في النَّارِ ؟ .

٢ـ احتجَّ اللهُ علىٰ الكُفَّارِ بأمرَيْنِ ، استخرجْهُما مِنَ الآيةِ السَّابعةِ والثَّلاثينَ .

٣ـ ما معنىٰ أنّ اللهَ جعلَ الناسَ خلائفَ في الأرضِ ؟

٤ـ يزيدُ الكفرُ أصحابَه أمريْنِ . استخرجْهُما مِنْ الآيَةِ التاسعةِ والثَّلاثينَ .

٥ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ ثلاثةَ أسئلةٍ مُوَجَّهةٍ للكُفّارِ ، واكتُبْ أنتَ الجوابَ عنها .

٦ـ ماذا يَعِدُ الظالمونَ بعضَهُمْ بَعْضاً ؟ وما معنىٰ ذلك الوَعْدِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفترِكَ ثلاثَ آياتٍ من سورةِ الزُّخْرُفِ تُقَرِّرُ أنَّ العذابَ لا يَفْتُرُ عَنِ الكفّارِ ، وتُسَجِّلُ طَلَبَهُم من مالكٍ خازِنِ النّارِ الموتَ ، ورَدَّهُ عليهم .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيتَيْنِ (٢٧ـ٢٨) من سورةِ الأنعامِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُما ما يتمنَّاهُ الكُفَّارُ في النّارِ ، وتعليقَ الآيةِ الثانيةِ علىٰ ذلكَ .

٣ـ سجِّلِ الآيةَ (١٦) من سُورةِ الرَّعْدِ ، واذكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبينَ الآيةِ (٤٠) ، واستخرجْ منها الأسئلةَ المُوَجَّهَةَ للمُشركينَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ فاطِرٍ - القِسْمُ الثَّامِنُ

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى
ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ
ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ
لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ
مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا
قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

يُمْسِكُ السَّمٰواتِ والأرضِ : يَحْفَظُهُما لِئَلاَّ تَزولا .

جَهْدَ أيمانِهِم : اجتهَدُوا وبالغُوا في الحَلْفِ .

نفوراً : هروباً مِنَ الحقِّ .　　**يَحيق** : يُحيطُ ويُصيبُ .

عاقِبةُ : نهايةُ وَمَصيرُ .　　**أجلٍ مُسَمّىً** : مُدَّةٍ مُحَدَّدةٍ

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ عَذابِ الكُفَّارِ في النّارِ ، وتوبيخهِم لِكُفرهِمْ وعَدمِ اتِّعاظِهِم ، لِتتحدَّثَ عَنِ اسْتِكْبارِ الكُفَّارِ في الدُّنيا ، وسُنَّةُ اللهِ لا تتبدَّلُ في إهلاكِ المُكَذِّبينَ ، وإمهالِ الناسِ ليومِ القيامةِ .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ .

اللهُ خَلَقَ السّمواتِ والأرض بقُدرتِهِ ، وهو يَحْفظُهُما ويُدَبِّرُهُما ، فهما يُحْكَمانِ بنظامٍ دقيقٍ ، ما تَرىٰ في خَلْقِ اللهِ مِنَ اضْطِرابٍ أو خَطأٍ .

وسوفَ يُزيلُ اللهُ السّمٰواتِ والأرضَ عِنْدَ قيامِ السّاعةِ ، وعِنْدَ ذلكَ لا يَقْدِرُ أحدٌ مِنَ المَخْلُوقينَ علىٰ إمساكِهِما وحِفْظِهِما ، لأنَّهُ لا يَحْفظُهُما أَحَدٌ مِنْ دُونِ اللهِ ، فاللهُ المالِكُ الحَافِظُ لِلكَوْنِ وما فيهِ .

ومَعَ عَظمةِ مُلْكِهِ وقُدرتِهِ فإنَّهُ عَظيمُ الحِلْمِ واسعُ العَفْوِ ، فلا يُعَجِّلُ عقوبةَ الكُفَّارِ ، ولكِنَّهُ يفتحُ لَهُمْ بابَ التَّوبَةِ ، ويَعفُو عَنْهُم ويغفرُ لهُم عِنْدَما يَتوبُونَ .

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

كانَ كُفّارُ مكَّةَ يَعلَمُونَ أنَّ اللهَ بَعَثَ موسىٰ عليهِ السَّلامُ نبيًاً لليهودِ ، وبعثَ عيسىٰ عليهِ السلامُ نَبياً للنَّصارىٰ ، فكانُوا يتَمَنَّوْنَ لو بَعَثَ اللهُ لَهُمْ نبيّاً ، ولِذلكَ حَلَفُوا باللهِ ، وبالَغُوا في الحَلْفِ ، واجتهدُوا فيهِ ، وقالُوا : واللهِ ، لَئِنْ بَعَثَ اللهُ لنا نبيّاً نَذيراً ، فسوفَ نُؤمِنُ بهِ ونَتَّبِعُهُ ، ونكونُ أهدىٰ مِنَ اليهودِ والنَّصارىٰ وغيرهِم .

ولمَّا بعثَ اللهُ لَهُمْ مُحَمَّداً ﷺ نَذيراً حَنَثُوا في أَيْمانِهِمْ ، ونقَضُوا عَهْدَهُم مَعَ اللهِ ، وكَفرُوا بالرَّسولِ وكذَّبُوهُ ، وما زادَتْهُم رسالتُهُ إلاّ ابتعاداً وهُروباً عَنْهُ .

﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

لم يَكُنْ كُفرُ الكَافِرينَ بالرَّسُولِ ﷺ عَنْ نَقْصٍ في الأَدِلَّةِ علىٰ نُبُوَّتِهِ ، فقدْ كانُوا يُوقنُونَ أنَّهُ رَسولُ اللهِ ، ولكنَّ كُفرَهُمْ كانَ بسببِ اسْتِكْبارِهِمْ واسْتِعْلائِهِمْ في الأرْضِ .

وقد مَكرُوا بالنّاسِ المَكْرَ السَّيِّءَ ، ولا تَكونُ عَاقبةُ السَّيِّئَةِ إلا عَلَيْهِم ، حيثُ يُنزِلُ اللهُ بِهِمْ عِقابَهُ .

وماذا يَنْتَظِرُ هؤلاءِ الماكِرُونَ المُكَذِّبُونَ ؟ إنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ سُبحانَهُ تعذيبَ مَنْ كذَّبُوا الرُّسلَ ، وسُنَّتُهُ ثابتةٌ مُطَّرِدَةٌ ، لا تَبديلَ ولا تَحويلَ لها ، ولا يَقْدِرُ أحدٌ علىٰ إبطالِها أو إيقافِها . كما قالَ تعالىٰ : ﴿سنَّةَ مَنْ قد أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا ولا تَجِدُ لسنَّتنا تَحْوِيْلا﴾ [الإسراء : ٧٧] .

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

سنَّةُ اللهِ في عقابِ الكافرينَ المُكَذِّبينَ لا تتخلَّفُ ولا تتبدَّلُ ، وعلىٰ كُفَّارِ مكةَ وغيْرِهم أنْ يَسيرُوا في الأرضِ ، ويَقفوا علىٰ آثارِ المُكَذِّبينَ السّابقينَ ، كقومِ عادٍ وثمودَ ، وقومِ مَدْيَنَ وقومِ لوطٍ ، ويَعرفُوا كيفَ كانتْ عاقبَةُ أولئكَ الكفّارِ ، حيثُ أهلَكَهُم اللهُ ودَمَّرَهُمْ .

وقَدْ كانَ أولئكَ الكفّارُ أشدَّ قُوّةً مِنْ كُفّارِ مكةَ ، وأطولَ أعْماراً ، وأشدَّ تَمْكيناً ، وَمَعَ ذلكَ لم تَدفعْ عَنْهُم قُوَّتُهُم عذابَ اللهِ ؛ لأنَّ اللهَ هوَ القَويُّ القاهرُ ، لا يقفُ أمامَهُ أحدٌ ، ولا يُعْجزُهُ شيءٌ ، ولا يَغْلِبُه غالبٌ .

وهُوَ ـ سُبحانَه ـ عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، لا يَخفىٰ عليه شَيْءٌ في السّمٰواتِ والأرضِ ، وهُوَ قديرٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ، لا يَغْلِبُهُ غالبٌ ، ولا يَفوتُه هاربٌ . . وإذا أرادَ كُفّارُ مكةَ أنْ يَنْجُوا مِنْ عِقابِ اللهِ ، فما عَلَيْهِم إلاّ الإيمانُ بهِ واتِّباعُ رسولِه ﷺ .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

لو أرادَ اللهُ تعذيبَ كفّارِ مَكّةَ لَعذَّبَهُم ، لأنَّهُم يَستحقُّون العذابَ ، ولكنَّه يُمْهِلُهُم ويُملي لَهُمْ ، ويُعطيهِمُ الفُرْصَةَ ، لعلَّهم يُؤمنونَ ، ولَوْ كانَ اللهُ يُعَجِّلُ عقابَ النّاسِ بسببِ ذُنوبِهِم وجَرائِمِهِم لَمَا تَركَ علىٰ ظَهْرِ الأرضِ مِنْ دابّةٍ ، ولأفنىٰ جميعَ المَخْلُوقاتِ الحيَّةِ مِنَ الحيواناتِ والطَّيْرِ والدَّوابِّ ، ولكنَّ اللهَ يُمْهِلُهُم ، فإنْ لم يُؤمنُوا عاقبَهُمُ العقابَ الشديدَ يومَ القيامةِ ، حيثُ يأتيهِمْ أجلُهُمْ ، ويَبْعَثُهُم أحياءً مِنْ قُبورِهِمْ ، ويحاسِبُهُم علىٰ أعمالِهِمْ ، وَهُوَ بصيرٌ بِهِم مُطَّلِعٌ علىٰ ذُنوبِهِم ومعاصِيهِمْ ، وهذا تهديدٌ شديدٌ ، ووعيدٌ أكيدٌ لَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ السّمٰواتِ والأَرْضَ ، وحَفِظَهُما بقُدرتِهِ ، وسوفَ يُزيلُهُما يومَ القيامةِ .

٢ـ الكُفّارُ يَنقضُونَ عُهودَهُم ويَحْنَثُونَ في أيْمانِهِم .

٣ـ لم يكُنْ كُفرُ الكُفّارِ عَنْ نقصٍ في الأدلَّةِ ، وإنما كانَ اسْتِكْباراً وَعِناداً .

٤ـ لا يعودُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ علىٰ أهلِه ، فهم الخاسرُونَ بسببِهِ .

٥ـ لا تبديلَ ولا تَحْويلَ ولا تغييرَ لسُنَّةِ اللهِ ، فهي ثابتةٌ مُطَّرِدَةٌ ، تَنْطَبِقُ علىٰ النّاسِ أَيْنما كانُوا .

٦ـ السَّيْرُ في الأرضِ والنَّظَرُ في مصارعِ السَّابِقينَ وآثارِهم يقودُ إلى العِبْرَةِ والعِظَةِ .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ إمساكِ اللهِ للسَّمٰواتِ والأرضِ ؟ وما معنىٰ : ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ؟

٢ـ ما الذي طلبَهُ كُفَّارُ مكَّةَ مِنَ اللهِ وحَلَفُوا عليهِ ؟ وماذا فَعَلوا عِنْدَما تحقَّقَ ما طَلَبُوهُ ؟

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدرسِ سُنَّةً ربانيَّةً في عاقبةِ المَكْرِ السَّيِّءِ .

٤ـ اذكُرْ حديثَ الآياتِ عن سُنَّةِ اللهِ ، واشرَحْ ذلك .

٥ـ ما عاقبةُ السَّيْرِ في الأرضِ والنَّظَرِ في مَصَارعِ السّابقينَ ؟

٦ـ ماذا يَحصُلُ للأحياءِ لو عجَّلَ اللهُ عقوبةَ الكُفَّارِ ؟ ومتىٰ يكونُ عقابُهُم ؟



١ـ سجِّلْ الآيةَ (٦٥) مِنْ سُورةِ الحَجِّ في دفترِكَ ، واذكُرْ مَعناهَا والشَّبَهَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الآيةِ (٤١) .

٢ـ سجِّل في دفترِكَ الآيَتَيْنِ (١٥٦ـ١٥٧) مِنْ سُورةِ الأنعامِ ، واذكُرْ وجْهَ الشَّبَهِ بينَهما وبينَ الآية (٤٢) .

٢ـ جاءَ بمعنىٰ الآيةِ (٤٥) الآيةُ الثامنةُ والخمسونَ مِنْ سورةِ الكَهْفِ ، سجِّلْها ثُمَّ اذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبَيْنَ هذه الآيةِ .

❊ ❊ ❊

الدرس السادس والثلاثون

سورة يس ـ القسم الأول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا
يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ
أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ
تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ
وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ
فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ يس مكيةٌ ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسمِ لافتتاحِيَّتِها بهذينِ الحَرْفَينِ الهجائيَّيْنِ : الياءِ والسينِ . مثلَ سورةِ (طه) المُفتَتَحَةِ بالطاءِ والهاءِ ، ومثلَ سُورَتَيْ : (ص) و(ق) .

والراجحُ أنَّ « يس » حرفانِ هجائيَّانِ ، وليسَ اسماً لرسولِ اللهِ ﷺ ، مثلُ « طه » . ولم يَثْبُتْ أنَّ لِرَسولِ اللهِ ﷺ اسمَ « طه » واسمَ « يس » .

وموضوعُ سُورةِ يس هُوَ العقيدةُ ، كَباقِي السُّورِ المَكيَّةِ ، وقد أكَّدَتْ إثباتَ الوَحْيِ والرِّسالةِ ، وتحدَّثَتْ عَنِ الكفَّارِ ، وذكَرَتْ قصَّةَ أصْحابِ القَريةِ ، وأقامتِ الأدلةَ علىٰ البَعْثِ ، وعرضَتْ بعضَ مشاهدِ النَّعيمِ والعَذَابِ .

معاني المُفْرداتِ :

غافِلون	بَعيدُونَ عَنِ الهُدىٰ ، جاهلُون بهِ .
حقَّ القولُ	وجبَ الحُكمْ علىٰ الكفار بالخلودِ في النارِ .
أغلالاً	قيوداً .
مُقْمَحُون	رافِعُو رؤوسِهِم وغاضُّو أبصارِهِم .
سَدّاً	حَاجِزاً ومَانِعاً .
أغْشَيْنَاهُم	غَطَّيْنا علىٰ أبْصارِهِم .
أحصيْنَاهُ	عَدَدْناهُ وسَجَّلْناهُ وحَفِظْناهُ .
إمامٍ مبينٍ	أَصْلٍ عَظِيمٍ واضِحٍ ، وهوَ اللَّوحُ المَحْفُوظُ .

التفسيرُ :

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ .

﴿يسٓ ۝﴾ حرفانِ هما : الياءُ والسّينُ ، افتتَحَ اللهُ بهما هذهِ السُّورة ، مثلَ « ألم » في بدايةِ سورةِ البقرةِ . والحروفُ المُقطَّعةُ في أوائل بعضِ السور للتَّحدّي والإعجازِ وإثبات أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ، وهو مُكوَّنٌ مِنْ مثل هذهِ الأَحْرُفِ .

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝﴾ أقسمَ اللهُ بالقرآن ، علىٰ صِدْقِ نُبُوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، ووصفَ القرآنَ بأنَّهُ حكيمٌ وهو المُحكَمُ الثابتُ ، الذي يتضمَّنُ الحِكْمَةَ والصَّوابَ في آياتِهِ وتَوْجيهاتِهِ .

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝﴾ هذا هو المُقْسَمُ عليه ، وهو تقريرٌ لنُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، فاللهُ أرسلَهُ .

﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ طَريقٌ مُسْتَقِيمٌ ، لا عِوَجَ ولا انْحِرافَ فيهِ ، ورسالتُه مُسْتَقيمَةٌ صَائِبَةٌ ، وسُنَّتُهُ صَحِيْحَةٌ هَادِيةٌ .

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾ وأَنْزَلَ اللهُ علىٰ رسُولِه ﷺ القرآنَ ، وجعَلَهُ نوراً وهُدًى للعالَمين . واللهُ هوَ العزيزُ القويُّ الغالبُ ، والرحيمُ بخلْقِهِ ، ولِذلك رَحِمَهُم بالقُرْآنِ .

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ ﴾

جعلَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ رَسولاً ، وأنزلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ ، وأَرْسَلَه نذيراً للعَرَبِ ، الَّذينَ لَمْ يَأْتِهِمْ رسولٌ نذيرٌ مِنْ قَبْلِهِ ، فَهُم غافِلُونَ عَنِ الحقِّ جاهلونَ بهِ ، لأنَّ آخِرَ رسولٍ لِلْعَرَبِ هو إسماعيلُ عَلَيْهِ السّلامُ ، وبَيْنَهُ وبينَ مُحَمَّدٍ ﷺ فترةٌ زمنيةٌ طويلةٌ .

ولكنْ مُعظمُ مَنْ أُرْسِلَ إليهم لَنْ يُؤمنُوا بهِ ، وسيَكْفُرونَ بهِ ويُكَذِّبُونَهُ ، وقد عَلِمَ اللهُ أنَّ هؤلاءِ لَنْ يُؤمنُوا ، وسَيَخْتارُونَ الكُفْرَ والتَّكْذيبَ ، ولِذلكَ قَضَىٰ عليهم بعدمِ الإيمانِ مُنذُ الأزلِ ، وسَبَقَ عِلْمُهُ بهِمِ ، ولمّا دُعُوا إلىٰ الإيمانِ رفضُوهُ واختارُوا الكُفْرَ ، وبذلكَ تحقَّقَ ما عَلِمَهُ اللهُ عنهُم منذُ الأَزَلِ .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ .

الكفارُ لن يُؤمنُوا بالحقِّ ، لأنَّهم مُعانِدُون مُصَمِّمُون علىٰ الكُفْرِ ، وقد ضَرَبَ لَهُمُ المَثَلَ في عِنادِهِم ، فحالُهُمْ كحالِ من جُعِلَتِ الأغلالُ والقُيودُ في أيديهِم ، ورُدَّتْ أيدِيهم إلىٰ أعناقِهم ، ورُبِطَتْ بأذقانِهم ، فصارُوا مَرفوعِي الرّؤوسِ ، خافِضِي الأبْصارِ ، عاجزينَ عَنْ فِعْلِ أيِّ شيءٍ .

وهؤلاءِ الكُفّارُ المُعانِدُونَ هكذا ، لا يَرَوْنَ الحقَّ بالرغمِ مِنْ وُضوحِهِ ، ولا يَلْتَفِتُونَ إليهِ بسببِ عِنادِهِم .

وضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ في عنادِهِمْ ، فحالُهُمْ كحالِ مَنْ صارُوا بينَ سَدَّيْنِ هائِلَيْنِ ، سَدٍّ مِنَ الخَلْفِ ، وسَدٍّ مِنَ الأَمامِ ، وقد أَحاطَ بِهِمُ السدَّانِ العاليانِ ، فغطَّيا علىٰ عيونهِم وحَجَبا عَنْها الرؤيةَ ، فصارُوا لا يُبْصِرُونَ .

وهؤلاءِ الكفارُ المُعانِدونَ هكذا ، مَحْبوسُونَ في الكُفرِ والعِنادِ ، وقد حَجَبُوا مداركَهُمْ وأبصارَهُمْ عَنِ الحقِّ ، فلا يَرَوْنَهُ ولا يَقْبَلُونه ولا يَهْتَدُونَ إليهِ .

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ ﴾ .

ولأنَّ الكفارَ علىٰ هذا العِنادِ والإصرارِ ، فإنه يَستوي عندَهُمْ إنذارُ الرّسولِ ﷺ ، وعَدَمُهُ ، لأنَّهُمُ اختارُوا الكُفْرَ والعِنادَ ، وحَقَّ عَليهِمُ العذابُ ، وبذلكَ لَنْ يُؤمنُوا . ولكنَّ الرسولَ ﷺ مَأْمورٌ بإنذارِهِمْ ولَوْ لَمْ يَستجيبُوا لَهُ ، ليُقيمَ عليهِمُ الحُجَّةَ .

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ ﴾

وإذا كانَ الكُفّارُ لا ينتفِعُونَ بالإنذارِ ، فإنَّ المُؤْمنينَ يَنتفعُونَ به ، ولِذلكَ قالَ اللهُ لِرسولِه ﷺ : إنذارُكَ يُجدِي مَعَ مَنِ اتَّبعَ القُرْآنَ ، وطَبَّقَ أحكامَهُ ، وخافَ مِنْ عذابِ اللهِ ، وخَشيَ الرحمنَ مَعَ أنَّه

لا يَراهُ . فمَنْ كانَ هذا حَالَهُ ، فسوْفَ تَسْتَقِيمُ حَياتُهُ علىٰ طاعةِ اللهِ ، وهذا يستحقُّ أنْ يُبَشِّرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ ، بمغفرةِ اللهِ الواسِعَةِ ، والأَجْرِ الكبيرِ الجَزيلِ العَظيمِ مِنَ اللهِ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ .

هذا وَعْدٌ مِنَ اللهِ لِلْمُؤْمنينَ المُنْتَفِعينَ بالإنذارِ ، وهُوَ وعيدٌ مِنْهُ لِلكافِرينَ المُعْرِضينَ عَنِ الإنذار . فاللهُ سيُحيي المَوتىٰ جميعاً يومَ القيامةِ ، سواءً أكانوا مُسلمينَ أم كافِرينَ ، وقد كَتَبَ كلَّ شيءٍ عَمِلُوهُ في الدُّنيا ، خيراً كانَ أو شرّاً ، وحَفِظَهُ لَهُم في كتابٍ ، لا يُضيِّعُ منهُ شيئاً .

وكَتَبَ اللهُ في ذلكَ الكِتابِ آثارَهُمُ التي خلَّفُوها بعد مَوْتِهم ، وأثَّرَتْ في الناسِ مِنْ بعدهِم ، سواءً أكانَتْ خيراً أم شرّاً .

روىٰ مُسْلِمٌ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إذا ماتَ الإنسانُ ، انقطعَ عَمَلُهُ إلاّ من ثلاثةٍ : إلاّ مِنْ صَدَقةٍ جاريةٍ ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بهِ ، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعُو له »[١] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الحروفُ المُقطَّعةُ في افتتاحياتِ بعضِ السُّورِ للتَّنبيهِ والتحدِّي وإثباتِ أنَّ القُرآنَ كلامُ اللهِ .

٢ـ الكُفَّارُ بعنادِهِمْ وإصْرارِهِمْ علىٰ الكُفْرِ عَطَّلُوا إدراكَهُمْ ، وكانوا كالمُقيَّدينَ بالقيودِ ، المَحْصُورينَ بينَ السُّدودِ .

٣ـ الذي يستفيدُ من الإنذارِ هو المؤمنُ المستقيمُ المتَّبعُ للقرآنِ ، الذي يَخْشَىٰ اللهَ .

٤ـ يَحْفظُ اللهُ كلَّ عَمَلٍ يَصدُرُ عنِ الإنسانِ في كتابٍ ، سواءً أكان خيراً أم شرّاً ، ويُحاسِبُهُ عليهِ يومَ القيامةِ .

(١) صحيح مسلم . كتاب الوصيّة . باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته . حديث رقم : ١٦٣١ .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ ثلاثَ سُوَرٍ مُفْتَتَحةٍ بحَرْفَينِ مُقَطَّعَيْنِ ، وثلاثَ سُوَرٍ مُفْتَتَحةٍ بحَرْفٍ واحدٍ .

٢ـ ما معنىٰ وَصْفِ القرآنِ بأنَّهُ حكيمٌ ؟

٣ـ مَنْ آخِرُ نبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ للعَربِ قبلَ رسولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟

٤ـ اشرَحِ المَثَلَيْنِ اللَّذيْنِ ضَرَبَتْهُما الآياتُ للكُفّارِ المُعاندينَ .

٥ـ لماذا لاَ ينتفعُ الكُفَّارُ بالإنذارِ ؟

٦ـ اذكُرْ صِفَتَيْنِ لِمَنْ يَنتَفِعُونَ بالإنذارِ ، وبِشارَتَيْنِ بَشَّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِما .

نَشاطٌ :

١ـ ذِكْرُ العَرَبِ هنا لا يَنفي عُمومَ رِسالَةِ الرَّسولِ ﷺ للناسِ جَميعاً ، سجِّلْ في دفترِكَ آيةً وحديثاً صَحيحاً في عُموم رسالةِ الرسولِ ﷺ للعالَمينَ .

٢ـ سجِّلْ آيَتَيْنِ في بدايةِ سورةِ البقرة ، تتحدَّثانِ عن الكُفّارِ وأنَّهم لن يُؤمنوا ؛ لأنَّ اللهَ ختمَ علىٰ قُلوبهِم وسَمْعِهِمْ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ (١٠) .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ يس ـ القِسْمُ الثَّاني

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا
بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ
أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ
أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

اضْرِبْ لهم مثلاً : اذكُرْ لَهُم قِصّةَ أصحابِ القَريةِ العَجيبَةِ .

عَزَّزْنَا : أيَّدْنَا وقوَّيْنا .

البلاغُ المُبينُ : التبليغُ الواضحُ للرِّسالةِ .

تَطَيَّرْنَا بكُم : تشاءَمْنا منكُم .

لَئِنْ لم تَنْتَهُوا : لئِنْ لم تَتْرُكُوا الدَّعوةَ وتتَوَقَّفُوا عَنْها .

لنَرْجُمَنَّكُم : لنَرْمِيَنَّكُمْ بالحِجارةِ .

طائِرُكمْ مَعَكُمْ : سببُ شُؤْمِكُمْ عندَكُمْ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ إثباتِ الوَحْي والرِّسالَةِ ، وضَرْبِ الأمثالِ للكافرينَ المُعانِدِينَ ، لتتحدَّثَ عن قصَّةِ أصْحابِ القريةِ الَّذينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُم فأهلكَهُم اللهُ .

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

يأمرُ اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يَذْكُرَ لِكُفَّارِ قُرَيشٍ قِصَّةَ أصْحابِ القريةِ ، وأنْ يَجْعَلَ أصحابَ تلكَ القريةِ الكُفّارَ مثلاً في العنادِ والكُفْرِ .

ولم تَذْكُرِ الآياتُ اسْمَ تلكَ القريةِ ، ولم يَرِدْ اسْمُها في حديثٍ صحيحٍ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، فنُبْقي اسْمَ تِلْكَ القريةِ مُبْهَماً ، ونتجاوزُهُ لِنعرفَ قصّةَ أصحابِ القريةِ والعِبْرَةَ مِنْها ، كَمَا وَرَدَتْ في الآياتِ .

لقد كانَ أصحابُ تلكَ القريةِ كافِرينَ ، فبعثَ اللهُ لَهُمْ رُسُلاً ، يَدْعُونَهُم إلىٰ الإيمانِ باللهِ ، لكنَّهُم كفَرُوا بهم وكذَّبُوهم .

﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

بعدما أشارَتِ الآيةُ السابقةُ إلىٰ القصَّةِ إشارةً مُجْمَلَةً ، شَرَعَتِ الآياتُ في تفصيلِ ما جَرىٰ بينَ الرُسُلِ وأصحابِ القريةِ .

لقدْ أرسلَ لَهُمْ رَسُولَيْنِ اثنَيْنِ ، لم نَعْرِف اسْمَيْهِما ، لأنَّ اللهَ لم يُخْبِرْنا بذلكَ ، فقاما بدَعْوَتِهما إلىٰ اللهِ ، ولكنَّ القومَ كذَّبُوهُما وأصرُّوا علىٰ كُفرِهِم ، فأيَّدَ اللهُ الرسولَيْنِ برسولٍ ثالثٍ ، أي قوَّاهُما بهِ ، وانْضَمَّ مَعَهُما في الدَّعْوَةِ . وخاطبَ الرُسُلُ الثّلاثةُ القومَ قائلينَ : لقد أرْسَلَنا اللهُ إليكمْ ، وأمرَنا أنْ نَدْعُوكُم إليهِ ، لتِعَبْدُوهُ وحدَهُ ، وتتركُوا عِبادةَ الأصنامِ .

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

ردَّ أصحابُ القريةِ علىٰ الرُّسُلِ الثلاثةِ مُعترِضينَ علىٰ بَشَرِيَّتِهِمْ ، ونفَوْا أَنْ يكونُوا رُسُلاً مِنْ عندِ اللهِ ، واتَّهمُوهُم بالكَذِبِ علىٰ اللهِ . وقالُوا لهم : أنتم لسْتُمْ رُسُلاً مِنْ عندِ اللهِ ، لأنّكم بشرٌ مثلُنا ، ولو أرادَ اللهُ إرسالَ رُسُلٍ إلينا لأنزلَ علَيْنا الملائكةَ ، فاللهُ لم يُنْزِلْ عليْكُمُ الوحْيَ ، ولم يُكَلِّفْكُمْ بالرِّسالةِ ، وما أنتُم إلاّ كاذبونَ ، تَكْذِبُونَ علىٰ اللهِ .

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾

ردَّ الرُسُلُ علىٰ اعتراضِ أَصْحابِ القَرْيَةِ بأنْ قالُوا لَهُمْ : اللهُ ربُّنا الَّذي أرْسَلَنا هُوَ وحدَه يعلمُ حقيقةَ رسالَتِنا ، وصِدْقَنا في دعْوَتِنا ، ولو كَذَبْنا عليهِ لانتقمَ مِنّا ، والواجبُ علينا أنْ نُبَلِّغَكُمُ الدَّعوةَ ، ونُقيمَ عَلَيْكُمُ الحُجَّةَ ، وبالبلاغِ المُبينِ تَنْتَهي مَهَمَّتُنا عندكُم ، فإنْ آمَنْتُم فُزْتُمْ ، وإنْ كَفَرْتُم أهلَكَكُمُ اللهُ .

وهذا كقولِه تَعالىٰ عَنِ الجدالِ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وكُفّارِ قُريشٍ وشهادة اللهِ له : ﴿قُلْ أيُّ شيءٍ

أكبرُ شَهادةً قلِ اللهُ شهيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وَأُوْحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩] .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ ﴾

تَطَوَّرَ حوارُ أهلِ القريةِ للرُّسُلِ مِنَ التَّكذيبِ والإنكارِ إلىٰ التَّهديدِ والوَعيدِ ، فلمَّا لم يَجدُوا ما يُجيبُونَ بهِ الرُّسُلَ ، وانهزَمُوا في مَيْدانِ الحِوارِ والجِدالِ لجأوُا إلىٰ الاتِّهامِ ، فقالُوا لَهُم : إنَّا تَشَاءَمْنَا بوُجُودِكُم وضِقْنا بقولِكُم ، ووُجُودُكُمْ بينَنا يُؤدي إلىٰ خَسارَتِنا ووقوعِ المصائبِ بنا .

وهدَّدُوهُم قائلينَ : إذا لَمْ تَتوَقَّفُوا عَنِ الدَّعوةِ وتَسكُتُوا عَنْ مَقالَتِكُم ، فإنّنا سَوْفَ نَرْجُمُكُمْ بالحِجارةِ حتىٰ نُهْلِكَكُم ، وسنُوقِعُ بِكُمُ العذابَ الأليمَ المُوجِعَ .

﴿ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾

ردَّ الرُّسلُ الثلاثةُ علىٰ تشاؤمِ القومِ قائلينَ : تشاؤُمُكُمْ ملازِمٌ لَكُمْ ، وتَطَيُّرُكُمْ عليكُم ، وَهُوَ مَعَكُم لا يُفارِقُكُم أبداً ، وسببُه سُوءُ أعمالِكُمْ ، وقُبْحُ كُفْرِكُم ، فهذا سيُوقعُ بكُمُ المصائبَ .

ونحنُ ما فَعَلْنَا بكُمْ ما يَدْعُو إلىٰ التَّشاؤُمِ ، ولم نُخْطِىءْ مَعَكُمْ ، وكلُّ ما فعَلْناه أنَّنا دعَوْناكُمْ إلىٰ اللهِ ، وذَكَّرْناكُمُ الإيمانَ والحقَّ ، فتشاؤُمكُمْ في غيرِ مكانِهِ ، وأنتُم قومٌ مُسْرِفُون مُتجاوِزونَ لِلْحَدِّ في الظُّلْمِ والعُدوانِ ، ولِذلكَ تَستحقُّونَ مِنَ اللهِ العذابَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القَصَصُ القُرآنيُّ للعِبْرةِ والعِظَةِ ، وتهديدِ الكُفَّارِ ، بذِكْرِ ما جَرىٰ لأَسْلافِهِمْ .

٢ـ قد يُرسِلُ اللهُ أكثرَ مِنْ رسولٍ في الوقْتِ الواحدِ و للقومِ نفسِهِم ، وهنا أرْسَلَ ثلاثةَ رُسُلٍ إلىٰ أهلِ القريةِ .

٣ـ تشاؤمُ الكفَّارِ بالرُّسلِ في غيرِ مكانِهِ ، فأعمالُهُمْ هِيَ سَبَبُ شؤمِهِمْ ووُقوعِ المَصَائبِ بهِمِ .

٤ـ عندما ينهزمُ الكفَّارُ في مَيدانِ الدَّعْوةِ والحُجَّةِ ، يلجأونَ إلىٰ سِلاحِ التَّهديدِ والوَعيدِ .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماالحكمةُ من عَدَمِ ذِكْرِ اسمِ القريةِ ، وأسماءِ الرُّسلِ الذين أُرسلُوا إلىٰ أهلِها ؟

٢ـ لماذا أرسلَ اللهُ رسولاً ثالثاً للقريةِ ؟ وعلىٰ ماذا يدلُّ ذلك ؟

٣ـ سجِّلِ اعتراضَ أصحابِ القَرْيَةِ علىٰ الرُّسُلِ ، واذكُرْ شاهداً عَلَيهِ مِنَ اعتْراضِ الكفَّارِ الآخرينَ .

٤ـ بماذا حدَّدَ الرُّسُلُ وظيفتَهُمْ مِنْ خلالِ آياتِ الدَّرْسِ ؟

٥ـ ما معنىٰ تَطيُّرِ القَوْمِ برُسُلِهِمْ ؟ وبماذا ردَّ الرُّسُلُ تطيُّرَ قومِهِمْ بِهِمْ ؟

٦ـ بماذا هدَّدَ القومُ رُسُلَهُم ؟ وعلىٰ ماذا يدلُّ ذَلِكَ التهديدُ ؟

نَشاطٌ :

١ ـ اذكُرْ آيةً مِنْ سُورةِ إبراهيمَ تُسجِّلُ اعتراضَ الكُفّارِ علىٰ بَشَرِيَّةِ الرُّسُلِ ، واذكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (١٥) .

٢ ـ اذكُرْ آيةً مِنْ سُورةِ الأعرافِ تتحدَّثُ عَنْ تَطَيُّرِ آلِ فرعونَ بموسىٰ عليهِ السَّلامُ ، وآيةً مِنْ سورةِ النَّملِ تتحدَّثُ عَنْ تطيُّرِ قومِ ثمودَ بصالحٍ عليهِ السلامُ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورَةُ يس ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ
أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً
إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾
بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

مِنْ أقصىٰ المَدِينَةِ	مِنْ أَبْعَدِ مكانٍ فيها .	يسعىٰ	يشتدُّ في سَيْرِهِ .
إليه تُرْجَعُونَ	تُرَدُّونَ إلىٰ اللهِ يومَ القيامةِ .	صيحةً واحدةً	صَوتاً قَوِيّاً عالِياً .
خامِدونَ	أصواتٌ من دُونِ حَرَكةٍ .		

التفسيرُ :

تُتابعُ الآياتُ حديثَها عَنْ أَصْحابِ القَرْيةِ ، وتذكُرُ ما جَرىٰ لهُمْ بعدَ إصْرارِهِمْ علىٰ الكُفْرِ والتكذيبِ .

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

لمَّا كذَّبَ أهلُ القريةِ المُرْسَلينَ ، وهَدَّدُوهُمْ بالرَّجْمِ والعذابِ ، جاءَهُمْ رجلٌ مِنْ أقصىٰ القريةِ ،

وأبعدِ مكانٍ فيها ، وكانَ يَسعىٰ مُسْرِعاً ، يَشتدُّ في سَيْرِهِ ، وأعلنَ إيمانَهُ بالرُّسُلِ .

ولم يَرِدْ ذِكْرُ اسمِه في الحديثِ الصَّحيحِ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، فلا نبحثُ في معرفةِ اسمِه ، والمُهِمُّ هو الاعتبارُ بموقفِهِ العظيمِ .

وقد كانَ الرَّجُلُ المُؤْمِنُ مِنْ أهلِ القَريةِ ، ولذلكَ ما إنْ وَصَلَ القومَ المُكَذِّبينَ حتىٰ نَصَحَهُمْ ، وصارَحَهُمْ قائلاً : ياقومُ آمنُوا بالمُرْسَلينَ الثلاثةِ ، الذينَ بعثَهُمُ اللهُ لَكُمْ ، وصَدِّقُوهُمْ ، فَهُمْ يُريدونَ الخَيْرَ لكُم ، وهُم مُخْلِصُون لَكُمْ في النُّصْحِ والدَّعوةِ ، ولا يُكَلِّفُونَكُمْ شيئاً ، ولا يُريدونَ مِنْكُم مَالاً ، وهم مُهْتَدُونَ إلىٰ الحقِّ ، مُلْتَزِمُونَ بهِ ، فلماذا لا تتَّبعُونَهُم وَهُمْ بهذهِ الصِّفاتِ الجَليلةِ ؟

﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

استمرَّ الرَّجلُ في دعوةِ قومِهِ ، وانتقلَ مِنَ الدعوةِ إلىٰ الإيمانِ بالرُّسلِ إلىٰ الدَّعوةِ إلىٰ عبادةِ اللهِ وحْدَهُ ، فقالَ لَهُم : لماذا لا أعبدُ اللهَ وحْدَهُ ؟ إنَّه الخَالِقُ الّذي خلقَني ، وَهُوَ الذي يتكفَّلُ بي ويَرْزُقُني ، وهو الّذي يُميتُني ثم يُحْيِيني ، ويُرْجِعُني إليهِ كما يُرْجِعُكُم أنتُم يومَ القيامةِ ، إنَّ هذهِ الأفعالَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، تَدلُّ علىٰ أنَّه لا يُعبدُ إلا اللهُ ، وغيرُه مِنَ الآلِهةِ الباطلةِ لا تَصِحُّ عبادَتُهُم ، لأنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ كُلِّ شيءٍ .

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

يقولُ الرجلُ المُؤْمِنُ لَهُم : هَلْ مِنَ المعقولِ أنْ أتَّخذَ آلِهةً مِنْ دُونِ اللهِ ؟ أَدينُ لَها وأعْبُدُها ، إنَّ هذا غيرُ معقولٍ ولا مقبولٍ .

وذكَرَ لهم أنَّ الأمورَ كُلَّها بيدِ اللهِ وحْدَهُ ، وأنَّ كلَّ ما سِواهُ عاجِزٌ عَنِ النَّفعِ والضُّرِّ ، فلا يَصْلُحُون آلِهةً ، وقالَ لَهُم : إنْ أرادَ اللهُ إيقاعَ الضُّرِّ بي فَعَلَ ذلكَ ، لأنَّهُ الفَعَّالُ لِمَا يُريدُ ، والآلِهةُ المَزْعومَةُ لا تَنْفَعُني شَفاعَتُهُمْ شَيْئا ، ولا يَقْدِرُونَ علىٰ تَخليصِي وإنقَاذي مِنَ الضُّرِّ .

إنْ فعلتُ ذلك وعَبَدْتُ غيرَ اللهِ أكونُ ضالاً ضَلالاً واضِحاً ظاهِراً ، لأنَّكُمْ أنتُم تتَّخِذُونَ آلهةً مِنْ دونِ اللهِ ، فإنَّكُم في ضلالٍ كبيرٍ ، وعَلَيكُمُ التخلِّي عَنْ ذلك .

﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

بعدما قدَّمَ الرجلُ المؤمنُ حُجَّتَهُ الدَّعويَّةَ لقومِهِ ، خَطا الخُطْوَةَ الأخِيرَةَ ، وَهِيَ إعْلانُ إيمانِهِ ، فقالَ لَهُمْ : إنِّي آمنتُ بربِّكُمْ ، الّذي يجبُ أن تُؤْمِنوا بِهِ ، واتَّبعْتُ الرُّسُلَ الّذينَ أرسلَهُمُ اللهُ إليكُمْ ، فاسمَعُوا كلامِي ، واعرِفُوا مَوْقِفي ، وافعلُوا مِثْلَ فِعْلي .

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يبدو أنَّ القومَ المُجْرِمينَ ساءَهُم إعلانُ الرجلِ إسلامَهُ ، فهَجَمُوا عَلَيهِ وقَتلُوهُ ، ولَقِيَ اللهَ شهيداً ، ويُكَرِّمُ اللهُ الشُّهداءَ ، ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ، ولذلكَ ما أنِ استُشْهِدَ في سبيلِ اللهِ حتىٰ قيلَ له : ادخُلِ الجنةَ مُنَعَّماً مُكَرَّماً ، لأنَّكَ آمنتَ وقُتِلْتَ في سبيلِ اللهِ .

فلَمَّا دَخَلَ الجَنَّةَ تذكَّرَ قومَهُ الّذينَ قتلُوهُ ، وتَمَنَّىٰ لو عرَفُوا مَنْزِلَتَهُ عندَ ربِّهِ ، وقالَ : يا لَيْتَ قومي يَعْلَمُونَ حالي ، وعاقبةَ إيماني ، وما أنا فيهِ مِنَ النعيمِ ، فَقَدْ غفرَ اللهُ لي ، وأدخلَني الجَنَّةَ برحمتِهِ . وأكرَمَني بالتنعُّمِ فيها . ولو عَلِمُوا ذلكَ لأمْكَنَ دُخولُهُمْ في الإيمانِ .

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

لمَّا أقْدَمَ أصحابُ القريةِ علىٰ قَتْلِ الرَّجلِ المُؤْمِنِ أهلَكَهُمُ اللهُ ، ولم يُنزِلْ عليهِمْ ملائكةً مِنَ السَّماءِ لإهلاكِهِمْ ، فالأمرُ أيْسَرُ مِنْ هذا ، وإهلاكُهُمْ لا يتطلَّبُ إنزالَ الجنودِ المَلائكةِ ، وقد شاءَ أنْ يُهْلِكَهُم بالصَّيْحةِ .

أرسلَ اللهُ عليهِمْ صيحةً واحدَةً ، فَسَمِعُوا صَوْتاً عَالِياً مُرْعِباً مُخيفاً ، وقُضِيَ عليهِمْ وأُهْلِكُوا ، وصارُوا أمواتاً خامِدينَ ، لَيْسَتْ فيهم حياةٌ ولا حركةٌ ، وخَلَتِ القريةُ مِنْهُم ، ولم يَنفَعْهُم كُفرُهُمْ ، ولم يَدفَعْ عَنْهُمْ عذابَ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ علىٰ المُؤمنِ أنْ ينتصرَ للحقِّ ويَدْعُوَ إليهِ ويقفَ أمامَ الظَّالمينَ .

٢ ـ يجبُ علىٰ الدَّاعيةِ استخدامُ أحْسَنِ الأساليبِ المُقْنِعَةِ في الدَّعوةِ .

٣ ـ الضُّرُّ والنَّفْعُ بيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، والمَعْبُودُونَ مِنْ دونِه عَاجزونَ عَنْ ذَلِكَ .

٤ ـ لا يَستحقُّ العبادةَ إلا اللهُ وَحْدَهُ ، لأنه هُوَ الخالِقُ الرّازِقُ ، والمُحيي والمُميتُ .

٥ ـ الكفَّارُ ظالمونَ سفَّاكُونَ للدِّماءِ ، لا يَتورَّعُونَ عَنْ قتلِ المُؤْمنينَ .

٦ ـ يُكَرِّمُ اللهُ أولياءَه الشُّهداءَ ، فيُدخِلُهُمُ الجنَّةَ بمُجَرَّدِ خُروجِ أراوحِهم مِنْ أجسامِهم .

٧ ـ إهلاكُ الكُفَّارِ لا يتطلَّبُ شَيْئاً عندَ اللهِ ، فما هِيَ إلا صَيحةٌ واحدةٌ حتىٰ يُقْضىٰ عليهِم .



أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ دعا الرَّجلُ المُؤْمِنُ إلىٰ اتِّباعِ المُرْسَلينَ لسبَبَيْنِ . استخرجْهُما مِنَ الآياتِ .

٢ـ تَجِبُ عبادةُ اللهِ وحدَه لأنَّهُ اختصَّ بأمرَيْنِ . استخرجْهُما مِنَ الآياتِ .

٣ـ نفىٰ الرَّجلُ عنِ الآلهةِ المزعومةِ أمرَيْنِ . استخرجْهُما مِنَ الآياتِ .

٤ـ أنعمَ اللهُ علىٰ الرَّجلِ المُؤْمنِ بعدَ استشهادِهِ ودخُولِه الجَنَّةَ بأمرَيْنِ . استخرجْهُما مِنَ الآياتِ .

٥ـ بماذا أهْلَكَ اللهُ أصْحابَ القريةِ ؟ ومَنْ أهلَكَهُمُ اللهُ مِنَ الكفّارِ السّابقينَ بتِلْكَ الطّريقةِ ؟

٦ـ استخرِجْ مِنْ قصَّةِ الرّجلِ المُؤْمنِ مَعَ أَصْحابِ القَرْيةِ أربعةَ دُروسٍ .

نَشاطٌ :

١ـ راجعْ قِصَّةَ مُؤمنِ آلِ فِرْعونَ في انتصارِه لموسىٰ عليهِ السَّلامُ ، المذكورةَ في سورةِ غافرٍ ، واذكُرِ الشَّبهَ بينَ المؤمنِ هناكَ والمؤمنِ هنا ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٢ـ أهلَكَ اللهُ بعضَ الأقوامِ السّابقينَ بالصَّيْحةِ ، اذكُرْ أسماءَ ثلاثةِ أقوامٍ أُهْلِكوا بها ، إضافةً إلىٰ إهلاكِ أصحابِ القريةِ ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ يس ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا
قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ
ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبًّا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن
نَّخِيلٍ وَأَعۡنَٰبٍ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا
يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

الحَسْرةُ : النَّدَمُ والغَمُّ .

القُرونُ : الأُممُ السَّابقةُ .

مُحْضَرُونَ : يُؤتىٰ بِهِم يومَ القيامةِ للحسابِ .

الأرضُ المَيْتَةُ : التي لا نباتَ فيها .

أَحْيَيْنَاها : أنزَلْنا عليها الماءَ فأنبتَتِ النبات .

فَجَّرْنا : فتَحْنَا وشَقَقْنا .

الأزواجَ : الأنواعَ والأصنافَ المُخْتَلِفَةَ .

التفسيرُ :

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنِ الانْتِقامِ مِنْ أَهْلِ القَريةِ الكافرينَ ، إلىٰ تقديمِ الأدلَّةِ علىٰ الوَحْدانيةِ مِنَ الأرضِ والماءِ والنباتِ .

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

تدعو الآيةُ الكافرينَ إلىٰ أنْ يتحسَّرُوا ويَندَمُوا علىٰ أنفسِهِمْ ، وتقولُ لَهُمْ : ياأيُّها الكافرونَ المُكَذِّبُونَ للرُّسُلِ : تحسَّرُوا حَسْرَةً بالغةً ، واندَمُوا نَدَمَاً شديداً ، بسببِ تكذيبِكُم للرُّسُلِ ، فأنتُم خاسرُون خسارةً شديدةً ، لأنه ما جاءكُمْ مِنْ رَسُول ، إلا كفَرتُم واستَهْزأْتُم بهِ وكذَّبْتُمُوهُ ، ولم تَعْتَبِرُوا بما جرىٰ للكُفَّارِ من قبْلِكُمْ مِنْ عِقَابٍ ودَمارٍ .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

كانَ الكفَّارُ يَسْتَهْزِئونَ بالرُّسُلِ ، ولم يتَّعظُوا بما جرىٰ لِلْكُفَّارِ من قَبْلِهم ، ويُنْكِرُ اللهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، ويقولُ : أَلَمْ يَعلمُوا ماذا فعَلْنَا بمن قَبْلَهُم مِنَ الكافرينَ ؟ لقد أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ أُمَماً كثيرةً ، وقُروناً عَديدةً ، كعادٍ وثمودَ ومَدْيَن وغيرِهِمْ ، بسببِ كُفرِهِمْ وتكذيبِهِمْ لِلرُّسْلِ ، وقَضَيْنا أنَّهم لا يَرْجِعُون إلىٰ الدُّنْيا بعد مَوْتِهِم .

وليس معنىٰ عَدمِ رجوعِهِم إلىٰ الدُّنيا عَدَمَ عودتِهِم لِلحياةِ مِنْ جديدٍ ، فإنَّ الله سوفَ يبعَثُهُمْ ، ولِذلكَ أكَّدَ هذهِ الحقيقةَ بقولِهِ : كلُّ الناسِ السابقين واللاحِقينَ مجْمُوعُون يومَ القيامةِ ، حيثُ يُساقُونَ ويُحْضَرُونَ ويُوقفُونَ لِلحِسابِ ، ويُثيبُ اللهُ المُطيعَ ويُعاقِبُ العَاصِي .

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الكافرينَ الَّذينَ أهلَكَهُمُ اللهُ في الدُّنيا يُعَذَّبُونَ مرَّتَيْنِ : مرّةً في الدُّنيَا بالهلاكِ والموتِ ، ومرَّةً في الآخرةِ بالعذابِ في النارِ .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

يُنكِرُ الكفَّارُ البَعْثَ بعدَ الموتِ ، مَعَ أنَّ الأدلَّةَ حَوْلَهُم كثيرةٌ تدلُّ عليهِ ، مِنْ هذهِ الأدلَّةِ والآياتِ التي يجبُ أنْ يَلتفِتُوا لها ، الأرضُ مِنْ حَوْلِهم ، هذهِ الأرضُ تكونُ جدباءَ ميتةً هامِدةً لا نباتَ فيها ، فإذا أنزلَ اللهُ عليها الماءَ ، اهتزَّتْ وربَتْ وصارَتْ حيَّةً . وأنْبتتْ مُخْتَلِفَ أنواعِ الحُبوبِ ، التي يأكلُ منها الناسُ علىٰ اختلافِ البُلدانِ والأذواقِ .

إنَّ اللهَ هُوَ الَّذي أحْيَا الأرضَ بالماءِ ، وأخْرَجَ مِنها الحُبوبَ ، والَّذي فَعَلَ هذا يبعثُ الناسَ يومَ القيامةِ .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وأنشأَ اللهُ في الأرضِ جَنَّاتٍ وحدائقَ وبساتينَ مِنَ الأشجارِ المُثْمِرةِ ، مِنَ النَّخيلِ الذي يُثْمِرُ الثَّمَرَ المُفيدَ للإنسانِ ، والأعنابِ التي تُثمرُ العِنَبَ ، وغيرِها مِنَ الثِّمارِ .

واللهُ فَجَّرَ العُيونَ والينابيعَ في الأرضِ ، وجَعَلَها تجري علىٰ وَجْهِ الأرضِ ، لِيَسْقِيَ مِنْهُ الناسُ مزارِعَهم ودوابَّهُم ، ويَقْضُوا مِنهُ حَاجاتِهِم .

﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

لماذا أنشأ اللهُ بساتينَ النخيلِ والأَعْنابِ وغيرِهِما ؟ لقد جَعَلَ اللهُ ذلكَ رَحْمَةً مِنْهُ بالنّاسِ ، وإنعاماً منه عَلَيْهِم ، وذلكَ لِكَي يأكُلوا مِنْ ثَمرِها الطازَجِ ، ويأكلُوا مِنَ الأشياءِ التي صَنعُوها وعَمِلَتْها أيديهِم مِنْ هذا الثمرِ ، كالعَصيرِ والدِّبْسِ والزبيبِ وغيرِ ذلكَ .

وعِنْدَما يأكلُونَ مِنْ ذلكَ الثّمرِ عَلَيْهِم أَنْ يَشكرُوا اللهَ علىٰ تلكَ النِّعَمِ وغيرِها ، وذلكَ بتوحيدِهِ وعبادَتهِ والثّناءِ عليهِ ، والاعترافِ بآلائهِ ونعمِهِ ، واستخدامِها في طاعتِه .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

آياتُ اللهِ المذكورةُ سابقاً من إحياءِ الأرضِ المَيْتَةِ ، وإخراجِ الحبوبِ منها ، وإنشاءِ الجنّاتِ مِنَ النَّخيلِ والأعنابِ ، تدعو الناسَ إلىٰ توحيدِ اللهِ وتنزيهِهِ ، لكنَّ الكفارَ لم يَفْعلُوا ذلكَ ، وأشْرَكُوا مَعَهُ غيرَهُ ، ويجبُ علىٰ الناسِ أَنْ يُسَبِّحُوا اللهَ ويُنَزِّهُوهُ ويُقَدِّسُوهُ .

اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ ، وقد خَلَقَ المَخلوقاتِ أزواجاً ، مِنْ كُلِّ شيءٍ خَلَقَ زَوْجَينِ اثْنَينِ ، فالنباتاتُ خُلِقَتْ أَزْواجاً ، والحيواناتُ أَزْواجاً ، والطيورُ أَزْواجاً ، والناسُ أَزْواجاً ، وهناكَ مخلوقاتٌ أُخرىٰ لا يَعْلَمُها البَشَرُ ، خَلَقَهااللهُ أَزْواجاً أيضاً ، فتبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخَالِقينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الأصلُ أَنْ يتحسَّرَ الكافرونَ ويَندَمُوا علىٰ أنفُسهِمْ لخَسارَتِهِمْ بكُفْرِهِمْ .

٢ـ الواجبُ أَنْ يعتبِرَ الناسُ بما جرىٰ لِمَنْ قبلَهُمْ مِنَ العِقابِ .

٣ـ قضىٰ اللهُ أنَّ مَنْ ماتَ لا يعودُ للحياةِ إلاَّ يومَ القيامةِ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يستدلَّ بالآياتِ مِنْ حَوْلِه علىٰ تَوْحيدِ اللهِ وقُدْرتِه .

٥ـ إحياءُ الأرضِ المَيْتَةِ وإخراجُ الزَّرْعِ منها دليلٌ علىٰ بَعْثِ النّاسِ يومَ القيامةِ .

٦ـ علىٰ المُؤمنِ شُكْرُ اللهِ على نِعَمِهِ التي أنعمَ بها عليهِ .

٧ـ جَعَلَ اللهُ الزوجيَّةَ أساسَ الحياةِ ، حيثُ خَلَقَ كلَّ المخلوقاتِ أزواجاً .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ قولِه : ﴿يا حسرةً علىٰ العبادِ﴾ ؟ ولماذا الحَسْرَةُ عليهِم ؟

٢ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ دليلاً علىٰ أنَّ مَنْ ماتَ لا يَرْجِعُ للحياةِ إلاّ يومَ القيامةِ .

٣ـ اذكُرْ أسماءَ سبعةٍ من الحُبوبِ والبُقولِ اليابسةِ التي يأكُلُها الناسُ .

٤ـ ما معنىٰ قولِه : ﴿لِيأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وما عَمِلَتْهُ أيدِيْهِم﴾ ؟

٥ـ ما الواجبُ علىٰ مَن انتفعَ بنِعَمِ اللهِ المذكورةِ في الآياتِ ؟

٦ـ اذكُرْ أسماءَ أصنافٍ مِنَ الحيواناتِ والطُّيورِ خَلَقَها اللهُ أزواجاً .

نَشاطٌ :

١ـ ما معنىٰ الجَنَّةِ في اللُّغةِ ؟ ولماذا سُمِّيَتْ بساتينُ الأشجارِ جنَّاتٍ ؟ اكتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ آيةً من سورةِ الذّارياتِ صريحةً في أنَّ اللهَ خَلَقَ مِنْ كلِّ شيءٍ زَوْجَيْنِ ، واذكُرْ وجهَ الشبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٣٦) .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سورَةُ يس ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا
ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ
أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ
فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

اللّيْلُ نَسلَخُ منهُ النهارَ : نُزيلُ ضوءَ النّهارِ مِنَ اللّيلِ .

تَجْري : الجريُ : السَّيْرُ السَّريعُ .

لِمُستقَرٍّ لها : لحَدٍّ مُعَيَّنٍ ينتهي إليه دَوْرُها وسَيْرُها .

قَدَّرْناهُ مَنازِلَ : جَعَلْنا سَيْرَ القمرِ في مسافاتٍ مُحَدَّدَةٍ لا يتعدّاها .

يَنبغِي لها : يَصْلُحُ لها ويَسْهُلُ عليها .

تُدْرِكَ القمرَ : تَلْحَقُهُ وتجتمعُ مَعَهُ في سَيْرِهِ .

فَلَكٍ : مدارِ الكَوْكَبِ الذي يدورُ فيه .

يَسْبَحُون : يَسيرُون في الفَضاءِ بسهولةٍ .

الفُلْكِ المشحونِ : السفينةِ المملوءَةِ بِرُكّابِها .

صريخَ : مُغيثَ ومُنْقِذَ .



تُتابعُ الآياتُ عَرْضَ الأدلَّةِ على وَحْدَانيَّةِ اللهِ ، فالآياتُ السّابقةُ ذَكَرَتِ الأرضَ والزَّرْعَ ، وهذهِ الآياتُ تذكرُ الأدلَّةَ على ذلك مِنْ عالَمِ الفَلَكِ والفضاءِ ، وحركةِ الشّمسِ والقمرِ والنَّهارِ ، ورُكوبِ النّاسِ السّفُنَ في البَحْرِ .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

مِنَ الأدلَّةِ على وحدانيّةِ اللهِ تعاقُبُ اللّيلِ والنّهارِ ، فعندما يأتي اللهُ بالنّهارِ يكونُ الضِّياءُ والنُّورُ والحركةُ والسَّعْيُ ، وعندَ غروبِ الشَّمسِ يَفْصِلُ اللهُ النَّهارَ مِنَ الليلِ ، ويُزيلُه عنهُ ، فيذهبُ الضِّياءُ ، ويأتي اللَّيلُ بظلامِهِ ، ويعيشُ الناسُ في ذلكَ الظلامِ .

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

هذا دليلٌ آخَرُ على وَحْدَانيَّةِ اللهِ وقُدْرته ، وهو تسخيرُهُ الشَّمْسَ ، التي جعلَها تَجْري بِسُرْعَةٍ فائقةٍ ، وتبقى تَجْري دونَ تَعَبٍ أو عَطَبٍ ، لِحينِ استقرارِهاوتوقُّفِها عَنِ الجرَيانِ ، وهُوَ يومُ القيامةِ ، الّذي حدَّدَهُ اللهُ لها ، فعندما يَأتي يومُ القيامةِ تتوقَّفُ الشّمسُ عَنِ الجَرْيِ ، وتتكوَّرُ وتزولُ وتَتلاشى .

وجَرْيُ الشَّمسِ وَفْقَ نظامٍ دقيقٍ مُحدَّدٍ ، قَدَّرَهُ اللهُ بحسابٍ دقيقٍ ، لا يزيدُ ولا يَنْقُصُ ، وهو عزيزٌ قويٌّ لا يَغْلِبُه شيءٌ ، كما أنَّهُ عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، فجاءَ تقديرُ جريانِ الشمسِ مَظْهَراً لعِزَّةِ اللهِ ، وثمرةً لِعِلْمِه وقُدرته .

﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

وتسخيرُ القَمَرِ ودورانُه آيةٌ أُخْرى على وحْدَانيَّةِ اللهِ وقُدْرته ، فاللهُ جَعَلَهُ يَجْري بِتَدْبيرٍ مُحْكَمٍ وتقديرٍ دَقيقٍ ، وينتقلُ في سَيْرِهِ في منازِلَ مُحَدَّدةٍ ، ويَختلفُ حجمُهُ في كلِّ مَنزلَةٍ فيها ، وهذهِ المنازِلُ عددُ أيامِ الشَّهْرِ القَمَريِّ ، فيبدأُ في أوَّلِ الشهرِ هِلالاً ، ويَكبرُ حتى يَصيرَ بَدْراً في مُنْتَصَفِ الشَّهْرِ ، ثم يَتناقَصُ بعدَ ذلكَ لِيكونَ مَحاقاً ، عندها يكونُ مِثْلَ عُرْجُونِ النَّخلِ العتيقِ اليابسِ ، رفيعاً أصفرَ مُعْوَجّاً .

﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

قدَّرَ اللهُ الشَّمْسَ والقَمَرَ واللَّيلَ والنّهارَ تَقْديراً دقيقاً ، ودبَّرَها تَدْبيراً مُحْكَماً ، فَجَعَلَ لكلِّ واحدٍ مِنَ الشمسِ والقَمَرِ مجرىً مُحَدَّداً يَسيرُ فيهِ ، فلا يَتَصادمانِ ولا يَتعارضانِ ، وإنما يَسْبَحُ كلٌّ مِنْهُما

في فَلَكِهِ ومَدارِهِ وخطِّ سَيْرِهِ وجَريانِهِ ، ولذلكَ لا تُدْرِكُ الشَّمسُ القَمَرَ ولا تَلْحَقُهُ ، ولا تَجتمعُ مَعَهُ في فَلَكِهِ ومَدارِهِ ، والقمرُ يَقْطَعُ مدارَهُ في شَهْرٍ ، أمَّا الشَّمسُ فتقطعُ مَدارَها في سَنَةٍ .

وعَدَمُ إدراكِ الشَّمْسِ لِلْقَمَرِ معناهُ أنْ تَبقىٰ هي علامةَ النَّهارِ ، والقمرُ علامةً على الليلِ ، وبذلكَ يَبقى اللَّيلُ والنّهارُ مُتعاقِبَينِ ، لا يَطْغَىٰ أحدُهما علىٰ الآخَرِ ، ولا يَسْبِقُ أَحَدُهُما الآخَرَ .

وهكذا دبَّرَ اللهُ هذهِ المَخْلوقاتِ وَفْقَ أَدَقِّ نظامٍ ، وسخَّرَها لحياةِ النّاسِ إنعاماً عَلَيْهِمْ .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وبعدَ ذِكْرِ أدلَّةِ الوحدانيّةِ من عالَمِ الفَلَكِ ، يأتي ذِكْرُ أدلَّةِ الوحدانيّةِ مِنْ حركةِ النَّاسِ علىٰ الأَرْضِ ، فَهُو وحدَهُ الَّذي سخَّرَ البحرَ للنّاسِ ، لِيَحْمِلَ السُّفُنَ التي يَرْكَبُونَ فيها هُمْ وذُرِّيَّتُهُمْ وأولادُهمْ ، فَيَمْلأونَهَا ويَضَعُونَ فيها أمتعتَهُم وأرزاقَهُم وتجاراتِهم ، ويَنتقِلُونَ بها من بَلَدٍ إلىٰ آخَرَ ، ومِنْ ذلكَ سفينةُ نُوحٍ عليه السَّلامُ التي أنجىٰ اللهُ المُؤْمِنينَ بها مِنَ الطُّوفانِ .

وَلَيْسَ انتقالُهُمْ بالسُّفُنِ فَقَطْ ، وإنَّما خَلَقَ اللهُ لَهُمْ وَسائِلَ نَقْلٍ أُخرىٰ يَرْكَبُونَها ويَسافِرُونَ عَلَيْها ، ومِنْ ذَلِكَ ما وُجِدَ في هذا العَصْرِ مِنْ وسائلِ النَّقلِ كالسّيّاراتِ والطّائراتِ والقطاراتِ ونَحْوِها .

واللهُ هُو الّذي يَحفَظُهُم عندما يَرْكَبُونَ السُّفُنَ في البَحْرِ ، رَحْمَةً بِهِمْ وإنعاماً عَلَيْهِم ، ولو أرادَ إغراقَهُم وَسطَ البحارِ لَفَعَلَ ، وعندَ ذلكَ لا يَجِدُون مُغيثاً يُغيثُهُمْ ، ولا مُنْقِذاً يُنْقِذُهُمْ .

اللهُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ البَحْرِ سَالِمينَ ، رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ ، لِيُمَتِّعَهُم بالحياةِ متاعاً ، إلىٰ حينِ انْتِهاءِ أعمارِهِم وحُلولِ آجالِهِمْ ، عندَ ذلكَ يُميتُهم .

والواجبُ عليهم أنْ يَشكُروا اللهَ علىٰ هذهِ النِّعَمِ الكثيرةِ التي أنعمَ بها عليهِم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنَ الآياتِ الدالَّةِ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ تنظيمُهُ الكَوْنَ وما فيهِ من شَمْسٍ وقَمَرٍ وليلٍ ونهارٍ .

٢ـ اللّيلُ والنّهارُ يتعاقبانِ ، ولا يَسْبِقُ أحدُهما الآخَرَ .

٣ـ نظَّمَ اللهُ سَيْرَ الشّمسِ والقَمَرِ في مدارَيْهِما ، فلا يَتصادَمانِ ولا يَتعارَضانِ .

٤ـ يَسَّرَ اللهُ حياةَ الناسِ وتنقُّلاتِهِم في البرِّ والبَحْرِ ، رَحمةً بِهِمْ .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما مَعنىٰ : يَسْلَخُ النهارَ مِنَ اللَّيْلِ ؟ ولماذا لا يَسْبقُ الليّلُ النّهارَ ؟

٢ـ ما معنىٰ جريانِ الشَّمْسِ لمُستَقَرٍّ لها ؟ ومتىٰ يكونُ اسْتِقْرارُها ؟

٣ـ ما مَنازلُ القَمَرِ ؟ ومامعنىٰ عَوْدتِهِ كالعُرْجُونِ القديمِ ؟ وما المُدَّةُ التي يقطعُ فيها منازِلَهُ ؟

٤ـ لماذا لا تُدرِكُ الشَّمسُ القمرَ ؟ وكيفَ تسبحُ هي والقمرُ ؟

٥ـ ما آيةُ اللهِ المُتَعَلِّقَةُ في تَسْيِيرِ تنقُّلاتِ النّاسِ ؟

٦ـ ما معنىٰ الاستثناءِ في الآيةِ الأخيرةِ ؟

٧ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ خَمْسةَ أدلَّةٍ علىٰ وحدانيَّةِ اللهِ .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ آلِ عمرانَ تتحدَّثُ عَنْ إيلاجِ اللَّيلِ في النّهارِ وإيلاجِ النّهارِ في اللّيلِ ، وآيةً أخرىٰ مِنْ سورةِ الزُّمَرِ تتحدثُ عَنْ تكويرِ اللّيلِ علىٰ النّهارِ وبالعَكْسِ ، واذكُرْ معنىٰ الآيتَيْنِ .

٢ـ سجِّلْ آيةً مِنْ مَطْلعِ سورةِ يونُسَ عَنِ الشّمسِ والقمرِ في منازِلِهِ ، وآيةً من سورةِ الأَعْرافِ عن طَلَبِ الليلِ للنَّهارِ حثيثاً .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والأربعونَ

سورةُ يس - القِسْمُ السَّادِسُ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ
رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

اتَّقُوا ما بين أيديكُم : احْذَرُوا ما هو أمامَكُمْ مِنْ عذابِ الدُّنْيا .

وما خَلْفَكُم : ما سَيأْتي مِنْ عَذابِ الآخِرَةِ .

مُعْرِضِينَ : مُدْبرِينَ .

الوَعْدُ : يومُ القيامةِ .

صَيْحةً واحدةً : نَفْخَةَ الصَّعْقِ التي يموتُ بها الأحياءُ .

يَخِصِّمُون : يَخْتَصِمُون ويَتَنازَعُون في أمورهم .

الصُّورِ : هو القرنُ الذي يَنْفُخُ فيهِ المَلَكُ يومَ القيامةِ .

الأجداثِ : القبورِ .

يَنْسِلُون : يُسْرِعُون في المَشْيِ .

يَا وَيْلَنَا	يا هلاكنا وخسارتنا .
مِنْ مَرْقَدِنا	من مكانِ رُقودنا في قبورنا .
صَيْحَةً وَاحِدَةً	نَفْخَةَ البَعْثِ التي يَبْعَثُ بها اللهُ جميع الناسِ أحياء .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عنِ الأدلّةِ علىٰ وحدانيّة الله وقدرته ، إلىٰ الحديثِ عَنْ إعْراضِ الكُفّارِ عنِ الحقِّ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

الكفّارُ مُعانِدونَ مُصِرّونَ علىٰ الكُفْرِ ، لا يستجيبُونَ لأي دعوة للإيمانِ ، فإذا قيلَ لهم : آمنُوا وتَخَلُّوا عَنِ الشِّرْكِ ، واحذَرُوا وُقوعَ العذاب بكُم في الدّنيا ، في صُورةِ آفاتٍ ومصائب ونوازِلَ ، واحذَرُوا عذابَ الآخرةِ ، فإنّهم يرفُضون هذا القوْلَ ولا يستجيبون له .

وليسَ إعراضُهُم عنِ القولِ السّابقِ فقطْ ، وإنما يُعرِضون عن كلّ آية من آياتِ القرآنِ ، تُقدّمُ لهم دليلاً علىٰ الحقِّ ، وذلك لإصرارهم علىٰ الكُفرِ ورفْضِهم للحقِ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

أضاف الكفّارُ إلىٰ جريمةِ الكُفْرِ والإدبار والعناد جريمةً أخرىٰ ، وهي عدمُ الشَّفَقَة علىٰ المُحْتاجينَ ، وعدمُ الإنفاقِ منْ أموالِهم ، والاستهزاءُ بالنصائحِ الموجّهه لهم حوْلَ ذلك .

فإذا طلَب المُؤْمنونَ منهُمُ الإنفاق ممّا رزقهُم اللهُ ، وبذل المالِ للفقراء والمُحتاجينَ ، رفضُوا ذلكَ لبُخْلِهم ، ولِخُلوّ قلوبهم من الشّفقةِ علىٰ المحْتاجين ، وقالوا للمُؤمنين بسُخْرِيةٍ واستهزاءٍ : لماذا تُريدُون منّا أنْ نُطْعِم الفقراء ، واللهُ هو الذي يُطْعِمُهم ، ولو شاء أنْ يُطعِمَهم لأطْعَمَهُم ، ألستُم ترعمُون أنّ اللهَ هو الرّازقُ ، يرزُقُ من يشاءُ من عباده ؟ فنحنُ لن نُنْفِقَ عليهم لنُحقّق مَشيئة اللهِ فيهم ، وأنتُم ضالُّونَ ضلالا واضحاً عندما تدعُوننا إلىٰ مُخالفة مشيئة الله في إفقار هؤلاء المُحتاجين .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

الكفّارُ بُخلاءُ بالمالِ ، ويستهزئون بالحقّ ، وهُمْ مع ذلك يُنكِرُون الآخرة ، لا يُؤمنون بالبعثِ

بعدَ المَوْتِ ، وعِنْدَما يُخْبِرُهُمُ الرَّسولُ ﷺ والمُؤْمِنونَ عَنْ يوم القيامةِ ، علىٰ أنَّه وَعْدٌ مِنَ اللهِ ، لا بدَّ أنْ يَتحقَّقَ ، لأنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ ، استبعَدُوا ذلك وأنْكَرُوهُ ، وقالُوا لِلْمُؤْمِنينَ : متىٰ يَحينُ ذَلِكَ الوَعْدُ ، ويأْتي يومُ القيامةِ ، إنْ كنتُم صادقينَ في كلامِكُم ؟ وهم يسألُونَ هذا السؤالَ سُخريةً واستهزاءً .

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أجابَ اللهُ الكفّارَ عَنْ سؤالِهِمْ عَنْ يوم القيامةِ ، بأنَّه سَيأْتيهم بغتةً ، فما هِيَ إلا صَيْحَةٌ عاليةٌ مُدَوِّيَةٌ ، وما ينتظرُونَ للعذابِ إلاَّ صَيْحةً عاليةً مُدَوِّيَةً ، يَسْمَعُونها فَيَفْزَعُونَ ويَخافُونَ ، وهذهِ الصَّيحةُ تأتيهم فجأةً من دونِ مَوْعِدٍ أو استعدادٍ ، حالَ كونهم مُخْتصِمينَ مُتنازِعينَ فيما بَيْنَهم في أُمورِ الدُّنْيا ، مِنْ بَيْعٍ وشراءٍ وغيرِ ذَلِكَ .

وهذهِ الصَّيْحَةُ تَقضي عليهِمْ فيموتُونَ ، وَهُمْ في أسواقهم مُتنازِعينَ ، فلا يستطيعُ أحدُهُم أنْ يُوصِيَ بما لَهُ وما عَلَيْهِ ، لأنُه يموتُ فجأةً ، كما أنَّه لا يَسْتطيعُ أنْ يَرْجِعَ إلىٰ أهلِه وبيتِهِ .

والمرادُ بهذِهِ الصَّيْحَةِ نفخةُ الصَّعْقِ ، حيثُ يَأْمرُ اللهُ إسْرافيلَ أنْ يَنفُخَ في الصُّورِ . ويَسْمَعُ الأحياءُ هذهِ الصَّيحةَ ، فَيُصْعَقُونَ ويَموتُونَ جَميعاً .

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

بعدَ نفخةِ الصَّعْقِ تأتي نَفْخَةُ البَعثِ ، إذ يأْمُرُ اللهُ إسرافيلَ أنْ يَنفُخَ في الصُّورِ النَّفخةَ الثَّانيةَ ، وعندَ ذلك يُحيي اللهُ الأمواتَ جَميعاً ، مِنَ الجنِّ والإنسِ ، فَيَخرُجونَ مِنَ قُبورهِم فَزعينَ ، ويُسْرِعُونَ في السَّيْرِ ، وهذا كقولِه تعالىٰ : ﴿يومَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْداثِ سِراعاً كأنَّهُمْ إلىٰ نُصُبٍ يُوْفِضُوْنَ﴾ [المعارج : ٤٣] .

وعندما يخرجُ الكفّارُ من قبورهِم مُسْرعينَ يتساءَلُونَ بخَوْفٍ وحَسْرةٍ ويقولونَ : يا وَيْلَتَنا وهلاكَنا وحَسْرَتَنا ، مَنِ الذي بَعَثَنا مِنْ قُبورِنا التي كُنّا نَرْقُدُ نائمينَ فيها ؟

فيأتيهمُ الجوابُ : هذا الذي تُشاهِدُونَهُ هُوَ يومُ البَعْثِ ، وقد أحياكُمُ اللهُ للحسابِ ، وقد أخبَرَكُمُ اللهُ بذلكَ وأنتُم في الدُّنيا ، وَوَعَدَكُم بهِ ، وأخبرَكُمُ المُرْسَلُونَ وحدَّثوكُم عنهُ ، وقد كذَّبْتُموهُم وأنْكَرتُم وُقوعَهُ ، وقد صَدَقَ المُرْسَلُونَ فيما حدَّثُوكُمْ بهِ ، فها هُوَ البعثُ تُشاهِدُونَهُ .

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

ما هي إلاَّ صَيْحةٌ واحدةٌ ، عاليةٌ مُدَوِّيةٌ ، يخرجُ بعدَها الناسُ من قُبورِهِم أحياءً ، ويُساقُونَ سَوْقاً

إلىٰ ساحةِ العَرْضِ ، ويُوقَفُونَ فيها ، ويُحْضَرُونَ للحساب والجزاءِ بسرعةٍ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿فإنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ ۞ فإذا هُمْ بالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات : ١٣ـ١٤] .

وعندما يُحْضَرُونَ ويُوقَفُونَ في ساحةِ العَرْضِ ، يُقالُ لَهُمْ قبلَ بَدْءِ الحِساب : أنتُمُ الآنَ تعيشونَ أحداثَ يوم القيامةِ ، وتقِفُونَ للحساب بينَ يَدَي اللهِ ، واللهُ عادلٌ في حِسابكُمْ ، فلا يَظْلِمُكُم شيئا ، ولا يَزيدُ عليكُم شَيْئاً لم تَعْمَلُوهُ ، إنَّما يُجازِيكُم علىٰ أعمالِكُمُ التي عَمِلْتُموها في الدُّنيا ، فأنتُم تأخذُونَ جزاءَ أعمالِكُمُ السَّيئةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفّارُ يرفُضُونَ النَّصيحةَ والدَّعْوةَ إلىٰ تقوىٰ اللهِ ، والحَذَرَ مِنَ المعاصي ، والتفكيرَ في العواقبِ .

٢ـ الكُفّارُ بخلاءُ بالمالِ ، ولا يَشْفَقُونَ علىٰ المُحتاجينَ ، ويَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، ويَستهزئونَ بالمُسْلمينَ .

٣ـ يَسْتَعْجِلُ الكُفَّارُ يومَ القيامةِ ، اسْتِبْعاداً وإنكاراً له ، وتَهَكُّماً علىٰ المُسْلمينَ .

٤ـ يأتي يومُ القيامةِ فجأةً ، حيثُ نفخةُ الصَّعْقِ التي يموتُ بها كلُّ الأحياءِ من دُونِ إنذارٍ .

٥ـ يَخرجُ جميعُ الناسِ أحياءً مِنْ قُبورِهم بعد نفخةِ البَعْثِ ، ويُسْرِعُونَ إلىٰ المَوْقفِ للحساب .

٦ـ اللهُ عادلٌ في حِسابهِ للكُفّارِ ، لا يَظْلِمُهُم ولا يَزيدُ عليهِم ، إنما يُجازيهِم بأعمالِهِم .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما موقفُ الكفارِ من دَعْوَتِهِم إلىٰ تقوىٰ اللهِ والحَذَرِ مِنَ المَعاصي ؟

٢ـ بماذا يُجيبُ الكُفَّارُ المؤمنينَ عندما يَدْعُونَهُم للإنفاقِ ؟ وعلىٰ ماذا يدلُّ ذَلِكَ الجوابُ ؟

٣ـ ماذا يحصُلُ للأحياءِ عندما يَسْمَعُونَ نفخةَ الصَّعْقِ ؟

٤ـ ماذا يحصُلُ للناسِ بعدَ نَفْخَةِ البَعْثِ ؟

٥ـ ماذا يقولُ الكُفَّارُ عندما يُبْعَثُونَ من قُبورِهم ؟ وبماذا يُجابُونَ عَنْ سُؤالِهِمْ ؟

٦ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ قاعِدَةَ الحِسابِ يَوْمَ القيامةِ .



١ـ سجِّلْ آيةً من سورةِ الزُّخْرُفِ تُقَرِّرُ أنَّ السّاعةَ تأتي النّاسَ بغتةً ، وآيةً أُخرىٰ مِنْ سورةِ المُلْكِ تُقَرِّرُ أنَّ السَّاعةَ تأتي النّاسَ زُلْفَةً .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ(٦٨) من سورةِ الزُّمَرِ ، واستخرجْ منها الحديثَ عن نَفْخَتَي الصُّورِ ، واذكُرْ وجهَ الشبهِ بينَها وبينَ الآياتِ (٤٩ـ ٥١) .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني والأَرْبَعونَ

سورَةُ يس ـ القِسْمُ السَّابِعُ

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾
لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ
مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ
تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾
ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

في شُغُلٍ : مشغولون بالنَّعيمِ المُقيمِ .

فاكِهون : مُتلَذِّذونَ مُتنعِّمُونَ .

الأرائكِ : الأسرَّةِ المُزيَّنَةِ المُرتَّبَةِ . جَمْعُ أريكةٍ ، وهي : السَّريرُ .

يَدَّعُونَ : يَتمَنَّوْنَ ، ويَشْتَهُون .

امتازُوا : تميَّزُوا واعتزلُوا وانْفَصِلُوا عن المُؤمنينَ .

أعْهَدْ إليكُم : أُوصيكُم وصيةً علىٰ لسانِ رَسولي .

جِبلاً : خَلْقاً كثيراً ، وجماعاتٍ عَظيمَةً .

اصْلَوْهَا : ادْخُلُوها واحترِقُوا فيها .

نَخْتِمُ علىٰ أفواهِهم : نَمْنَعُها مِنَ الكَلامِ .



التفسيرُ :

تَنْتَقِلُ الآياتُ منَ الحديثِ عن نَفْخَتي الصُّورِ ، وحالِ الكُفَّارِ فيهما ، وحَسْرَتِهِمْ ونَدَمِهِمْ ، لتتحدَّثَ عَمّا يجري بعدَ الحِسابِ مِنْ ثوابٍ وعِقابٍ ، ونعيمٍ وعذابٍ .

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

يُدْخِلُ اللهُ المُؤْمنينَ الصّالحينَ الجنَّةَ بِرَحمتِهِ ، ويَتَنَعَّمُونَ فيها ، ويكونُونَ في شُغُلٍ بما يَتَمَتَّعُونَ ويَتَلَذَّذُونَ مِنْ مُخْتَلِفِ أنواعِ الملذَّاتِ ، الَّتي لم تَرَها عَيْنٌ ، ولم تَسْمَعْ بها أُذُنٌ ، ولم تَخْطُرْ علىٰ قَلْبِ بشَرٍ . فَهُم مُشْتَغِلُونَ بهذهِ المَلذَّاتِ عمَّا فيه أهلُ النّارِ من عذابٍ عظيمٍ .

وهم في شُغْلِهِمُ الطَّيِّبِ فاكهُونَ مَسْرورونَ ، مُتَلذِّذونَ مُتَنعِّمُونَ ، سُعداءُ راضونَ .

وممّا يزيدُهُمْ سعادةً وسُروراً أنَّهم يكونُونَ مَعَ أزواجِهم ونسائِهم الصَّالحاتِ ، كما يكونُ مَعَهُمْ أولادُهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمُ الصّالِحُونَ ، فيَلْتَقُونَ جميعاً تحتَ ظلالِ أشجارِ الجنَّةِ الظَّليلةِ ، يَجلِسُون مُتَّكِئينَ علىٰ الأرائكِ والأَسرَّةِ المُزيَّنةِ ، ويتحدَّثُونَ معاً بأُخوةٍ ومَحبَّةٍ .

وهُم يَتمتَّعُونَ في الجنَّةِ بمُخْتلفِ أنواعِ المآكلِ والمشاربِ ، وتُقَدَّمُ لَهُمُ الفواكهُ الكثيرةُ من مُخْتَلِفِ الأنواعِ ، ويُسْتَجابُ لهم في كلِّ ما يَطلُبونَ ، فكلُّ ما يَتَمَنَّوْنَهُ يَجدُونَهُ أمامَهُم فَوْراً .

فلا حِرْمانَ في الجنَّةِ ، لأَنَّها دارُ نعيمٍ وتكريمٍ ، ولا نفادَ لخيراتِها وأرزاقِها .

والنِّعمةُ الأسمىٰ والأفضلُ مِنْ كلِّ ما يَجدُونَهُ في الجَنَّةِ هي سلامُ اللهِ عليهم ، ورضاهُ عَنْهُمْ . فاللهُ يَأْمرُ الملائكةَ أنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿والملائكةُ يَدْخُلُونَ عَلَيهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ * سَلامٌ عليكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٣-٢٤] .

وهو سُبحانَهُ يُسَلِّمُ عليهِم ، ويُخاطبُهم بالسّلامِ ، كما قالَ : ﴿تحيتُهُمْ يومَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ [الأحزاب : ٤٤] .

وتسليمُهُ عَلَيْهِمْ لأنَّهُ رحيمٌ بِهِمْ ، أَدْخَلَهُمْ الجنَّةَ برحمتِهِ ، وأنعمَ عليهِمْ بفَضْلِهِ وكرمِهِ .

﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

هذا حالُ أهلِ الجنّةِ ، أمَّا أهلُ النارِ فإنَّ اللهَ يأمرُهُم يومَ القيامةِ ، أنْ يَنْفَصِلُوا عَنِ المُؤْمنينَ ، ويَفْتَرِقُوا مِنْهُمْ مُتَميِّزينَ مِنهُم ، وذلكَ لأَنَّ المُؤْمنينَ ذاهبونَ إلىٰ الجَنّةِ ، وَهُمْ ذاهبونَ إلىٰ النارِ ،

وهذا كما قالَ تعالىٰ : ﴿ويومَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نقولُ للذينَ أشركُوا مكانَكُم أنتُم وشركَاؤكم فزَيّلْنا بَيْنَهُم﴾ [يونس : ٢٨] .

﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

يتميَّزُ الكافرونَ مِنَ المُؤْمِنينَ ، ويُوَبِّخُهُمُ اللهُ علىٰ كُفْرِهِمْ ، ويُذَكِّرُهُمْ بما حَذَّرَهُم مِنْهُ ، وما أمَرَهُم بهِ وَهُمْ في الدُّنيا ، ويقولُ لَهُم : أَلَمْ أوصِكُمْ يا بَني آدمَ وأنتُم في الدُّنيا ألاَّ تُطيعُوا الشيطانَ فيما يأمُرُكُمْ بِهِ من الكُفْرِ والمَعاصي ؟ فإنَّ طاعَتَكُم له عبادةٌ ، وهو لكم عدوٌّ مُبينٌ ظاهرُ العداوةِ ، ولا يأمُرُكُمْ إلاّ بِشَرٍّ ، وقد أغْوىٰ أباكُم آدمَ مِنْ قبلُ .

وقد أمَرْتُكُم بعبادَتي وَحْدي ، لأني أستحقُّ العبادةَ والطاعةَ ، ودَلَلْتُكُم علىٰ الصِّراطِ المُسْتقيمِ ، وطَالَبْتُكُم بالالتزام بهِ ، ولو نَفَّذْتُم وصيَّتي لكُنْتُم في الجنَّةِ مَعَ المُؤْمنينَ ، ولكنَّكُم تنَكَّرْتُمْ لأمْري ، وخالَفْتُمْ وصيَّتي ، واتَّبَعْتُمْ عدوَّكُمُ الشيطانَ ، مَعَ أنَّ الشيطانَ أغوىٰ وأضلَّ أُناساً كثيرينَ قبلَكُمْ ، وقد أهلكَهُمْ في الدُّنْيا ، وكنتُم تُشاهِدونَ آثارَهُمْ ، ومَعَ ذلكَ لَمْ تتَّعِظُوا بما جرىٰ لَهُم ، لأنَّكُمْ لم تَكونُوا تَعْقِلُونَ ، ولو عَقِلْتُمْ لاتَّعَظْتُمْ وتَخَلَّيْتُمْ عن طاعةِ الشَّيطانِ!

﴿ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

وبعدَ تذكيرِ اللهِ لَهُمْ بما كَانُوا عَلَيْهِ في الدُّنْيا مِنْ عِبادةِ الشَّيْطانِ يُوَبِّخُهُمْ ويَمْلأُ قلُوبَهُمْ خَوْفاً فيقولُ لَهُمْ : هذهِ جَهنَّمُ ، تَرَوْنَهَا أمامَكُمْ ، وقد وَعَدْتُكمْ بها في الدُّنْيا علىٰ أَلْسنَةِ رُسُلي ، عندما حذَّرُوكُم مِنَ الكُفرِ لأنَّه يُوصِلُكُمْ إلىٰ جهنَّمَ ، فكذَّبْتُمُوهُمْ وكفَرْتُمْ بِهِمْ ، وقدْ حقَّقْتُ لَكُمْ وَعيدي وتَهديدِي ، فسيرُوا إلىٰ جَهنَّمَ وادْخُلُوها واصْلَوْها ، واحترِقُوا بنارِها ، وذُوقُوا فيها ألوانَ العذابِ الشَّديدِ ، وهذا بسببِ ما كنتُمْ عليهِ في الدُّنْيا مِنْ كُفْرٍ وعِصْيانٍ .

ويُحاولُ الكافرونَ إنكارَ ما في سِجلاّتِهم مِنْ جرائمَ ومعاصٍ ، فيُقيمُ اللهُ عَلَيْهِم شُهوداً مِنْ أنفُسِهِم ، يَنطِقُونَ ويَعترفُونَ ، حيثُ يَختِمُ علىٰ أفواهِهِمْ ويُخْرِسُها ويَمْنَعُها مِنَ الكلامِ ، ويطلبُ مِنْ أيديهِم وأرجلِهِمُ الكلامَ والاعترافَ ، فتتكلَّمُ أيديهِمْ وتعترفُ بما ارتكبَتْ مِنْ جرائمَ ، وتتكلَّمُ أرجلُهُمْ وتعترفُ بذلكَ ، فيُصابُونَ بالدَّهشةِ ، لأنَّهُم لَمْ يتوقَّعُوا أنْ تَشْهَدَ أعضاؤُهُم عَلَيْهِم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرة منها :

١ـ يُوازِنُ القرآنُ بَيْنَ التَّرغيبِ والتَّرهيب ، فَيَعْرِضُ صُورا لنعيمِ المُؤْمِنينَ في الجَنَّة ، وصُورا مِنْ عذابِ الكُفَّارِ في النَّار .

٢ـ يتمتَّعُ المُؤْمِنونَ في الجَنَّةِ بالنَّعيمِ الحِسيِّ والمَعْنَوِيِّ ، ويُشْغَلُونَ بِهِ عَنْ أهلِ النَّارِ وعذابهم فيها .

٣ـ الأسمىٰ والأفضلُ مِنْ كلِّ نعيم الجنَّة ، هو سلامُ الله عَلَيْهِمْ ، ورضاهُ عَنْهُمْ .

٤ـ عبادةُ اللهِ وطاعَتُه تُوصِلُ إلىٰ الجَنَّة . وعبادةُ الشيطانِ وطاعتُه تُوصِلُ إلىٰ النَّار .

٥ـ يُعَذِّبُ اللهُ الكفَّارَ في النارِ بعَدْلهِ ، ويُجازِيهم بِسُوء أعمالِهِمْ في الدُّنْيا .

٦ـ يأْمرُ اللهُ تعالىٰ أعضاءَ جِسْمِ الإنْسانِ مِنْ أيدٍ وأرجُلٍ وألْسِنَةٍ ، فتعترفُ بمَعاصيهِ في الدُّنيا



التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسْئلة الآتية :

١ـ بماذا يكونُ المُؤْمِنون مشغولينَ في الجنَّةِ ؟ وأين يَجْلِسُون ؟

٢ـ ما النَّعيمُ الأفضلُ مِنْ نعيمِ الجَنَّةِ ؟ ولماذا ؟

٣ـ بماذا يُذكِّرُ اللهُ الكفَّارَ عِنْدَ حسابِهِ لَهُمْ ؟

٤ـ بماذا يُذكِّرُ اللهُ الكفَّارَ بعد توبيخِهِ لَهُم ؟

٥ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ شاهِدَيْنِ يشْهدانِ علىٰ الإنسان في الآخرةِ .

تَعَلَّمْ :

روىٰ مسلمٌ عَنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ : كُنَّا : عند رسولِ اللهِ ﷺ ، فضحك . فقال : « هل تَدْرُونَ مِمّا أضْحَكُ ؟ » قالَ : قُلنا : اللهُ ورسُولُه أعْلَمْ . قال : « مِنْ مُخاطبةِ العَبدِ ربَّهُ . يقولُ : يا ربِّ! ألمْ تُجِرْني من الظُّلْمِ ؟ قال : يقولُ : بلىٰ ، قال : فيقولُ : إني لا أُجيرُ علىٰ نَفْسي إلا شاهداً مني ، قال : فيقولُ : كفىٰ بنفسك اليوم عليكَ شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شُهودا . قال :

فيُخْتَمُ على فيهِ ، فيقالُ لأركانهِ : انْطِقي ، قال : فتنطقُ بأعمالِهِ ، قالَ : ثم يُخلَّى بينَه وبينَ الكلامِ ، قالَ : فيقولُ : بُعْداً لكُنَّ وسُحْقاً ، فعنكُنَّ كنتُ أُناضِلُ »[1] .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ آياتٍ من سورةِ الطورِ ، تتحدَّثُ عن أهلِ الجنَّة (١٧ـ١٨) ، واستخرجْ منها عَشْرَ صُوَرٍ لنعيمِهِم فيها ما بينَ طعامٍ وشرابٍ ولباسٍ وجلوسٍ وكلامٍ .

٢ـ سجِّلْ الآياتِ (١٩ـ٢٣) مِنْ سُورةِ فُصِّلَتْ التي تَتحدَّثُ عَنْ شهادةِ أعضائِهِمْ عليهِمْ ، واستخرجْ منها ما تقولُهُ تلكَ الأعضاءُ وما يقولونَ هُمْ لها ، وبماذا تجيبُهُمْ .

* * *

(١) صحيح مسلم . كتاب الزهد والرقائق . باب الدنيا سجن المؤمن . حديث رقم : ٢٩٦٩ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والأرْبَعونَ

سورَةُ يس ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ
نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ
مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

طَمَسْنا علىٰ أعْيُنِهِم : مَحَوْنا أعْيُنَهُمْ ، وأزَلْنا معالِمَها فلا يُبْصِرُونَ .

الصِّراطَ : الطريقَ .

أَنَّىٰ يُبْصِرُون : كيف يُشاهِدُونَ الطَّريقَ ، وهُمْ عُمْيٌ .

مَسَخْناهُم علىٰ مكانَتِهِمْ : غيَّرْنا صُورَتَهُم في مكانِهِم ، مِنْ بشرٍ إلىٰ قُرودٍ أو خنازيرَ .

نُعَمِّرْهُ : نُطِلْ عُمُرَهُ .

نُنَكِّسْهُ في الخَلْقِ : نُرْجِعْهُ إلىٰ الضَّعْفِ ، بعدما كانَ شابّاً قويّاً .

ما يَنْبَغي له : ما يَصلُحُ له الشِّعْرُ ، وما يكونُ منهُ .

ذِكْرٌ : القرآنُ الكريمُ .

كان حيّاً : كانَ صحيحَ القَلْبِ حاضِرَ الفَهْمِ .

يَحِقَّ القولُ : يَثْبُتَ القولُ علىٰ الكافرينَ بالعذابِ .



التفسيرُ :

بعدَ الحديثِ عن نعيم المُؤْمنينَ في الجَنّةِ وعذابِ الكُفّارِ في النّارِ ، تنتقلُ الآياتُ للحديثِ عَنِ الكُفّارِ في الدُّنيا ، وتقريرِ أنَّهم في قَبضةِ اللهِ ، وتحتَ أمْرِهِ وسُلطانِهِ ، وهُوَ يُمْهِلُهُمْ ويُعطيهِمُ الفرصةَ لعلَّهم يُؤْمنونَ .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

الكفارُ في قبضةِ اللهِ ، وتحتَ سُلطانِهِ ، يَفْعَلُ بهِم ما يشاءُ ، وهُوَ عليمٌ قادرٌ ، وقدْ مَنَحَهُمُ الأَبْصَارَ رحمةً بِهِمْ ، وجَعَلَ في وُجوهِهِمُ العيونَ تفضُّلاً عَلَيْهِمْ .

ولو شاءَ سَلبَهُمْ ذلكَ ، بحيثُ يَطْمِسُ علىٰ عُيونِهِم ويُزيلُ معالِمَها ، فلا يبقىٰ لها أثرٌ ، أو يَذْهَبُ ببصَرِها مَعَ بقائِها مَفْتوحَةً ، فلا ترىٰ شَيْئاً .

وعندَ ذلكَ يَعْجَزُونَ عَنِ السَّيْرِ في الطريقِ الذي اعتادُوهُ ، وكيفَ يَسيرونَ فيهِ وهُمْ لا يُبْصِرُونَهُ ، ولا يَعرفُونَ أينَ يَضَعُونَ أقدامَهُم ؟

ولكنَّ اللهَ أبقىٰ لهم عُيونَهُم وأبصارَهُم لتيسيرِ حياتِهِم ، وعَلَيْهِم أنْ يُبْصِرُوا بها الحقَّ ويتَّبِعُوهُ .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

ولو شاءَ اللهُ مَسْخَهُم وغيَّرَ صورتَهُمُ البشريَّةَ الآدميَّةَ التي خَلَقَهُمْ عَلَيْها ، لأنَّه قادرٌ عَلَيْهِمْ ، فيكونونَ واقفينَ في أماكِنِهِمْ ، كافرينَ باللهِ ، مُرْتَكبينَ للمَعاصِي ، ويُفاجِئُهُمُ اللهُ بتجميدِهِم في تلكَ الأماكِنِ ، ويتحوَّلُونَ إلىٰ جَمَاداتٍ ، لا يَستطِيعونَ المُضِيَّ ولاالسَّيْرَ إلىٰ الأمامِ ، ولا يَرْجِعُونَ إلىٰ الخَلْفِ ، وإنما يَتسمَّرُونَ في أماكنِهِمْ .

ولكنَّه لم يَفْعَلْ ذلكَ بِهِمْ ، رَحْمةً بِهِمْ .

ولو أرادَ مَسْخَهُمْ وتحويلَهُمْ مِنَ الصُّورةِ البشريَّةِ إلىٰ الصُّورةِ الحيوانيَّةِ لفَعَلَ ، ولَجَعَلَهُم قِرَدَةً وخنازيرَ ، ولكنَّه أمْهَلَهُم لعلَّهم يُؤمنونَ .

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

مَنَّ اللهُ علىٰ الناسِ بسَمْعِهم وأبصارِهم ، ومَنَحَهُمُ الصُّورةَ البشريَّةَ الحَسَنَة ، ولَمْ يَسْلُبْهمْ ذلكَ ، وعَلَيْهِمْ أَنْ يَستفيدُوا منها باسْتِخْدامِها في طاعةِ اللهِ .

واللهُ قادرٌ علىٰ الإنسانِ ، خَلَقَهُ وحَفِظَهُ ورعاهُ ، وشاءَ ـ سُبحانَهُ ـ أنْ يَتطوَّرَ الإنسانُ في مراحلِ حياتِهِ ، فقدْ كانَ في رَحِمِ أُمِّهِ ، نُطْفَةً ثم عَلَقَةً ثم مُضْغَةً ، ثم صارَ جنيناً حيّاً ، وبعدَ ولادتِهِ يكونُ

طِفْلاً ثم صَبيّاً ، ثم شاباً قويّاً ، ثم كَهلا سَويّاً ، وفي آخرِ عُمْرِهِ يكونُ عَجُوزاً هَرِماً ، عاجِزاً عن كثيرٍ مِنَ الأشياءِ ، واللهُ هُوَ الّذي قدَّرَ لَه كلَّ ذلكَ .

وأخبرَنا اللهُ أنَّ مَنْ أطالَ عُمْرَهُ فإنَّهُ يُنكِّسُه في الخَلْقِ ، ويُعيدُهُ إلى الضَّعْفِ بعدما كانَ قويّاً ، وإلى العَجْزِ بعدَما كانَ نشيطاً ، وبعدَ ذلكَ سيَموتُ ويَخرُجُ مِنْ هذهِ الدُّنيا ، فالدُّنيا دارُ زوالٍ وانتقالٍ ، لا دارَ دوامٍ واستقرارٍ .

علىٰ النّاسِ أنْ يتفكَّرُوا ويَعْقِلُوا ، ويُلاحِظُوا ذلكَ ، ويَستفيدُوا مِنَ الفُرْصَةِ التي مَنَحَهُم اللهُ إيّاها ، فيُوَظِّفُوا قُوّتَهم وشَبابَهم في طاعةِ اللهِ ، قَبْلَ أنْ يَتنكَّسُوا ويَعْجَزُوا ، وقبلَ أنْ تنتهِيَ أعمارُهُم ويَموتوا .

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

لَمّا سَمِعَ الكفارُ القرآنَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، أنْكرُوا أنْ يكونَ من عندِ اللهِ ، وزَعَمُوا أنَّهُ شِعْرٌ ، وأنَّ مُحَمَّداً ﷺ شاعرٌ .

وقد كذَّبَهُم اللهُ وردَّ زَعْمَهُم ، فأخبرَ أنه لم يُعَلِّمِ الرَّسولَ ﷺ الشِّعْرَ ، ولَمْ يَكُنْ شاعراً ، ولا ينبغي له أنْ يقولَ الشِّعْرَ ، ولا يَصْدُرُ عنهُ ذلكَ ، فليسَ الشِّعْرُ من طَبعِهِ ولا عِلْمِهِ ، إنما هوَ رسولٌ أنزلَ اللهُ عليهِ القرآنَ .

والقرآنُ ليسَ شِعْراً ، وإنما هو كتابٌ مِنَ اللهِ لتذكيرِ النّاسِ بحالِهم وما عَليْهِم ، وهو دستورٌ للحياةِ الإسلاميةِ الرشيدةِ ، وكتابُ تشريعٍ وتوجيهٍ وجهادٍ ، وأينَ الشِّعْرُ من هذا ؟

ومَهَمّةُ رَسولِ اللهِ ﷺ أنْ يُنذِرَ النّاسَ بالقرآنِ ويُخَوِّفَهُمْ عذابَ اللهِ ، لكنْ لا يتأثَّرُ بإنذارِهِ إلاّ المُؤمنُ ، صاحبُ القَلْبِ الحيِّ المُتَّصلِ باللهِ ، والعقلِ الواعي ، أمّا الكافرُ الغافلُ فإنَّه مَيّتٌ ، لا يَنتفعُ بما يَسْمَعُ مِنَ الإنذارِ ، ولِذَلك يُعرِضُ الكافرونَ عَنِ القرآنِ ، وبذلكَ يَحِقُّ القولُ عَلَيْهِم . ويقعُ العذابُ بِهِم ، لِكُفْرِهِم وإعراضِهِم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وَهَبَ اللهُ الإنسانَ حواسَّهُ وجوارحَهُ رحمةً به وإنعاماً عليهِ ، والواجبُ عليهِ شُكْرُ اللهِ تعالىٰ .

٢ـ لو أرادَ اللهُ طَمْسَ عُيونِ الكُفّارِ لفعَلَ ، وبذلكَ تتعطَّلُ حياتُهُمْ ، ولَوْ أرادَ مَسْخَهُمْ أو تجميدَهُمْ لَفعلَ .

٣ـ الإنسانُ ضعيفٌ ، وكلَّما تقدَّمَ بِهِ العُمُرُ انتكسَ ورَجَعَ إلى الضَّعْفِ .

٤ـ لا حياةَ للإنسانِ إلاَّ برحمةِ اللهِ ، ولا قوّةَ له إلاَّ باللهِ ، فعليْهِ توحيدُ اللهِ وعِبَادَتُهُ وحَمْدُهُ .

٥ـ الرَّسولُ ﷺ لَيْسَ شاعراً ، والقرآنُ لَيْسَ شِعْراً ، والكُفَّارُ كاذِبُون في هذا .

٦ـ لا يَنْتَفِعُ بالقرآنِ ولا يَسْتفيدُ منهُ إلاَّ المُؤْمِنُ صاحِبُ القَلْبِ الحَيِّ والعَقْلِ الواعي .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماالمرادُ بالطَّمْسِ علىٰ الأعْيُنِ ؟ وكيفَ تكونُ الحياةُ بهِ ؟

٢ـ كيفَ يكونُ مَسْخُهُم علىٰ مكانَتِهِم ؟ وماذا يحصُلُ عندَ المَسْخِ ؟

٣ـ ماذا يحصلُ للإنسانِ عندما يمتدُّ به العُمُرُ ؟

٤ـ كيف رَدَّ القرآنُ علىٰ اتِّهامِ الكفّارِ للرّسولِ ﷺ بأنَّه شاعرٌ ، وأنَّ القرآنَ شِعْرٌ ؟

٥ـ مَنِ المستفيدُ مِنَ القرآنِ ؟ وما آثارُ القرآنِ فيهِ ؟

٦ـ ما معنىٰ قولِه : ﴿ويَحِقَّ القولُ علىٰ الكَافِرِين﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ مَسَخَ اللهُ قوماً قِرَدَةً خاسئِينَ ، مَنْ هُم ؟ ولماذا مسَخَهُم ؟ اسْتدِلَّ علىٰ ذلكَ بآيةٍ من سورةِ الأعرافِ تَتحدثُ عَنْهُمْ ، واكتُبِ الجوابَ في دفترِكَ .

٢ـ سجِّلْ آيةً من سورةِ الرومِ ، تَتحدَّثُ عَنِ المراحلِ التي يَمرُّ بها الإنسانُ ، واستخرجْ منها تلكَ المَراحِلَ .

٣ـ سجِّلِ الآياتِ الأخيرةَ مِنْ سورةِ الشُّعراءِ التي تَذُمُّ الشُّعراءَ القائلينَ بالباطِلِ ، وتَستثْني مِنهُمُ الشُّعراءَ الصالحِينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابِعُ والأربعونَ

سورَةُ يس - القِسْمُ التَّاسِعُ

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا
رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ
قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

عَمِلَتْ أيدينا : خَلَقْناهُ وعَمِلْناهُ وأَوْجَدْناهُ بأيْدينا .

أنعاماً : هيَ الإبلُ والبقرُ والغَنَمُ .

ذَلَّلْناها لَهُم : جَعَلْناها خاضِعةً مُنقادةً لهم .

لَهُمْ فيها منافعُ : يَنتفعُونَ بكلِّ شيءٍ فيها ، كالأصْوافِ والأوْبارِ والأشْعارِ وغيرِها .

وهُم لَهُم جُنْدٌ مُحْضَرُون : المُشْرِكُون جنودٌ مُحْضَرُون لآلِهَتِهم ، يُدافِعُون عنها ويَذودُونَ عنها .

لا يَحْزُنْكَ قولُهم : لا يَهُمُّكَ كُفرُهُمْ وتكذيبُهُم لَكَ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ فَضْلِ اللهِ علىٰ الناسِ ، مِنْ خلالِ حِفْظِهِ لحواسِّهِم وتيسيرِهِ لحياتِهِم ، لتَتَحدّثَ عن إنعامِ اللهِ علىٰ الإنسِ بتسخيرِهِ الأنعامَ لَهُمْ ، وانتفاعِهِمْ بها .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وجعَلْنا هذهِ الأنعامَ مُذلَّلةً مُنقادةً لَهُمْ ، لا تتمرَّدُ عليهِمْ ولا تُخالِفُهُمْ ، فقَدْ يَقُودُ الوَلَدُ الصَّغيرُ

البعيرَ الكبيرَ ، وهم يَستفيدُونَ مِنْها في حَياتِهِمْ ، فيَرْكَبُونَها ويُسافِرونَ ويَتنقَّلون عَليْها ، ويأكلُونَ لُحومَهُا ، ويَشْرَبُون ألبانَها .

أفلا يَشْكُرُونَ اللهَ على هذهِ النِّعَمِ الغامرةِ ، ويَسْتَخْدِمُونَها في طَاعتهِ ، ويَعترفُونَ لهُ بالفَضْلِ والمِنَّةِ ، ولا يُشْرِكونَ به أحداً ؟!

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

هؤلاءِ الكُفَّارُ لم يَشْكُروا اللهَ علىٰ ما أنْعَمَ بهِ عليهِم ، ولَمْ يُوَحِّدُوهُ ويَعْبُدُوهُ ، وإنَّما أشْرَكُوا به غَيْرَهُ ، واتَّخذوا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ ، كالأَصْنام والأوثانِ ، وعَبَدُوها مِنْ دونِ اللهِ ، وكانُوا يَطْمَعُونَ أنْ تَنصُرَهُمْ في دنياهُم ، بإنقاذِهِم مِنَ الشَّدائدِ ، وتقديمِ الخَيْرِ لَهُمْ ، مع أنَّها جماداتٌ لا حياةَ فيها .

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

خيَّبَ اللهُ لَهُمْ أملَهُمْ في مَعْبُوداتِهِمُ الباطلةِ ، وأخبرَ أنَّها عاجزَةٌ عَنْ فِعْلِ أيِّ شيءٍ ، ولذلكَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تَنْصُرَهُمْ ، ولا أنْ تَدفعَ الضُرَّ عَنهُمْ ، أو تَجْلِبَ الخَيْرَ لَهُمْ .

إنَّ تِلْكَ الآلِهَةَ هِيَ الَّتي تَحْتاجُ إليْهِمْ ، وهُمْ جُنودٌ مُحْضَرُونَ لها ، يَنصُرونَها ويَخْدُمُونَها ، ويَحْرُسُونَها ويُدافعونَ عَنْها ، ويَغْضبُونَ لها ، فكيفَ جَعلُوها آلِهَةً وهِيَ بهذا الوَضْعِ ؟

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

عندما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يدعو الكفّارَ إلىٰ الإيمانِ باللهِ والتخلّي عن الكُفْرِ ، كانُوا يَرْفُضُونَ دَعْوَتَهُ ، ويتَّهِمُونَهُ اتهاماتٍ باطِلَةً ، ويقولونَ عَنْهُ : هُوَ شاعرٌ أَوْ كاذبٌ أو ساحِرٌ أو مُفْترٍ ، ولا يَعْتَرِفُونَ أنَّه رسولُ اللهِ ﷺ .

وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَحْزَنُ عَلَيْهِمْ ، لأنَّ تكذيبَهمْ لَهُ يَحْرِمُهُمْ مِنَ الخَيْرِ ، وهو حَريصٌ علىٰ تَقْديمِ الخَيْرِ لَهُمْ واسْتِفَادَتِهِم مِنهُ .

ولذلكَ واسىٰ اللهُ رَسولَهُ ﷺ ، وسَلاَّهُ علىٰ ما يَجِدُه مِنْهُمْ ، ودَعاهُ إلىٰ ألاّ يَحْزَنَ الحُزْنَ الشَّديدَ عَلَيْهِمْ ، وألاَّ يُهْلِكَ نفسَهُ حَسْرَةً وهَمّاً وغَمّاً ، وأخبرَهُ أنَّهُمْ لا يُكذِّبُونَهُ في الحقيقةِ ، وأنَّهم يُوقِنونَ أنَّه رسولٌ وصادقٌ وأمينٌ ، وإنَّما يكْفُرونَ بهِ ويتَّهِمُونَه عِناداً واسْتِكْباراً .

ودعا اللهُ رسولَهُ ﷺ إلىٰ أنْ يَتْرُكَ هؤلاءِ الكُفَّارَ المُكَذِّبينَ للهِ ، الَّذينَ سيَتَكَفَّلُ بعقابِهِمْ ، وهو مُحيطٌ عِلْماً بِهِمْ ، يَعْلَمُ كلَّ ما يُخْفُونَهُ ويُسِرُّونَهُ ، ويَعلمُ كلَّ ما يُظْهِرُونَهُ ويُعْلِنُونَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المؤمنِ أنْ يَلْتَفِتَ إلىٰ نِعَمِ اللهِ الغامِرَةِ عَلَيْهِ ، وأنْ يَشْكُرَهُ عَلَيْها .

٢ـ سخَّرَ اللهُ للإنسانِ كلَّ ما حَوْلَهُ لِخِدْمَتِه ومَنْفَعَتِه ، ويَسَّرَ له حياتَهُ ، ونظَّمَ له أُمورَه .

٣ـ الكفّارُ جاحِدُونَ لِفَضْلِ اللهِ ، وَلِذَلِكَ يَعْبُدونَ آلِهةً باطلةً يَرْجون عندَها النَّصْرَ .

٤ـ كلُّ ما سِوىٰ اللهِ عاجزٌ عن جَلْبِ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضُرٍّ ، والنّاصرُ هو اللهُ وحْدَهُ .

٥ـ كان رَسولُ اللهِ ﷺ يَحْزَنُ علىٰ تكذيبِ قومِهِ ، لأنَّ ذلكَ يَحْرِمُهُمُ الاستفادةَ مِنْهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما أصنافُ الأنعامِ ؟ ولماذا سُمِّيَتْ بذلكَ ؟

٢ـ اذكُرْ أربعةَ أصنافٍ مُشْتَقَّةٍ من ألبانِ الأنعامِ ، وأَرْبَعَ منافعَ مُستفادةٍ منها .

٣ـ ماذا كانَ الكُفَّارُ يَرْجُونَ مِنْ آلهتِهم ؟ وهل تحقَّقَ لَهُم ذَلِكَ ؟

٤ـ مَنِ الَّذي يَحْتاجُ إلىٰ خِدْمةِ الآخَرِ : الكفارُ أم آلهتُهُمُ الباطِلَةُ ؟ وعلىٰ ماذا يدلُّ ذلك ؟

٥ـ اذكُرْ خمسةَ اتهاماتٍ اتَّهمَ بها المُشركونَ الرّسولَ ﷺ والقُرآنَ .

٦ـ لماذا كانَ الرَّسُولُ ﷺ يَحزَنُ لأقوالِ المُشْركينَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ ما يُفيدُه الإنسانُ مِنْ صُوفِ الأَنْعامِ ولَحْمِها وَحَليبِها .

٢ـ اقرأْ قصّةَ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ في سورةِ الأنبياءِ ، واستخرجْ منها دِفاعَ قومِهِ الكافرينَ عَنْ آلهتِهم ، وحاجَتِها إلى نُصْرَتِهم ، واكتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ آيةً مِنْ سورةِ الأنعامِ يُخبِرُ اللهُ رسولَهُ ﷺ فيها أنّه يَعلمُ حُزْنَهُ عَليْهِم ، وأنَّهُمْ لا يُكَذِّبونَهُ في الحقيقةِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٧٦) .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ الخامِسُ والأرْبَعونَ

سورَةُ يس ـ القِسْمُ العَاشِرُ

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ
خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ
أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **من نُطْفَةٍ** : من قَطْرةٍ مِنَ المَنِيِّ .
- **خصيمٌ مبينٌ** : شديدُ الخُصومةِ واضِحُها .
- **ضَرَب لنا مَثَلاً** : جعلَ الكافرَ شبيهاً واتَّهمَهُ بالعَجْزِ .
- **رميمٌ** : باليةٌ مُفَتَّتةٌ .
- **بلىٰ** : حرفٌ يُجابُ به بعدَ السؤالِ بالنَّفْي ، لتحويلِه إلىٰ إثباتٍ .
- **الخلاَّقُ** : كثيرُ الخَلْقِ .
- **مَلَكُوتُ** : المُلْكُ التامُّ .

التفسيرُ :

تُخْتَمُ آياتُ السُّورَةِ ببيانِ مُخاصَمَةِ الإنسانِ وجدالِهِ ، وذِكْرِ ما يَدلُّ علىٰ قُدرةِ اللهِ .



التفسير :

تُخْتَمُ آياتُ السُّورَةِ ببيانِ مُخاصَمَةِ الإنسانِ وجدالِهِ ، وذِكْرِ ما يَدلُّ علىٰ قُدرةِ اللهِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

يُنْكِرُ اللهُ علىٰ الكافرِ كُفرَهُ وجدالَهُ بالباطلِ ، وإنكارَهُ للبعثِ ، ويُذَكِّرُهُ بنَشْأَتِهِ وبدايَتِهِ ، ويقولُ : ألَمْ يَعْلَمْ كلُّ إنسانٍ أنّنا بَدَأْنا خَلْقَهُ من نُطْفةٍ من مَنِيٍّ ؟

والآنَ صارَ يُجادِلُ ويُناقِشُ في الأُلُوهِيّةِ ، ويَجعلُ مَعَ اللهِ آلهةً أُخْرىٰ ، ويَرفُضُ توحيدَ اللهِ ، ويُنْكِرُ البَعْثَ والمَلائِكَةَ ، فَلِماذا نَسِيَ بِدايَتَهُ ، وجَحَدَ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ ، ورعايَته لَهُ ؟

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

سببُ نزولِ هذهِ الآياتِ مجيءُ أُبَيِّ بن خَلَفٍ ، أحدِ زُعماءِ المُشركينَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ، وفي يَدَيْهِ عَظْمٌ رَميمٌ ، وهو يَفُتُّهُ ويَذْرُوهُ في الهواءِ ، ويقولُ لِلرَّسولِ ﷺ : يا مُحَمَّدُ ، أتَزْعُمُ أنَّ اللهَ يَبْعَثُ هذا بَعْدَمَا صارَ رَميماً ؟

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ : نَعَمْ ، يُميتُكَ اللهُ ، ثم يُحيْيكَ ، ثم يُدْخِلُكَ النّارَ . فأنزلَ اللهُ هذهِ الآياتِ[1] .

يُخبرُ اللهُ أنَّ هذا الكافِرَ المُنْكِرَ لِلْبَعْثِ قد ضَرَبَ للهِ مَثَلاً ، بأنْ قاسَ قُدرةَ اللهِ علىٰ قُدرةِ المَخْلوقينَ ، فَمِنَ المَعْلومِ أنَّ قُدرةَ المَخْلوقينَ مَحدُودَةٌ ، وقُدْرةَ اللهِ مُطْلَقَةٌ ، فظَنَّ هذا الكافرُ أنَّ قُدْرَةَ اللهِ مَحْدودَةٌ كَذلِكَ ، ولِذَلِكَ سألَ باسْتغرابٍ وإنْكارٍ : مَنِ الذي يَقْدِرُ علىٰ إحياءِ العِظامِ وهي باليةٌ شديدةُ البِلىٰ ؟ ومقصُودُه مِنَ السؤالِ أنَّه لا يستطيعُ أحدٌ إحْياءَهَا ، وبذلكَ ساوىٰ بينَ اللهِ والنّاسِ في القُدرةِ المَحْدُودَةِ ، والعَجْزِ عن بعضِ الأشياءِ .

وقد نَسِيَ هذا الكافرُ خَلْقَ اللهِ له من نُطْفَةٍ ، ولو تذكَّرَ ذلكَ لَمَا شكَّ في قُدرةِ اللهِ المُطْلَقَةِ ، فالَّذي خَلَقَ الخَلْقَ أوّلَ مرّةٍ قادرٌ علىٰ إعادَتِهِ مرّةً ثانيةً ، لِذَلِكَ أمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يُجيبَهُ عن سُؤالِهِ قائلاً : الذي يُحيي العظامَ الباليةَ هو اللهُ الذي أَنْشأَها وخلَقَها أوَّلَ مرّةٍ ، وأوْجدَها أوَّلَ مرّةٍ .

واللهُ الَّذي يَخلُقُ النّاسَ ويُميتُهُمْ ويَبعَثُهُمْ بكلِّ شيءٍ عليمٌ ، قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، ومِنْ ذلكَ عِلْمُهُ بصفاتِ كلِّ إنسانٍ وأجزائِهِ ، ولِذَلِكَ يُعيدُها إليْهِ بَعْدَ أنْ يَصيرَ تُراباً .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

وهذا دليلٌ ثانٍ علىٰ البعثِ ، فاللهُ قد خلقَ الشجرَ من ماءٍ ، فصارَ شجراً أخْضَرَ يانعاً ، ثُمَّ يَصيرُ حَطَباً يابساً ، تُوقَدُ بهِ النارُ ، فهذا التَّحوُّلُ من الرُّطوبةِ إلىٰ الحرارةِ يدلُّ علىٰ إمكانِ إعادةِ الرُّطوبةِ إلىٰ

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٨٦ .

ما كانَ يابساً ، وهذا دليلٌ علىٰ إعادةِ الإنسانِ إلىٰ الحياةِ بعدَ أنْ يكونَ تُراباً .

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ .

وهذا دليلٌ ثالثٌ علىٰ البَعْثِ ، وهو خَلْقُ السَّمٰواتِ والأرضِ ، لأنَّ خَلْقَها أعظمُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ ، وأينَ حَجْمُ النّاسِ من حَجْمِ السَّمٰواتِ والأرضِ ؟ إنَّ خالِقَها قادرٌ علىٰ بَعْثِ النّاسِ وإعادتِهِمْ لِلحياةِ ، واللهُ خَلاَّقٌ كثيرُ الخَلْقِ ، عليمٌ واسعُ العِلْمِ ، قديرٌ كاملُ القُدْرَةِ . كما قالَ تعالىٰ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الذيْ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بقادرٍ علىٰ أنْ يُحْيِيَ الموتىٰ بلىٰ إنَّهُ علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ [الأحقاف : ٣٣] .

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

اللهُ خالِقُ كلِّ شيءٍ ، ومخلوقاتُهُ لا يُحْصِيها إلاَّ هُوَ ، وخَلْقُهُ لها لا يُتْعِبُهُ سُبحانَهُ ، وشأنُهُ في خَلْقِ الأشياءِ وإيجادِها ، أنْ تتوجَّهَ إرادتُه إلىٰ خَلْقِها ، فيقولَ للشيءِ منها : كُنْ وتَحقَّقْ علىٰ شَكْلِ كذا ، فيكونُ الشيءُ ويَتحقَّقُ فَوْراً ، كما أرادَ سُبحانَهُ ، ولا يحتاجُ أَمْرُهُ إلىٰ تكرارٍ أو تأكيدٍ .

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

ويقتضي ثبوتُ القدرةِ المُطْلَقةِ للهِ ، وخَلْقِهِ الأشياءَ فَوْراً ، تنزيهُهُ ـ سُبحانَهُ ـ عَمّا يَصفُهُ بِهِ الكافرونَ مِنَ النَّقصِ والسُّوءِ ، وما لا يليقُ به من كمالٍ وجلالٍ .

واللهُ مالِكُ المُلْكِ ، المُلْكُ كلُّه لَهُ ، لا شَريكَ لَهُ في ذلكَ ، فكلُّ ما سِواهُ مخلوقٌ مملوكٌ لَهُ ، وبما أنَّه قادرٌ مالِكٌ ، فَسَيَرْجِعُ النّاسُ جميعاً إليه يومَ القيامةِ ، لِيُحاسِبَهُم علىٰ أعمالِهم ، وعَليهِمْ أنْ يَعْبُدُوهُ ويُطيعُوهُ ويُخْلِصُوا له ، ليفُوزُوا يومَ القيامةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ الإنسانِ أنْ يتذَّكرَ بدايَتَهُ وضَعْفَهُ ، ليَعرِفَ فَضْلَ اللهِ عليهِ ، وكيفَ يشكُرُهُ .

٢ـ الكفارُ يُنْكِرُونَ البعثَ بسَفَهٍ وغِلْظَةٍ وجَلافَةٍ ، ويَقيسونَ اللهَ علىٰ خَلْقِهِ .

٣ـ خَلْقُ النَّاسِ أوَّلَ مرَّةٍ دليلٌ علىٰ بَعْثِهِم يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّ الإعادةَ أهْوَنُ مِنَ الإنْشاءِ .

٤ـ تحويلُ الشَّجرِ إلىٰ حَطَبٍ يابسٍ وَقوداً للنّارِ دليلٌ آخرُ على بَعْثِ النّاسِ .

٥ـ خَلْقُ السمّواتِ والأرضِ علىٰ عَظَمَتِها وضَخامَتِها دليلٌ ثالثٌ علىٰ البَعْثِ .

٦ـ اللهُ خالِقُ كلِّ شيءٍ ، ومخلُوقاتُهُ لا يُحْصِيها إلاَّ هُوَ ، فَهُوَ خَلاَّقٌ كثيرُ الخَلْقِ .

٧ـ خَلْقُ المُخْلُوقاتِ لا يُكَلِّفُ اللهَ شَيْئاً ، فما أنْ يقولَ للشيءِ كُنْ ، حتىٰ يكونَ ويُوجَدَ فَوْراً .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ خَلْقِ الإنسانِ مِنْ نُطْفَةٍ ؟ ولماذا ذكرَتِ الآيةُ الأُولىٰ ذلكَ ؟

٢ـ اذكُرْ ما جرىٰ بَيْنَ رسولِ اللهِ ﷺ وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ حَوْلَ البعثِ .

٣ـ اذكُرِ الدَّليلَ الأَوّلَ علىٰ البعثِ ، مِنْ خلالِ الجَوابِ عن سُؤالِ مُنْكِرِ البعثِ .

٤ـ كيف عَدَّتِ الآياتُ الشجرَ الأخضرَ دليلاً علىٰ البعثِ ؟

٥ـ ما معنىٰ قولِه : ﴿أَنْ يَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ ؟

٦ـ ما معنىٰ كُلٍّ ممّا يأتي : خَصِيمٌ مبينٌ وَهِيَ رَمِيمٌ ، الخلاَّقُ ، مَلَكُوتُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ آياتٍ مِنْ آخرِ سورةِ القيامةِ تُذَكِّرُ الإنسانَ ببدايتِهِ وخَلْقِهِ من نُطْفةٍ ، واذكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبينَ الآيةِ (٧٧) .

٢ـ سجِّلِ الآيةَ السابعةَ والعشرينَ مِنْ سورةِ الرومِ التي تَجْعَلُ الإعادةَ أهْوَنَ مِنَ الإنشاءِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٨١) .

❊ ❊ ❊